روايات مصرية

سلة الروايات 40

صراع الأوغاد

(الجزء الثانى)

Looloo
www.looloolibrary.com

د. محمد الدسوقى

مقدمة

أهو أنت مرة أخرى !

هل يعنى ذلك أن جذوة الجنون التى اشتعلت فى العدد الأول لا زالت متأججة ، وأنها قد راقتك حقًا ، واجتذبتك للعودة من جديد !!

إن هذا يدعو لتفاؤل من نوع ما ، لكنى أحذرك ..

إن بعثرة التفاصيل المتعارف عليها وإعادة صياغتها لهو اسم اللعبة هنا ، وهى لعبة خطرة فعلاً ، وتؤدى دومًا لكارثة ، ولقد أدمنتها حقًا كما لا يخفى .. لكن من قال إن الأمر يخلو من متعة !

صحيح أن فكرة الفتك بى ، أو سلخى حيًا ، أو إرسالى مباشرة إلى سيبيريا لم تكن بعيدة جدًا بعد المرة الأولى ، ولقد طالبنى البعض بالتوقف فورًا ، وإلا صارت إحداها حقيقة .. لكن الإغراء ما يزال شديدًا ، ومن الصعب جدًا مقاومته ..

فرصة النجاة تتضاءل فى كل مرة أكثر كما ترون ، لكنها باقية .. كما أن الرهان فى عشاق الجنون الذين تحمسوا للفكرة منذ البداية ما يزال قائما ، ولا زلت أعتقد ــ برغم كل شىء ــ أنهم كثرة فعلاً .. ومؤكد أن جبهة المعارضة قد خسرت أشخاصًا ، ما دام بعضكم يمسك بالكتاب فى هذه اللحظة ..

والآن ..

Looloo
www.looloolibrary.com

كل ما أطالبك به ، لو كان هذا مرورك الأول ، حتى تكون طرفًا فى اللعبة ــ ما دمت تصر أن تفعل بكامل إرادتك ــ أن تحرر عقلك .. وأن تترك العنان لمخيلتك .. وأن تنسى بعد ذلك للحظات كل ما قرأته عن الشخصيات التى ستصادفك هنا ..

وبعدها ..

عليك ألا تفكر للحظة واحدة فى أية نتائج محتملة للعبة كتلك ..

عن نفسى .. أعدك أننى لن ألتزم بحدود عقل ولا منطق ..

وعن نفسك .. يجب ألا تطالبنى بذلك ..

-1-

ارتفع هزيم الرعد هادرًا للحظة خاطفة .. ثم عم بعده صمت رهيب ، امتد كأنما بلا نهاية .. إلا من صرخة (سونيا جراهام) ، التى انطلقت بكل صرامة وحزم وشماتة العالم :

ــ اقتله يا (خميس) ..

قالتها وضغطت أسنانها فى جنون عجيب ..

وبالرغم من شعاع البرق الذى انعكس على وجهها للحظة خاطفة ، فكشف خليط المشاعر العجيبة ، التى ارتسمت بأبشع صورها فى ملامحها ، إلا أن المشهد بأكمله بدا متجمدًا إلا من نسمات الهواء التى عبثت لوهلة بخصلة نافرة من شعر (أدهم) المشتعل بالشيب عن آخره ، حتى أنها حبست أنفاسها وهى تلقى نظرة جنونية عجيبة لم تتمكن برغم دقة الموقف من إخفائها نحو الشاب الذى يقف أمامها مباشرة ويوليها ظهره ، وإلى غريمها الأبدى (أدهم صبرى) ، الذى يقف فى مواجهته تمامًا على الطرف الآخر من سطح البناية ، ويحمل كلاهما مسدسًا ضخمًا كل فى مواجهة الآخر ..

وبالرغم من غزارة الأمطار التى كادت تحجب الرؤية أمامها بالفعل ، إلا إنها لم تتمكن من منع ابتسامة التشفى الظافرة التى سيطرت هذه المرة على معالم وجهها المتغضن ، وهى تطالع وجه أدهم المتغضن بدوره ، وملامحه الطاعنة فى السن .. وفى قرارة نفسها كان هناك بركان ثائر من المشاعر ..

www.looloolibrary.com

كانت هذه اللحظة التى حلمت بها طويلاً ..

اللحظة التى كرست عمرها بأسره لأجلها ..

اللحظة التى كان على (أدهم صبرى) أن يواجه فيها أسوأ كوابيسه ..

ابنه الوحيد !..

الشخص الذى لم يخطر له على بال مهما جنح به الخيال أن تكون نهايته على يديه !..

ابنه الذى نذرته ونذرت معه عمرها ليقتله ..

وليذيقه أشد الكئوس مرارة ..

وليكن فى ذلك انتقامًا حاسمًا وأخيرًا منه ..

من (أدهم) ..

عدوها اللدود ..

وزوجها السابق ..

وحب عمرها الوحيد ..

(أدهم) الذى أذاقها مرارة الهزيمة عشرات المرات ..

(أدهم) الذى قهرها وجعل منها أضحوكة لأجهزة المخابرات فى العالم ..

(أدهم) الذى تزوجها دون مهر ولا شبكة أو حفل زفاف محترم تحرق به قلب (دونا كارولينا) وبقية النسوة فى المخابرات ومنظمات الجاسوسية الخاصة ..

(أدهم) الذى أقسمت أن تجرجره فى المحاكم وتخنق أنفاسه بالمؤخر والنفقة ..

لولا أنه فر ببراعة كعادته !..

فر ليعود إلى (منى) ..

غريمتها اللدود ..

(منى) التى لم يتوقف عن حبها لحظة واحدة ..

(منى) التى كثيرًا ما ضبطت صورها فى ملفات عملياته ..

وأرقامها ورسائلها على هاتفه النقال ..

(منى) التى شارك فى عرض الـ « ألف رسالة » خصيصًا لأجلها .. واستهلكها كاملة عليها دون أن يتذكرها برسالة واحدة ، ولو على سبيل الخطأ !..

(منى) التى جعل من أغنية « يا منى قلبى ويا أحلى منى » نغمة لهاتفه النقال لأجل عينيها .. وليحرق قلبها فى كل مرة كان هاتفه يرن فيها .. دون أن يراعى مشاعرها لمرة واحدة ..

(منى) التى فر لأجلها دون حتى أن يستكمل معها أقساط الثلاجة ..

ولم يكد ذكر الثلاجة يرد إلى خاطرها حتى أورثها حنقا وغلا شديدين ، وهى تسترجع ذكريات الديّانة الذين طاردوها فى كل مكان ، بلا هوادة ، حتى أحالوا حياتها جحيمًا ، دون أن يكترث هو لذلك لحظة واحدة ، مما جعلها تصرخ مرة أخرى بغضب هادر :

ـ اقتله يا خميس .. اقتله .. اقتله ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وقبل حتى أن تنهى آخر حروف صرختها انطلقت رصاصتان ..

وانتفض جسدها بأسره مع الصوت الذى دوى كقنبلتين متتاليتين فى ظلام الليل ..

والواقع أن إحداهما كانت تسبق الأخرى بجزء من الثانية ..

وكانت هذه الفترة كافية تمامًا للرصاصة التى انطلقت من مسدس (أدهم صبرى) .. لتستقر فى منتصف جبهة الشاب بمنتهى الدقة ..

واتسعت عينا (سونيا) فى ذهول ..

اتسعت ألف مرة ومرة وهى تتابع جسد الشاب الذى انتزعته الرصاصة من مكانه فطاشت معه رصاصته فى الفراغ .. قبل أن يستمر فى الاندفاع للخلف .. ليرتطم بسور السطح القصير ثم يتخطاه فى عنف ليهوى من حالق ..

أما (أدهم صبرى) نفسه فقد تسمر فى مكانه بذات البرود ، دون أن تبدو على ملامحه أية انفعالات ، وابتسم بعدها بثقة وهو يعيد خصلة شعره النافرة مكانها قبل أن يتبع بثقة :

ـ نياها .. يا لى من شرير ..

أما هى فقد أعادت النظر إليه مرة أخرى فى عدم تصديق ، وهى تتمتم فى ذهول ..

ـ مستحيل !.. ماذا فعلت !!. ماذا فعلت !!.

ثم اندفعت نحوه بغتة وهى تصرخ بهستيريا مفاجئة ..

ـ لقد قتلت ابنك ..

ـ قتلت ابننا ..

ـ قتلته ..

ـ قتلته ..

ـ قتلته ..

قالتها واندفعت نحو حافة السطح ، حيث هوت جثة ابنها ، الذى ابتلعه ظلام الشارع بالأسفل ، دون أن تلتفت لمعالم الذهول التى ارتسمت بدورها على وجه (أدهم صبرى) نفسه ، ثم انطلقت صرختها الملتاعة المدوية لتشق الظلام :

ـ خمييييييييييس

وانتفض جسدها بعنف ، وهى تتخيل عظامه التى تحطمت على أسفلت الشارع ..

وانتفض !..

وانتفض !..

وانتفض !..

وانتفض !..

ثم هبت من سريرها بغتة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

كان البرق الذى لم يتوقف لحظة واحدة منذ بدأت الأحداث يشق جو الغرفة من خلف النافذة نصف المفتوحة ، مما دفعها دفعا للنهوض من فراشها ، والسير نحو النافذة ، ثم وقفت تطالع السماء من خلفها ، وعادت بذاكرتها إلى بداية الأحداث ..

* * *

بدأت الحكاية منذ اللحظة التى قررت فيها الظهور مرة أخرى .. ولأنه المستقبل ، فقد عادت طاعنة فى السن ، مفرطة فى الشيخوخة ..

ولأن ظهورها ليس بالأمر الهين ، ومرتبط دومًا بالكوارث ، فقد استطاع رجال المخابرات العلمية فى مصر رصدها .. مما جعل القائد الأعلى يستدعى (نور) و(أكرم) ، اللذين يخوضان مغامرة عنيفة فى طريقهما لمبنى المخابرات العلمية الجديد فى (بركة السبع) .. بدءًا من عملية « تثبيت » عشوائية من قبل بعض البلطجية ، يقومون خلالها بتجريدهم من كل متعلقاتهم وأموالهم ! ، وانتهاءً بسائقى عربات الكارو ، الذين لم يجدا وسيلة غيرها لنقلهما ، بعد أن جردهما البلطجية من ملابسيهما .. فيخوضان معهم أحداثًا شديدة القسوة ، ليصلا فى نهاية الأمر إلى مبنى المخابرات العلمية .. حيث يتم تكليفهما بمهمة غريبة لم تخطر لأحدهما على بال .. تتلخص فى العودة إلى الماضى ، حيث زمن (أدهم صبرى) تحديدا ، لإطلاعه على تفاصيل ظهور (سونيا جراهام) ، والعودة به إلى زمنهما ، باعتباره أفضل من يمكنه التعامل معها ، وحتى يتمكن من استعادة ولده منها ، والذى قامت بإخفائه عنه قديمًا ، حتى أنه لم يجده طوال السنوات الماضية أبدا ..

وفى نفس الوقت الذى تستعين فيه هى نفسها بالموساد ، الذى يرسل إليها واحدة من أهم عميلاته على الإطلاق ، (تفيدة جراهام) .. فتاة المخابرات الإسرائيلية المتعجرفة وشديدة الخطورة ، التى تقابلها للمرة الأولى بالكثير من الغطرسة ، فتدفعها للسخرية منها .. وبرغم ذلك تكلفها مهمة محددة فى مصر .. تتلخص فى الوصول لابنها (آدم) ، بعد أن تكشف لها أوراقها كاملة ، وتطلعها على خطتها المحكمة لإخفائه عن (أدهم صبرى) ــ والده ــ والتى بدأت بوضعه فى مصر ، حيث ينمو فى أحد أحياء القاهرة الشعبية ، آخر مكان يمكن أن يخطر لأحد ــ حتى أدهم نفسه ــ على بال !.. حيث يتحول اسمه هناك إلى (خميس العترة) ..

ومع وصولها للقاهرة تصطدم (تفيدة جراهام) نفسها بأول حقيقة من نوعها عن (آدم) ، لقد كبر الفتى ، متدرجًا فى عالم الجريمة ، حتى أصبح يسيطر على عالمها السفلى بأكمله هناك ...

وفى نفس الوقت الذى يخوض فيه (نور) و(أكرم) الأهوال فى رحلتهما الزمنية للوصول لـ (أدهم صبرى) ، يواجه رفاقهما أغرب حادثة وقعت للفريق على الإطلاق .. فبخلاف عودة (محمود) ، الذى يكشف لهما أنه لا يوجد ما يسمى « نهر الزمن » ولا « ترعة الزمن » ، تصعقهم حقيقة أن (س ــ 18) يتكلم ، وبطلاقة ، بل ويغنى أيضًا !

أما (س ــ 18) نفسه ، فتكشف الأحداث عن أخطر سر فى حياته على الإطلاق ؛ زواجه العرفى الذى تم فى سرية تامة بفتاة السينما الآلية (جـ ــ 18) ، والتى تهرب من منزلها بعد افتضاح أمر حملها منه ، لتسقط فى براثن الشرطة الكونية ، التى تلقى بها فى « سجن الآليات »

www.looloolibrary.com

بالقناطر ، حيث تكسبها ظروف الحبس هناك طباعا جديدة شديدة القسوة ، تدفع بها للفتك ببعض الآليات .. ولتكتسب على أثرها عداوات بلا حدود .. قبل أن تتدبر خطة محكمة للهرب من السجن ، يتم كشفها فى اللحظة الأخيرة ..

ومع تطور الأحداث ، ينجح (نور) و(أكرم) فى الوصول لـ (أدهم صبرى) ، وبعد تصادم مباشر يثير ذهولهما مع أبنائه الصغار ، يلقنوهما خلاله ضربًا مبرحًا ، تفاجئهما حقيقة أخرى مذهلة ؛ (أدهم) الذى عادا فى الزمن لملاقاته مجرد مجرم خطير تسعى شرطة مصر بأكملها فى أثره .. وبمجرد وصولهما إليه يحاصر رجال الشرطة البناية التى يسكن فيها فى اللحظات الأخيرة ، قبل الاعتراف له بسر بحثهما عنه ، وعبر مكبرات الصوت يأتيهما صوت رجال الشرطة الذين يطالبون (أدهم) بالاستسلام ، بعد سقوط أعوانه (منى) و(قدرى) !

هنالك تتحول مهمة (نور) و(أكرم) تلقائيًا ــ باعتبارهما رجال أمن فى الأساس ــ إلى القبض على (أدهم صبرى) ، وتسليمه للعدالة ..

وفى اللحظة التى يقفز فيها (أدهم) أمامهما من الشرفة ، تبدأ أغرب مطاردة فى حياة (نور) و(أكرم) على الإطلاق ..

مطاردة (أدهم صبرى)(*) .

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (صراع الأوغاد) ، العدد رقم (31) سلة الروايات ..

استفاقت (سونيا) من شرودها دفعة واحدة على صوت الجلبة الشديدة التى تلت الانفجار الصغير المكتوم ، الذى أتاها من خارج باب حجرتها مباشرة .. وبرغم سنوات عمرها ، وعظامها التى كانت تعانى الهشاشة ، فقد قفزت فى رشاقة لا تناسب هذه السنوات التى فاقت الثمانين .. ثم سحبت مسدسها الصغير من تحت الوسادة ، وتراجعت للخلف وهى تصوبه للأمام .. فى نفس الوقت الذى ارتفعت فيه طرقات هادئة على باب حجرتها الصغير .. مما جعلها تتراجع للخلف باتجاه النافذة ــ حتى لاصق ظهرها الحائط .. حينما انفتح الباب دفعة واحدة .. ثم اتسعت عيناها حينما طالعت وجه القادم فى ذهول ..

فعلى باب غرفتها كان يقف آخر شخص يمكن لها أو لأى شخص آخر تخيله على الإطلاق ...

كانت هى ..

(سونيا جراهام) نفسها ..

ولكن فى كامل جمالها !

وتألقها !

وشبابها !

* * *

تجمدت ملامح (سلوى) تمامًا ، وارتسمت على وجهها أقصى علامات الذهول وهى تتابع القائد الأعلى الذى رفع وعاء الحساء إلى فمه ، وراح

Looloo
www.looloolibrary.com

يرشف منه بصوت كادت تقسم أنه تخطى المنزل المجاور لهم .. تجشأ بعدها ، ثم وضعه إلى جواره بعدما أتى على نصفه على أقل تقدير ، وامتدت يده نحو الطبق الذى أمامها وهو يقول بانتشاء عجيب موجها الحديث للجميع :

ـ (سلوى) هذه أفضل من يصنع « الكوارع » فى مصر ..

قالها وتناول منه « فردة كوارع » تطلع إليها قليلاً ، ثم وضعها على حرف المائدة أمامه ، وبدأ الطرق عليها بطرف الملعقة ..

هنالك أطلقت (نشوى) صرخة انفلتت على الرغم منها ، ثم امتدت يدها نحو الوعاء أمامها ، والذى راح الحساء يتبعثر منه على ثيابها ، إثر الارتجاج الذى أصاب المائدة نفسها .. حتى أن القائد الأعلى تنحنح فى حرج للحظة ، ثم اتسعت ابتسامته كأنما توصل للحل ، قبل أن يضع الملعقة جانبا ، ويشمر عن ساعديه ، ثم أمسك بالعظمة فى يده وبدأ فى مد إصبعه فى مجرى النخاع بداخلها ، وراح يعبث فيه بصوت مسموع ، تقلصت له معالم وجوههم جميعًا ، مما جعل صرخة متقززة تنفلت من (محمود) على الرغم منه :

ـ يعع !..

أما القائد الأعلى ، فقد بدا كأنما لم ينتبه لذلك ، إذ وضع العظمة نفسها على فمه ، وبدأ مرحلة جديدة لاستخراج محتوياتها .. راح يشفط بصوت مخيف !..

هنالك وضعت (مشيرة) ـ التى فقدت مقدرتها على التحمل ـ يدها على فمها ، وجرت نحو المرحاض ، مما جعله يتابعها ببصره باستغراب ، وهو يحمل « فردة الكوارع » بيد ، و يمسك دجاجة كاملة ـ التهم منها جزءًا كبيرًا دفعة واحدة ـ باليد الأخرى ، قبل أن يقول بفم ملىء بالطعام ، وهو يرفع طبق الحساء إلى فمه :

ـ رقيقة هى (مشيرة) ، ومؤكد أن معدتها أكثر رقة ولا تتحمل هذا الطعام الدسم ..

سلوب !.. سلوب !..

هنالك أطلقت (نشوى) صرخة ممتعضة ؛ حينما تناثرت فتات الطعام من فمه على الطعام أمامها ، لكنه أطلق ضحكة مجلجلة لا مبالية ، التهم على إثرها قطعة أخرى من الدجاجة ..

أما (سلوى) فقد مالت على أذن (رمزى) وقالت فى حنق :

ـ حاول التصرف يا (رمزى) ، لو استمر على ذلك دقيقة أخرى ، فسنخلص أحدنا من بين أنيابه !..

أجابها (رمزى) بوجوم غريب ، وهو يحملق فى الشراهة العجيبة التى يلتهم بها الطعام :

ـ كخبير نفسى يمكننى الجزم بأنه ما من طريقة لإيقافه الآن ..

استطردت بزمجرة ، وهى تجز على أسنانها ، وقد أوشكت أعصابها على الانفلات :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ تصرف ، وإلا فأقسم أنى سأطرده بنفسى شر طردة ، وليكن ما يكون ..

ازدرد (رمزى) لعابه بصعوبة ، وقد أفزعه الخاطر ، قبل أن يجيبها بتوتر :

ــ تروى يا (سلوى) ، وإياك والتهور ، وإلا وجدنا أنفسنا جميعًا بلا وظيفة ، لاحظى أنك تتحدثين عن القائد الأعلى ..

ضغطت أسنانها وتمتمت بسخط :

ــ للأسف ! ، أعرف أن هذا « المفجوع » هو القائـــ....

هنالك سعل (رمزى) بقوة مفتعلة ، حتى يمنعها من الاستمرار فى حديثها .. قبل أن يرسم على وجهه ملامح الجدية ، ويخاطبها بصوت مرتفع حرص على أن يصل القائد الأعلى :

ــ يقال إن مجاعة شديدة تجتاح أمريكا اللاتينية هذه الأيام ..

طرقت (سلوى) بيدها على طرف المائدة بغل ، وهى تحدج القائد الأعلى بنظرة نارية ، قبل أن تتبع :

ــ ولما نذهب بعيدًا ، ستجتاح هذه المجاعات مصر عما قريب ..

قالتها ونفثت أنفاسها فى حنق ، بينما استدار (رمزى) نحو القائد الأعلى وسأله مباشرة :

ــ أسمعت عن هذه المجاعات يا سيدى ؟..

لم يبدُ على القائد الأعلى أنه انتبه لعبارته من الأساس ، وهو يلوك الطعام فى فمه بسرعة عجيبة ، قبل أن يستدير نحو (سلوى) ، التى كانت تعض على أناملها من الغيظ بتساؤل قائلاً :

ــ أين الملوخية بالأرانب التى كنتِ قد وعدتِ بها يا (سلوى) ؟!..

تمتمت بكلمات ساخطة غير مفهومة ، وهى تضم قبضتها بقوة ، بينما تنحنح (رمزى) بسخط نارى .. وقبل أن يتفوه أحدهما بحرف واحد اندفعت (مشيرة) نحو المكان صارخة :

ــ كارثة يا رفاق .. كارثة !..

انتفض الجميع فى أماكنهم ، واحتضن القائد الأعلى فخذ الضأن الذى كان يهم بالتهامه إلى صدره ، بينما استدركت هى بلهجة أقرب للانهيار :

ــ لقد شب حريق هائل فى مبنى المخابرات العلمية ، ويؤكدون هناك أن النيران قد بلغت كل شىء ، حتى غرفتك الخاصة يا سيدى و ...

ولم تستكمل عبارتها مع ملامح الذهول التى ارتسمت فى معالم القائد الأعلى ، وفمه الذى اتسع عن آخره ؛ حتى أن فتات الطعام راحت تتساقط منه فى كل اتجاه ، وبدا كأنما تسمر فى مكانه !..

هنالك اندفع (رمزى) نحوه دون تردد ، ثم هوى على وجهه بصفعة هائلة أودعها كل قوته ، قبل أن يتبع على الفور ، وهو ينظر فى عينيه اللتين اتسعتا فى ذهول :

ــ كنت ستصاب بانهيار عصبى يا سيدى ..

وقبل أن يجيبه بحرف آخر انطلقت قبضة (رمزى) مرة أخرى فى معدته كقنبلة ، أودعها كل حنقه ، وهو يستدرك :

ــ يبدو أن حالتك أخطر مما توقعت كثيرًا يا سيدى ..

Looloo
www.looloolibrary.com

قالها وناوله لكمة ثانية ساحقة فى أنفه ، ارتد على أثرها للخلف بذهول .. فى نفس اللحظة التى اندفع فيها بقية الفريق نحوه ، كأنما وجد كل منهم فى ذلك فُرصة ذهبية ، أرادوا اغتنامها جميعًا لتفريغ حنقهم .. فى نفس اللحظة التى امتدت فيها يد (رمزى) بسرعة البرق ليمسك بمعصم (سلوى) ، التى حملت إحدى سكاكين المائدة دون أن تشعر ، واندفعت بها نحوه ، ليحول بينها وبين ما كانت ستقدم عليه .. مما جعلها تهتف صارخة :

ــ دعنى يا (رمزى) ، لقد نسف هذا المتوحش طعامنا ..

صرخ فيها لتستفيق ، ثم اندفع نحو القائد الأعلى ، الذى راح يترنح فى مكانه وهو يجاهد ليقف على قدميه ، وقد تهدلت هيئته ، وتبعثر شعر رأسه ، قبل أن يتمالك نفسه بمعجزة ، ويندفع نحو الباب ، كأنما تطارده الشياطين ، فى نفس اللحظة التى تعالى فيها نداء (محمود) صائحًا :

ــ سيدى ..

استدار نحوه تلقائيًا قبل أن يعبر الباب ، مما جعل (محمود) يقذف إليه بـ « دكر بط » كامل ، ثم يتبع وهو يومئ برأسه :

ــ سلِّ نفسك به فى الطريق ..

تلقفه القائد الأعلى مباشرة بسعادة ، ثم نظر بتردد نحوه ونحو المائدة العامرة التى تركها للتو ، قبل أن يتبع لنفسه بحسرة وحسم :

ــ أفضل من لا شىء ..

قالها واندفع مغادرًا المكان ، فى نفس اللحظة التى نظر فيها (رمزى) بشك نحو (مشيرة) ، قبل أن يتبع بلهجة مرتابة :

ــ كخبير نفسى يمكننى الـ ...

قاطعته (مشيرة) بخيلاء :

ــ وفر خبراتك فى هذا المجال لنفسك يا عزيزى ، استنتاجك صحيح تمامًا ..

هنالك تحولت نظرات الدهشة فى عيون الجميع إلى صيحات إعجاب ، وانبهار ملأت المكان ..

عن آخره ..

ولأقصى حد !..

* * *

اتسعت عينا (أكرم) بدهشة ، وهو يحملق فى القفزة الهائلة التى قفزها (أدهم صبرى) من شرفة شقته فى الدور الخامس ، ثم نظر بوجوم غريب نحو (نور) الذى كان يتأهب بدوره للقفز خلفه ، قبل أن يتساءل بارتياب :

ــ علامَ ستقدم يا (نور) !!.

أجابه (نور) ببساطة وهو يعتلى جدار الشرفة :

ــ سنقفز خلفه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ارتد (أكرم) بجسده للخلف وهو يحملق فى الأمتار السبعة التى تفصل بين الشرفة التى يقفان فيها والشرفة المواجهة ، والتى تعلق (أدهم) فيها للتو ، قبل أن يتمم بذهول :

ـ نقفز !!..

قالها قبل أن يتبع بلهجة حانقة لم تبلغ أذن (نور) :

ـ لماذا قبلت هذه المهمة منذ البداية !..

فى اللحظة التالية قفز (نور) ، قبل أن يحلق بجسمه للحظة خلال الأمتار السبعة التى يحتلها فراغ الشارع ، ثم يتعلق بأطراف أصابعه فى حافة الشرفة المواجهة فى صعوبة كادت تنفلت معها ، ليمنع جسده من أن يهوى إلى أسفل .. ثم اعتدل فى سرعة قبل أن يشير إلى (أكرم) ، الذى تجمد فى مكانه هاتفًا :

ـ اقفز يا (أكرم) .. اقفز ..

اصفر وجه (أكرم) ، الذى نظر من حافة الشرفة لأسفل ، ثم تمتم بذهول :

ـ سأسقط فى الشارع يا (نور) إنها سبعة ...

لم يمنحه (نور) الفرصة ليستكمل عبارته وهو يصرخ فيه :

ـ اقفز يا (أكرم) .. هذا أمر ..

خبط (أكرم) إحدى قدميه فى الأرض بعناد قبل أن يتبع :

ـ قلت لك سأسقط فى الشارع يا (نور) ، سأسقط !..

رفع (نور) عينيه لأعلى حيث اختفى (أدهم صبرى) ، الذى تسلق الشرفات بسرعة خارقة ، ثم اختفى عند سطح البناية ، قبل أن يتبع بصرامة ، وهو يرفع مسدسه الليزرى فى وجه (أكرم) :

ـ أقسم أنى سأصنع ثقبًا فى منتصف جبهتك لو لم تقفز الآن ..

كان (أكرم) قد انتوى أن يتمادى فى عناده ، حينما ارتفعت صرخة طفولية مع صوت باب الغرفة التى يقف فى شرفتها الذى انفتح بغتة :

ـ اللص ما زال هنا يا رفاااق ..

استدار دفعة واحدة ليطالعه وجوه أبناء (أدهم) الأربعة الذين اندفعوا نحوه بلا مقدمات ، ودون أن يفكر لحظة واحدة تراجع خطوتين إلى الخلف ، ثم اندفع كالسهم نحو الشرفة ، وأمامه على الشرفة المواجهة ارتسمت ابتسامة على وجه (نور) ، الذى راح يقترب ...

ويقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وامتدت يد (أكرم) نحو سور الشرفة ، وقبل أن يبلغه بـ (1/ 14251732) من الملليمتر راح جسمه يستجيب لنداء الجاذبية ويهوى لأسفل ، واتسعت عيناه بذهول ، وهو يتابع وجه (نور) الذى راح يبتعد ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ويبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

ثم ارتطم جسده بعنف فى أرضية شرفة الدور الذى يسبقه مباشرة ..

كانت الصدمة عنيفة ..

قاسية ..

ارتجت لها كل خلية فى جسده ، قبل أن يستكين على أرضية الشرفة فى وهن ، ويغمض عينيه ، ثم فتحهما مرة أخرى بإعياء ، حينما انفتح باب الشرفة دفعة واحدة ، وظهرت سيدة شديدة الضخامة تمسك فى يدها منفضة سجاد ضخمة وتصيح بشراسة :

ــ مسكت الحرامى اللى كل مرة يسرق الغسيل يا (أبو محاسن) ..

قالتها ثم جلست فوقه مباشرة ..

هنالك أحس (أكرم) بأن جبلا كاملا قد جثا فوق ظهره ، وأن جدار بطنه قد التصق بعموده الفقرى ، مما أعجزه عن التنفس ..

وفى اللحظة التى كان يجاهد فيها لالتقاط أنفاسه ، كان زوجها (أبو محاسن) قد اندفع إلى المكان ، وهو يحمل بيده سكينًا ضخمًا ، ثم

ظهرت فتاة تفوق أمها فى الحجم من غرفة داخلية ، وقد جعلها شعرها المجعد « الهايش » الذى تناثر فوق رأسها وجبهتها أقرب للمذعوبين ، وما أن رأت (أكرم) ، الذى كان يلفظ أنفاسه تحت ثقل أمها حتى صاحت :

ــ هو ده الراجل اللى قلت لك إنه كان بيعاكسنى كل يوم آباباا ..

أعاد الرجل نظره مرة أخرى نحو (أكرم) قبل أن يسألها بشراسة :

ــ متأكدة آبت ؟!..

أجابته بحسم وهى تهرش شعرها مرة أخرى :

ــ أيوة آبابا ..

هنالك رفع (أكرم) رأسه لأعلى بوهن ، وتطلع فيها بعينيه الذاهلتين ، ثم تمتم بذهول ، وهو يتابع ملامحها المخيفة بذهول ، لكن لسانه لم يسعفه :

ــ (محاسن) !!.. كيف تكون المساو....

وقبل أن يكمل عبارته الذاهلة ، سقط على الأرض مرة أخرى ..

وفقد الوعى ..

* * *

انتفض الدكتور (ناظم)(*). فى مكانه ، حينما اندفع مدير مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية إلى مكتبه ، دون استئذان ، صارخًا :

(*) الله يرحمه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ كارثة يا سيدى .. كارثة ..

قالها قبل أن يتبع ، دون أن يترك له فرصة للتساؤل :

ــ لقد تم القبض على القائد الأعلى ..

هناك اتسعت عينا الدكتور (ناظم) عن آخرهما ، قبل أن يتمتم بذهول :

ــ ماذا !!..

التقط الرجل أنفاسه ، وهو يستدرك بصعوبة :

ــ هذا ما حدث يا سيدى ، لقد تأكدت بنفسى من صحة الأمر ..

هذه المرة ترك الدكتور (ناظم) العنان لمشاعر الذهول بداخله ، وهو يتساءل :

ــ وكيف حدث ذلك ؟

تنحنح الرجل بحرج ، قبل أن يجيبه بتلعثم :

لقد قبضت عليه إحدى دوريات التحرى ..

أطلق الدكتور (ناظم) صرخة غاضبة ، أخرج فيها كل انفعالاته :

ــ كيف يجرؤون ، ألا يعرفون من يكون ؟؟

خفض الرجل رأسه على الأرض وأجاب بذات التوتر :

ــ لم يتأكدوا من هويته يا سيدى ، ولقد تمكنت من الحصول على صورة من المعلومات التى أوردها المحضر بأسلوبى الخاص ، وقد أوضحت أنهم ألقوا القبض عليه بجوار أحد المطاعم ، وكان شديد التوتر ، ويوارى شيئًا فى ملابسه ، و ...

قالها ثم صمت دفعة واحدة ، كأنما لا يجرؤ على استكمال ما لديه ، مما جعل الدكتور (ناظم) يصرخ فيه بكل غضب العالم :

ــ هات ما لديك ولا تصمت ..

بدا الرجل شديد التردد ، قبل أن يتبع بخجل :

ــ لقد كان يوارى « دكر بط » مشويًا فى ثيابه يا سيدى ، وقد شكوا أنه سرقه من المطعم ..

ــ تقلصت معالم وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يتمتم بذهول بلغ ذروته :

ــ « دكر بط » !!

ازدرد الرجل لعابه دفعة واحدة ، قبل أن يتبع مباشرة :

ــ لكنه استنكر ذلك فى التحقيقات ، وأخبرهم أنه حصل عليه من منزل المقدم (نور الدين محمود) ، و ...

أما الدكتور (ناظم) فقد هز رأسه بعدم تصديق ، قبل أن يتمتم بذهول :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ يا للكارثة !.. بل يا للعار !..

ثم ازدرد لعابه قبل أن يتبع بالأسلوب ذاته :

ــ هــذه نهايته « الفجعــة » التى يعانى منها ، ولقــد حذرته بنفسى مرارًا ..

قالها وهب من مكانه ، وانطلق إلى الخارج ..

على الفور ..

* * *

انتفض (ممدوح) دفعة واحدة ، حينما انفتح باب الحجرة بغتة ، حتى أنه تراجع للخلف لا إراديا ، واصطدم بإحدى قطع الأثاث ، وسقط على ظهره ، حتى أن الوافد الجديد اندفع نحوه مباشرة وقال بقلق :

ــ (ممدوح) ماذا حدث ، هل تأذيت من السقطة ؟ ..

تنفس (ممدوح) الصعداء وهم يتمتم متوترًا :

ــ اللواء (مراد) !..

أطلق اللواء (مراد) تنهيدة حارة ، وألقى نظرة على ملابسه البالية قبل أن يتبع :

ــ تقصد سابقًا ..

تجاهله (ممدوح) ، وهو يهز رأسه ، كأنما ليستفيق :

ظننتك للحظة أحد الديَّانة الذين يطاردوننى .. أنت تعلم أن صاحب المنزل قد توعدنى صراحة ، و ...

قاطعه اللواء (مراد) بتنهيدة حارة :

ــ ليته صاحب المنزل فقط ، البقال والجزار وصاحب المخبز المجاور وصاحب محل الألبان قد أقسموا على تمزيقك بلا رحمة ..

ازدرد (ممدوح) لعابه بفزع ، قبل أن يتبع بصعوبة ، كأنما أراد تغيير الموضوع :

ــ ولكن كيف تسللت إلى هنا دون أن أشعر بك !

أجابه اللواء (مراد) بغضب :

ــ هل نسيت أنى رجل عمليات خاصة سابق ، أم أن عربة الترمس التى أصبحت أعمل عليها قد أنستك حقيقتى السابقة ؟..

أجابه (ممدوح) بحرج :

ــ لم أقصد أن ..

قاطعه اللواء (مراد) كأنما ليعفيه من الحرج :

ــ لا عليك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فى تلك اللحظة انتبه (ممدوح) للفافة التى كان يمسك بها فى يده ، لكن اللواء (مراد) لم يعطه الفرصة للتساؤل أكثر هذه المرة وهو يفضها ، ويخـرج حلة أنيقـة ، ما أن رآها (ممدوح) حتى أطلق تنهيدة ، وهو يقول :

ــ هل تتذكر هذه يا (ممدوح) ؟

حملق (ممدوح) فيها لوهلة ، كأنما يسترجع ذكريات بعيدة ، قبل أن يجيب :

ــ العهدة القديمة ؟

ابتسم اللواء (مراد) ، وهو يومئ برأسه :

ــ نعم ، العهدة التى كنت قد تسلمتها من (المكتب رقم 19) فى بداية التحاقك به ..

تناولها منه (ممدوح) بحرص ، وهو يتساءل :

ــ ولكن كيـف حصلت عليها ، لقـد قمـت بتسليمها فى أواخر أيامى هناك !..

ابتسم اللواء (مراد) وهو يجيب :

ــ لا زالت لى أساليبى الخاصة يا (ممدوح) ..

قالها قبل أن يتبع :

ــ هيا إذًا ، قم بارتدائها سريعًا ، لأتأكد من احتياطاتك قبل بدء مغامرتك الجديدة ..

وما هى إلا دقائق حتى كان (ممدوح) يقف أمام اللواء (مراد) بكامل استعداده ، قبل أن يجيبه بأسلوبه المعتاد :

لقد انتهيت تقريبًا يا سيدى ..

استطرد اللواء (مراد) بذات اللهجة المعتادة :

ــ دعنا نراجع الأمر إذًا ..

ثم سحب نفسًا عميقًا ، كأنما يستعيد ذكرى الأيام الخوالى ، قبل أن يقول بآلية :

ــ هل تأكدت من وجود المسدس سريع الطلقات فى مكانه بزر سترتك الأيسر ؟

أجابه (ممدوح) على الفور :

ــ نعم ..

والمدفع الرشاش بالزر الأيمن ؟

ــ نعم ..

Looloo
www.loolpolibrary.com

ــ وقاذفة القنابل فى الجيب الداخلى ؟

ــ نعم ..

ــ وقاذفة اللهب فى جيب القميص ؟

ــ نعم ..

ــ ومدفع البازوكا فى ياقة السترة ؟

ــ نعم ..

ــ والدبابة فى ملابسك الداخلية ؟

احتقن وجه (ممدوح) لثانية قبل أن يجيب بحرج :

ــ أنت تفهم أوضاعى المادية يا سيدى ، و ...

زوى اللواء (مراد) ما بين عينيه بتساؤل قبل أن يقول :

ــ ألم تعد تمتلك ملابس داخـ ...

لكن الوقـت لم يسـعفه لتلقى إجابة هـذه المرة ؛ إذ اندفعت الطرقات المتتالية كالسيل على باب المنـزل ، مع الصـوت الجهورى الذى طرق مسامعيهما معًا :

ــ افتح الباب يا (ممدوح) .. احنا عارفين إنك جوه ، عاوزين فلوسنا يا نصاب ..

احتقن وجه (ممدوح) ، قبل أن يقول بأنفاس متقطعة :

ــ إنه صوت الجزار ..

قالها فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت ثانٍ وثالث ورابع .. حتى أن اللواء (مراد) قد تسلل بخفة وألقى نظرة من خلف الباب المغلق ، قبل أن يقول فى فزع :

ــ هل أنت مدين لهذه الدرجة ! ، نصف سكان مصر أمام منزلك !

أجابه (ممدوح) بصوت متحشرج :

ــ إنها الظروف يا سيدى كما تعلم ..

أطلق اللواء (مراد) تنهيدة ساخطة ، قبل أن يقول بحنق ..

ــ لقد ألححت عليك كثيرًا لتشاركنى العمل على عربة الترمس ، لكنك كنت تصر دومًا على الرفض ..

قالها ، ثم لانت ملامحه عن ابتسامة ، وربت على كتف (ممدوح) ، قبل أن يتبع بلهجة خاصة :

ــ ولكن انسَ ما فات ، لقد عدت للعمل ، ومؤكد أن الأمور ستعود لسابق عهدها قريبًا ..

قالها قبل أن يتبع بلهجة شديدة جمدت الدماء فى عروقه :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ ولكن أثبت نفسك يا (ممدوح) ، نحن فى حاجة لهذه المهمة ، وأنت تعلم ..

أجابه (ممدوح) بثبات ، كأنما أعادت إليه لهجته حنينه الكامل للأيام الماضية :

ــ سأبذل قصارى جهدى يا سيدى ، لا تقلق ..

ولم يكد اللواء (مراد) يربت على كتفه ، حتى انفتح باب الشقة عنوة تحت الضغط ، واندفع جميع الديانة دفعة واحدة نحو الداخل كالإعصار ، مما جعله يندفع باتجاههم أمام أعين (ممدوح) الذاهلة ، ليحول بينه وبينهم ، وهو يصرخ :

ــ اهرب يا (ممدوح) .. اهرب ..

تردد (ممدوح) للحظة من أثر المفاجأة ، مما جعله يصرخ فيه مرة أخرى بكل قوته ، وهو يصنع حاجزًا بينه وبينهم :

ــ اقفز من النافذة يا (ممدوح) .. اقفز يا رجل .. هذه آخر فرصة لنا للعمل مرة أخرى .. اقفز ..

هذه المرة لم يتردد (ممدوح) لحظة واحدة ، إذ اندفع نحو النافذة ، وقفز منها على الفور ، قبل أن يعتلى الإفريز ، ويتسلق لأعلى كأنما تطارده الشياطين .. ولم يكد يعتلى حافة السطح ، حتى ارتفعت الجلبة بأسفل ، ثم

طرقت مسامعه صرخات اللواء (مراد) المدوية ، الذى سقط فى أيدى الديانة بدلاً منه ، وبدت كما لو أن صاحبها يتعرض لعذاب لا قبل له به ..

ــ غيتونى يا نااااااس ..

أما هو فقد ازدرد لعابه بصعوبة ، وهو يتخيل نفسه بموضعه ، ثم شد قامته دفعة واحدة ، وقال بحسم :

ــ الله يرحمك يا لواء (مراد) ..

واندفع نحو السطح المقابل ..

* * *

كان وعى (أكرم) ينسحب تدريجيًا ، والرؤية تزيغ أمام عينيه ، وهو يجاهد لالتقاط ذرات الهواء من الفراغ المحيط به بصعوبة ، ويجاهد باستماتة أكثر للتخلص من جسد السيدة ، الذى كان يجثم فوقه كألف طن دون جدوى .. حتى أنه مد يديه ــ اللتين بدأتا فى الارتخاء ــ للأمام ، كأنما يحاول التشبث بما تصل إليه يداه .. قبل أن تخمد يداه وتسقطان على أرضية المكان .. ثم فجأة أمسكت يد قوية بيده ، مما جعله يفتح عينيه دفعة واحدة ، ليجد (نور) أمامه !

فهتف كمن يتشبث بأمل النجاة الأخير ..

ــ (نور) !..

Looloo
www.looloolibrary.com

قالها قبل أن يتبع بوهن بلغ منتهاه :

ــ تخيلت للحظة أنك لن تأتى أبدا ..

هنالك جذبه (نور) بقوة وهو يدفع جسد السيدة الجاسم فوقه باستماتة ، ويصرخ بكل قوته :

ــ تماسك يا (أكرم) ..

أطلق (أكرم) صرخة ألم ، خاصة أن جسدها لم يتحرك من فوقه قيد أنملة ، مما جعل (نور) يهتف بسخط :

ــ اللعنة ..

قالها ، ثم مال ليدفع جسدها الضخم ، الذى لم يتحرك من مكانه ملليمترا واحدًا بكتفه ..

دون أن ينتبه لابنتها التى قبضت بيديها على رأسه كالكلابات ، مما جعل (أكرم) يصرخ :

ــ لاااااا ... إلا (نووووور) ..

أما (نور) ، فقد جحظت عيناه واحتقن وجهه بالدماء ، وهو يجاهد ليدفع يديها بعيدا عنه دون فائدة ، حتى أنه أطلق حشرجة مفزعة ، ومد يده ليتشبث بيد (أكرم) ، الذى صرخ فيه دفعة واحدة بصوته اللاهث الذى جاهد ليصل لــ (نور) :

ــ تشبث يا (نور) ولا تستسلم ، لقد واجهنا ما هو أشد من ذلك بكثيييير ..

أراد (نور) أن يجيبه بعبارات مماثلة ، وهو يدفع كوعه بكل قوته للخلف ، فى محاولة للتملص من جسدها ويديها التى استماتت عليه كخفاش ، دون فائدة ..

وفى اللحظة التالية أدرك (نور) أنه هالك لا محالة .. خاصة مع صوت الطرق الذى ارتفع على باب المنزل ، بعدما جذب صوت الجلبة الجيران ...

ثم فجأة .. ودون مقدمات هبط جسد ممشوق أمامه مباشرة ، فرفع عينيه بصعوبة ليطالعه وجه (أدهم صبرى) الذى ابتسم ابتسامة جذلة ، قبل أن يأتيه صوته محملاً بالسخرية :

ــ مرحى .. يبدو أنكما تواجهان مشكلة ..

قالها ثم تحرك دون مقدمات ..

وفى الجزء الأول من الجزء الأول من الثانية الأولى كان قد حمل السيدة البدينة التى تجثم فوق أنفاس (أكرم) ببساطة ، وألقى بها ككرة ضخمة على أرضية البهو الداخلى للمنزل ، حتى خُيِّل لــ (أكرم) أنها ستتقافز عدة مرات فــوق أرضــية المكان الصلبة لتهــدأ فى النهاية .. ثم قبض بيديه على رقبة (محاسن) ، التى أطلقت صرخــة حادة طويلة كسرينة

looloo www.looloolibrary.com

إسعاف معطوبة ، وطرحها رأسًا على عقب بنفس المكان الذى ألقى فيه أمها ..

هنالك أطلق (أكرم) شهقة حادة ، بينما التقط (نور) أنفاسه دون أن يصدق أنه نجا .. ثم رفعا أعينهما معًا نحو (أدهم صبرى) ، الذى أعاد خصلة نافرة من شعره الفاحم إلى مكانها ، دون أن يتوقف عن التطلع نحوهما بنفس النظرة العابثة ، مما جعل (أكرم) يزوى حاجبيه ويسأله بدهشة حقيقية :

ــ لماذا قمت بإنقاذنا ؟..

وقبل أن يتفوه بحرف واحد ، أجابه (نور) بهدوء ، دون أن يخفض عينيه عن (أدهم) الذى احتفظ بابتسامته :

ــ يبدو أن السيد (أدهم) يستمتع بالمطاردة يا (أكرم) ، ويأبى بكل الطرق أن يمنعنا شىء عن استكمالها ...

اتسعت ابتسامة (أدهم) أكثر هذه المرة ، وهو يميل نحوه بسخرية سافرة :

ــ مرحى ، نحن نواجه من يجيد تشغيل عقله إذًا هذه المرة ..

ثم استدار بالأسلوب المسرحى نفسه ، وقفز ليعتلى إفريز الشرفة ببساطة .. ثم قال وهو يفرد يديه عن آخرهما :

ــ وهذا سيعطى للمطاردة مذاقًا مختلفًا ..

قالها وترك جسده ليسقط للخلف ، بينما ارتفعت ضحكته الساخرة التى أتبع بها كلماته ، وانحنى بمرونة عجيبة وهو يسقط لأسفل ، ليتشبث بإفريز شرفة الطابق الأسفل مباشرة ..

هنالك استدار (أكرم) الذى اتسعت عيناه بذهول نحو (نور) ، الذى كادت أعصابه تشتعل غيظًا ، قبل أن يقول بحنق :

ــ هل رأيت ذلك يا (نور) !.. إنه يتحدانا ..

أما (نور) نفسه فقد نهض دفعة واحدة من مكانه ، وتحسس مسدسه الليزرى ، قبل أن يقول بصرامة حاسمة :

ــ ونحن سنلقنه درسًا لن ينساه ..

ثم قفز من الشرفة بجرأة عجيبة خلف (أدهم) ..

مباشرة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

- 2 -

انتفض جميع أفراد الطاقم الأمنى فى عنف ، حينما هوت قبضة مدير سجن النساء الآليات بغضب هادر فوق مكتبه الضخم ، حتى كادت تشطره نصفين .. قبل أن يرفع عينيه اللتين قاربتا الاشتعال ، ويقول بصرامة كادت تجمد أليافهم الآلية عن العمل :

ــ هربت !!.. يعنى إيه هربت !!.. حد يرد علىّ يا بهوات ..

كان غضبه عاصفًا بلا حدود .. ولم تكد ثانية واحدة تمر دون أن يجيب أحدهم تساؤله ، حتى انهال على أقرب شخص إليه ركلاً وضربًا ، ثم تشبث برأسه دون مقدمات ، وعضه فى أذنه ..

وعلى الرغم من الصرخة الرهيبة التى أطلقها الحارس الآلى ، والانتفاضة التى سرت فى وصلات بقية أفراد الطاقم الأمنى ، وتراجعهم جميعًا فى اتجاه الحائط فى رعب ، إلا أنه دفع جسد الحارس المسكين ، الذى اندفع الشحم الأسود يغرق رقبته جانبًا .. ووقف فى وسط الحجرة كوحش ضارٍ .. قبل أن يندفع نحو مكتبه مرة أخرى كالمجنون ، ويضغط زرًا صغيرًا فوقه .. ثم يشير بيده نحو الجدار المجاور ، والذى راح يتكشف تدريجيًا .. ومن خلفه ظهرت غرفة تعذيب جانبية تدلى من سقفها اثنان من رجال الأمن الآليين ، ممن كانت مهمتهم حراسة عنبر السجن الذى فرت منه (جـ ــ 18) .. وكانت ملامحهما وأدوات التعذيب والصعق الكهربية المصطفة أمامهما ، تؤكد كم التعذيب الوحشى الذى تعرضا له .. ثم ارتج جسد أفراد الطاقم مرة أخرى حينما جاءهم صوته مخيفًا أكثر هذه المرة :

ــ أمامكم جميعًا أربع وعشرون ساعة قبل أن تعود السجينة الهاربة مكبلة بالأغلال إلى هنا ، وإلا فأقسم أنى سأجعلكم تحسدون الجرذان الغارقة على ما هى فيه ..

قالها واستدار للناحية الأخرى دون كلمة أخرى ، وفى داخله اشتعل السؤال الذى لم يجد له إجابة مرة أخرى ..

كيف تمكنت السجينة من الهرب ..

كيف !

كيف !

* * *

كان موقفًا عصيبًا بحق ..

ففى الوقت الذى أطلق فيه جهاز الإنذار الخاص بجسد الحارسة البدينة أجهزة الإنذار فى كل شبر فى السجن دون استثناء ، كان رجال الأمن والحراسة يهرعون نحو العنبر الذى تقف فيه (جـ ــ 18) بالعشرات ، ولثانية تسلل إليها شعور لا نهاية له من العجز وقلة الحيلة ..

ثم استعادت الأمل دفقة واحدة ..

كانت المعلومات التى انتقلت إليها من ذاكرة السجينة فاقدة الوعى قد بدأت فى مرحلة التنصيب والدمج بذاكرتها الخاصة ..

وكان هذا يصنع فارقًا رهيبًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

لقد بدأت كل ثغرات ومداخل وخرائط السجن تتكشف بداخل عقلها ، الذى راح النظام البرمجى الفائق الذى ينتمى إليه إصدارها المتقدم يدرس على أثره كل نقطة فى المكان ، دون ان يهمل ملليمترًا واحدًا ..

موقع السجن ..

التخطيط الكامل له ..

عدد العنابر ..

الممرات ..

شبكات التهوية ..

شبكات الصرف ..

ثم توقف عقلها بغتة عند النقطة الأخيرة .. وراحت تدرسها بعناية ودقة لا متناهية ..

وبسرعة فائقة تناسب برمجياتها المتطورة ، بدأت مرحلة جديدة ..

التنفيذ ..

كانت جدران السجن قد تم تصميمها بأسلوب معين يقاوم الأشعة والتفجيرات ووسائل الاقتحام بكل أنواعها .. ماعدا مجموعة من النقاط التى حددتها أماكنها بدقة من المعلومات التى حصلت عليها من ذاكرة الحارسة .. وكانت أقرب هذه النقاط خلف البوابة الإلكترونية فى نهاية الممر الداخلى للعنابر ، وهذه النقاط تتصل بشبكة الأنفاق الموازية لشبكة

الصرف .. ولأن السجن يختلف تمامًا عن نظائره الخاصة بالبشر ، فقد كانت شبكة الصرف عبارة عن أنابيب عملاقة شديدة الإحكام ، تتحرك بداخلها سيور قوية ، تنتقل عليها المخلفات الآليات النووية ، بعد أن يتم عزلها فى داخل مكعبات شديدة الإحكام فى داخل غرفة معالجة بالغة الضخامة ..

وكانت هذه مهمتها ..

أن تصل لداخل الأنابيب ، حيث سينقلها السير العملاق لخارج السجن ، دون المرور بغرفة المعالجة ، وإلا كُشف أمرها ..

كانت الجلبة وصوت أقدام رجال الأمن وحراس السجن الخارج تؤكد اقترابهم من الممر الذى تقف فيه ، والمؤدى لعنبر السجينات .. مما يعنى أن أمامها ثوانٍ قليلة حتى يكتشفوا جسد الحارسة فاقدة الوعى ، ويفتضح أمرها ..

لهذا لم يكن أمامها إلا حل وحيد .. أن تلفت انتباههم ، لتتمكن من تغطية أمر هروبها ..

ثم برزت فكرة الحرائق فى العنابر الداخلية للسجينات فى رأسها دفعة واحدة .. ودون أن تضيع ثانية أخرى فى التفكير استدارت نحو العنابر الداخلية ، وبدأت التنفيذ مباشرة .. ثم تركت للجلبة وحالة الهرج التى أحدثها صراخ السجينات ونظام الإطفاء ، الذى انطلق مباشرة ، وفُتحت الرتاجات الداخلية للعنابر نفسها كإجراء أمنى على أثره ، والمياه التى راحت تغرق كل شىء مهمة إعماء العيون ولفت الانتباه عنها ..

www.looloolibrary.com

وفى اللحظات التالية كانت قد اختفت ..

تمامًا ..

* * *

كانت المفاجأة شديدة الوقع على (سونيا جراهام) ، التى ارتدت للخلف مباشرة .. حتى أنها تعثرت فى طرف الفراش ، فانقلبت على أرضية الحجرة رأسًا على عقب .. ثم تشبثت بجانب الفراش نفسه ليساعدها على النهوض ، وهى تتحسس بيديها ، حتى عثرت على طاقم أسنانها الذى سقط من فمها من جراء السقوط ، لكن ذلك لم يمنعها من التراجع ، حتى بلغت ركن الحجرة ، وأسندت ظهرها للجدار بفزع .. قبل أن تتمتم بذهول :

ــ من أنت ؟!

هنالك ارتسمت ابتسامة هادئة على وجه (سونيا) الأخرى ، قبل أن تقول بالهدوء ذاته :

ــ لا ألومك كثيرًا على دهشتك يا عزيزتى ، فدهشتى لا تقل عنك بحال ، ولو أنى فى موقفك لما كان رد فعلى بأقل ذهولا منك ..

زوت (سونيا) الكبيرة عينيها ، وهى تتابع نبرات صوتها ، وأسلوبها فى الكلام الذى تحفظه عن ظهر قلب ، دون أن تتفوه بحرف واحد .. أما (سونيا) الأخرى فقد ابتسمت فى ثقة قبل أن تتبع :

ــ نعم يا (سونيا) ، أنا (سونيا جراهام) ، بالتحديد (سونيا ديفيد ليشع جراهام) ..

قالتها ثم التقطت نفسًا عميقًا ، وأتبعت :

ــ أنت ..

تمتمت (سونيا) الكبيرة بذهول أشد من سابقه :

ــ أنا !!

هذه المرة ابتسمت (سونيا) الأخرى ابتسامة من نوع خاص ، وهى تقترب منها :

ــ نعم ، أنا (سونيا جراهام) ، أنتِ ، ولكن ..

ثم صمتت لوهلة قبل أن تتبع :

ــ من الماضى ..

تحسست (سونيا) الكبيرة جلد وجهها المتغضن لا إراديًا ، وهى تحملق فى ملامح وجه (سونيا) الأخرى ، قبل أن تتمتم بذهول :

ــ الماضى !!

أومأت (سونيا) الأخرى برأسها ، دون أن تتفوه بحرف واحد ، مما جعلها تزوى ما بين حاجبيها ، وتستدرك بريبة ..

ــ وهل من المفترض أن أصدق هذا الهراء ؟!

ــ أجابتها (سونيا) الأخرى بهدوء :

ــ ولماذا لا تفعلين !

Looloo
www.looloolibrary.com

لم تتخلَّ (سونيا) الكبيرة عن حذرها ، وهى تجيب :

ــ هناك من يحاول إيقاعى فى خدعة ما ، جراحات التجميل لم تعد كسابق عهدها ، وبإمكانها صنع نسخة كاملة منى ، وبأدق التفاصيل ..

اتسعت ابتسامة (سونيا) الأخرى هذه المرة ، وقالت ببساطة :

ــ ولماذا نفعل ؟

أجابت مباشرة بلهجة حاولت إضفاء الصرامة عليها :

ــ هذا ما أنتظر إجابته منك ..

قالتها ثم لوَّحت فى وجهها مرة أخرى بمسدسها الصغير ، لكنها بدت شديدة اللامبالاة ، وهى تحدجها بنظرة باردة ، قبل أن تتبع بآلية :

ــ ماذا إذًا عن عادة قرض أظافرك وأنت صغيرة ؟

أطلقت ضحكة استهزاء قصيرة ، مما جعلها تتبع بالأسلوب ذاته :

ــ وصديقتك فى الحضانة التى غرقت فى حوض السباحة ، دون أن يربط أحدهم بين الحادث وبين إصرارها على نعتك بـ « الدبة » ؟

مطت شفتيها بلا مبالاة ، فدفعتها للاستدراك :

ــ وجارة جدتك التى عثروا عليها مشنوقة فى شقتها؟

ثم مطت شفتيها ، وأتبعت بابتسامة خاوية :

ــ كنتِ فى السابعة تقريبًا حينما وصفتك بالغباء أمام جدتك ..

أطلقت (سونيا) الكبيرة ضحكة ساخرة ، وهى تتبع باستهزاء :

ــ هذه معلومات تافهة ولا تعنى شيئًا ..

رفعت (سونيا) الأخرى إحدى حاجبيها بأسلوب خاص جدًا ، قبل أن تقول بمكر :

ــ وماذا عن السيليكون ؟..

ثم غمزت بطرف عينها ، وهى تستدرك باللهجة ذاتها ، مع ملامح (سونيا) الكبيرة التى اكفهرَّ وجهها دفعة واحدة :

ــ الناحية اليمنى .. باريس ..

ثم أطلقت ضحكة جذلة :

ــ هذه المعلومة التى لا يعرفها أحد على الإطلاق ، حتى ..

قاطعتها (سونيا) الكبيرة بصرامة لا تخلو من الحرج :

ــ لقد كنت فتاة مخابرات ، ومعلومة كتلك من الممكن تسريبها ، و ....

أطلقت (سونيا) الأخرى ضحكة قصيرة متهكمة ، ثم تطلعت فى عينيها مباشرة هذه المرة ، قبل أن تتبع :

ــ وماذا عن الكابوس الذى ظل يراودك فترة طويلة ، ولم يعرف عنه مخلوق واحد أى شىء حتى الآن !..

تجمدت ملامح (سونيا) الكبيرة ، وهى تتطلع فى وجهها ، دون أن تتفوَّه بحرف واحد ، مما جعلها تميل نحوها على نحو مدروس ، قبل أن تقول دون تردد :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ الشارب ..

اكفهر وجه (سونيا) الكبيرة ، حتى حاكى وجوه الموتى ، وقالت بتلعثم :

ـ الشارب !.. أى شارب !!.. ما هذا الهراء ؟!..

استدركت (سونيا) الأخرى باللهجة ذاتها :

ـ كابوس الشارب الذى ظللتِ تحلمين أنه قد ظهر فى وجهك ..

انفلتت من (سونيا) الكبيرة صرخة لا إرادية قصيرة ، وهى تتحسس بيدها تحت أنفها ، قبل أن تتمتم بفزع :

ـ من أين حصلتِ على هذه المعلومة ؟!

ربتت (سونيا) الأخرى بيدها على كتفها فى رفق ، ثم قالت بهدوء :

ـ لا تهينى ذكاءك يا (سونيا) ، ولا تنسى أنه ذكائى أيضًا ..

ثم أتبعت بثقة :

ـ أعلم أنكِ قد تيقنتِ الآن من أننا واحدة ..

ازدردت (سونيا) الكبيرة لعابها ، قبل أن تقول بتوتر :

ـ ولكن كيف !!.. كيف !!..

تطلعت (سونيا) الأخرى نحوها ، ثم استدركت بحسم :

الأهم من « كيف » هذه المرة هو « لماذا »..

كان من الواضح أنها قد نجحت فى لفت انتباه (سونيا) الكبيرة بصورة كاملة هذه المرة ، مما جعلها تجلس على طرف الفراش بدورها .. ثم راحت تلقى ما لديها كاملاً ..

وبكل التفاصيل ..

* * *

شعر (أكرم) للحظة أن أنفاسه قد أوشكت على التوقف من شدة الإرهاق ، وهو يركض خلف (نور) ، الذى كان الغضب قد أعماه تمامًا .. وكاد يقسم فى قرارة نفسه أنها المرة الأولى التى يرى فيها (نور) على هذه الدرجة من الثورة .. أما (أدهم) فكان يلوح له بيده من بعيد ، ثم يخرج له لسانه بأسلوب مستفز كاد يودى بالبقية الباقية من أعصابه ، التى أوشكت على الاشتعال .. وبالرغم من ذلك فقد تسمَّر فى مكانه فى ذهول ، حينما استوقف (أدهم) مركبة عجيبة صغيرة الحجم ، ثم انتشل سائقها ، الذى أصابه الذهول بدوره ، من مكانه وقذف به إلى الخارج ، واحتل موضعًا خلف عجلة القيادة .. أما السائق نفسه فلم يكد يلمحه وهو يقلع بها ، حتى راح يستنجد بمن فى الشارع صارخًا :

ـ حرامى سرق « التوك توك » يا نااااس ..

لكن ذلك لم يعنِ الكثير لـ (أدهم) ، الذى بدا كأنما يستمتع بكل ثانية من المطاردة .. أما (نور) فقد تمتم بذهول وهو يتابع ما يحدث :

ـ « التوك توك » !! ماهذا الشىء يا (أكرم) ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

أجابه (أكرم) مباشرة :

ــ ألا تعرف « التوك توك » يا (نور) ؟

لم يترك له (نور) المجال للاسترسال هذه المرة ، حينما تلفت حوله للحظة ، ثم أستوقف أول « توك توك » مر أمامه بدوره .. قبل أن يفتح بابه عنوة ، ويحمل قائده ــ الذى راح يطلق صراخا وسبابا طويلين ــ بقبضة فولاذية ، ويلقى به فى جانب الطريق ، ثم دفع (أكرم) بداخله ، واندفع خلف « التوك توك » الذى يستقله (أدهم صبرى) ..

وفى « توك توكه » بدا الأخير شديد الهدوء والثقة ، وهو يتابع « توك توك » (نور) الذى اندفع خلفه ، بمرح عابث .. حتى أنه كان يندفع بـ « التوك توك » الذى يقوده فى مسارات عجيبة شديدة التعقيد ، ثم يتوقف دفعة واحدة , ليقلص الفارق بينه وبين « توك توك » (نور) ، ثم ينطلق به بسرعة أكبر مرة أخرى .. حتى أن (أكرم) الذى لاحظ ذلك ، قال فى غيظ :

ــ هل تلاحظ ما يفعله يا (نور) ، إنه يبالغ فى استفزازنا بكل الصور الممكنة ! ، يبدو أن ما يقال عنه حقيقة ..

سأله (نور) بنفاد صبر :

ــ أية حقيقة ؟

أجابه دون تردد :

ــ أنه ما من سيارة ركبها (أدهم) إلا وتحركت بأفضل من حالتها وهى جديدة ، كأنما تخشاه .. ويبدو أن « التوك توك » ليس استثناء !

لم يبدُ على (نور) أنه قد انتبه لحرف واحد مما تفوه به هذه المرة ، فقد دفعه الغيظ دفعا لعصر تفكيره فى اتجاه واحد .. كيف يلقن (أدهم صبرى) درسا لا ينساه ..

ثم انتبه فجأة مع (أكرم) إلى ماحدث .. كان « توك توك » (أدهم) يندفع للأمام فى خط مستقيم ، حينما برزت مجموعة من الصغار بصحبة سيدة ورجل كبار السن فى الاتجاه المعاكس .. قبل أن يغادر اثنان منهم الرصيف ، وينزلان إلى قارعة الطريق دون مقدمات .. وفى « توك توكه » كان (أدهم) قد بوغت تمامًا بما حدث ، حينما برز صوت والده فى رأسه فى فيمتو ثانية دون مقدمات ..

ــ ابنى العزيز ، اصدم من يقف فى طريقك بـ « التوك توك » يا ولدى ..

ــ هاه !!! أبى ، ماذا تقول !

ــ اقتل من يقف فى طريقك يا (أدهم) ولا تتردد ..

ــ سيقبضون علىّ يا أبى !

ــ اقتل الأطفال والعجائز والعزل أيضًا يا (أدهم) ..

ــ المخبرون أيديهم ضخمة ، ولا ترحم يا أبى .. لا ترحم أبدا ..

ــ أنت (رجل المستحيل) يا ولدى ؛ وسيمكنك الفرار .. اقتلهم يا ولدى .. القتل يصنع المزيد من الإثارة .. اقتلهم ..

ــ لقد تغيرت يا أبى !.. ماذا حدث لك !.. ليست هذه نصائحك .. حتى صوتك صار شديد النعومة رغم صرامته ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لست أباك يا (أدهم) ..

ـ لست أبى !!!.. من أنـ ....

ـ أنا أمك يا (أدهم) .. أمك ..

ـ ماما !!!!!!!..

ـ نعم يا ولدى .. أمك ..

ـ ولكن أين أبى .. لقد اعتدت أنه من ...

ـ لا تسأل عن هذا الوغد مرة أخرى يا ولدى .. لقد تخلصت منه ..

ـ لاااا .. بابا !...

ـ حياتك غالية عندى يا ولدى .. فلا تخاطر لأجل أحد .. اقتل الأطفال والعجائز .. لو لم تقتل هؤلاء فمن ستقتل يا (أدهم) .. الرجال خطرون يا ولدى ، ويحملون أسلحة .. الأطفال والشيوخ أهداف سهلة ، ولا يتطلب قتلهم الكثير ..

ـ لكن والدى قال : ....

ـ لا تتذكر نصائح والدك يا (أدهم) .. إنه وغد .. ولم يكن يحبكم .. لقد سلبك طفولتك ، وكان أنانيا ..

ثم صمت صوتها لحظة فى رأسه ، قبل أن يعاود الرنين وقد كسته لهجة قاسية شديدة الحنق :

ـ يكفى أنه ظهر فى كل الأعداد .. ولم أظهر أنا مرة واحدة !.. لقد احتجز لنفسه كل أدوار البطولة فى حياتكم .. وترك لى دور الكومبارس فى المرات النادرة التى ظهرت فيها .. الجميع يعرف (صبرى) ، البطل الذى مات فداء للوطن .. لكن أيعلم أحد من تكون (جلفدان) .. أمكم !!..

ـ ماما !.. لا أحب أن يعرف أحدهم اسمك ..

تجاهلته وهى تتبع بحنق :

ـ أمكم التى ماتت فداء للوطن أيضًا ..

تمتم بذهول :

ـ فداء للوطن !!..

أجابت بسخط :

ـ أنسيت كيف لاقيت حتفى ؟ .. لقد صعقنى التيار وأنا أصلح خط الكهرباء الرئيسى فى أول الشارع ..

لم يملك إلا أن يتمتم :

ـ لقد كنت ماهرة فى التسلق يا أمى ، لكن ..

قاطعته بحسم :

ـ أليست هذه أيضًا كهرباء الوطن ؟

لم يجد ما يقوله هذه المرة .. مما جعل صوتها يعاوده بلهجة تفيض بالشراسة والقسوة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ وقد حان الوقت لتصحيح الأمور ..

قالتها قبل أن تتبع بحسم لا يقبل التردد :

ـ اقتل من يقف فى طريقك يا ولدى .. لدينا أزمة سكانية ، ونحن نعتمد عليك .. مصير (مصر) ومستقبلها فى عنقك يا ولدى .. والأغبياء فقط من لا يستغلون هذه الفرصة .. الحقراء فقط من لا يضحون بالأطفال والعجائز فى ظل هذه الظروف .. فلا تكن حقيرا أو جبانا .. لا تكن متخاذلاً يا ولدى ..

ولا تتنازل عن هذه المبادئ ..

لا تتنازل أبدا ..

من أجل (مصر) يا (أدهم) ..

(مصر) ..

(مصر) ..

ويبدو أن أمه كانت تعرف نقاط ضعفه جيدًا .. فلم يكد ذكر اسم (مصر) يرد إلى مخيلته ، حتى التقط نفسًا عميقًا ، وأمسك مقود « التوك توك » بكلتا يديه ، ثم أغمض عينيه ، وضغط دوّاسة الوقود بكل قوته .. وأمام أعين المارة اندفع « التوك توك » كالصاروخ باتجاه الأطفال ، حتى أنه أطلق صريرًا عجيبًا على أثر احتكاك عجلاته بالشارع ، وتجمد المشهد بأكمله للحظة ، بدت كدهر كامل ..

وفى داخل « توك توكهما » فغر (أكرم) فاه ، بينما تمتم (نور) بذهول :

ـ علام سيقدم ذلك المجنون ؟!

ثم ظهرت تلك السيارة ..

شاحنة هائلة الحجم ، خرجت من تقاطع جانبى للشارع الرئيسى دون مقدمات .. حتى أنها صنعت حاجزًا ضخمًا بينه و بين الأطفال ..

أما (أدهم) نفسه فقد باغته الموقف تمامًا ، فأدار مقود « التوك توك » بكل قوته للناحية الأخرى ..

لكن التصادم كان حتميًا ..

حتى أن « التوك توك » قفز فوق الشاحنة ، وبداخله (أدهم) ، الذى انفصل جسده عن « التوك توك » ، وحلق فى الهواء باتجاه إحدى النوافذ العالية .. وهو يطلق صراخًا ارتجت له المنطقة :

ـ منك لله يا (ماماااااااا) ..

* * *

كان الهدوء النسبى يسيطر على كل شىء فى ساحة السجن الخارجية ، على عكس الأمر بداخله .. دورية الحراسة الليلية تم تناوبها منذ قليل ، والكشافات العملاقة تمسح ساحة السجن دون توقف .. والكلاب الآلية المدربة تتحرك فى أيدى حراسها بنفس الآلية التى اعتادتها ، ولا تسمح لحشرة واحدة أن تلج المكان أو تغادره دون علمها ..

Loolo
www.looloolibrary.com

وفى مكانها بداخل الأنفاق أسفل مبنى السجن ذاته كانت (جـ ــ 18) قد انكمشت على نفسها فى ركن مظلم .. ودون أن تصدر عنها أدنى حركة راحت تترقب مرور الوقت الذى راح يمضى ببطء شديد ، فى صمت ..

لكنها لم تضع ثانية واحدة ..

فقد راحت ترصد خلالها طبيعة المكان ، وتفهم كل تفاصيل عملها .. فعلى جانبى الأنبوب العملاق وعلى مسافات متساوية كانت توجد فتحات متماثلة فى الحجم ، ينتقل منها عمال الصيانة إلى داخل الأنبوب نفسه فى حالة حدوث أى عطب يستحق الإصلاح .. لكنها كانت مغلقة برتاجات مشفرة .. وكانت السيور نفسها تتوقف بصفة دورية كل ساعتين ..

وكان عليها أن تنتظر هذه اللحظة ..

وفى اللحظة التى صك مسامعها صوت الحشرجة المميزة لوقوف السير كانت قد علمت أن عليها التحرك .. ودون مقدمات دب نشاط عجيب فى كل وصلة من جسدها .. واندفعت نحو الفتحة المؤدية إلى داخل الأنبوب .. وبدأت فى معالجتها ..

كانت الدقائق تمر سريعة ، وأصابعها تتعامل مع الرتاج المشفر للباب المحكم بحنكة ومهارة شديدتين لا تتناسب مع إرهاقها ومدى التوتر فى أليافها الداخلية ، قبل أن يطلق الرتاج تكة خافتة انفتح بعدها .. هنالك أطلقت زفرة حادة ثم قفزت إلى داخل الأنبوب ، واستقرت فوق السير ، الذى يبدو أنه كان ينتظر هذه اللحظة ليتحرك على الفور .. وفى هذه

اللحظة ارتفعت درجات التأهب بداخلها إلى درجة قصوى .. لم تكن تعلم ما ينتظرها عند فتحة الأنبوب التى راحت تقترب سريعًا ..

ثم فجأة ألقى بها السير إلى مقلب نفايات عملاق يحتل ركنًا منزويًا فى ساحة السجن نفسه ..

ودون مقدمات استدارت كشافات الضوء العملاقة نحوها ، فى نفس اللحظة التى ارتفعت أجراس الإنذار مدوية فى المكان .. وقبل حتى أن يستوعب عقلها المرهق ما حدث وجدت نفسها محاصرة بعشرات الحراس ، وفوهات عشرات المدافع موجهة نحوها مباشرة ..

* * *

ــ إنه (الموساد) فى المستقبل البعيد ..

جذبت العبارة انتباه (سونيا) الكبيرة ، مما جعلها تردد بذهول :

ــ الموساد !

هزت (سونيا) الأخرى رأسها بالإيجاب ، دون أن تتفوه بكلمة واحدة .. ثم صمتت لبرهة ، كأنما تستكشف رد فعل (سونيا) الكبيرة ، لتتبع بذات الاهتمام :

ــ أتقنعينى أن اليهود استطاعوا البقاء إلى المستقبل البعيد كما تزعمين ؟!..

ــ ولمَ لا !..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لو أنك تعرفين شيئًا عن عدالة الحياة ، لما انتظرت إجابة لهذا السؤال ..

تمتمت بتعجب :

ـ عدالة الحياة !!

حدجتها (سونيا) الكبيرة بنظرة خاوية ، قبل أن تجيب :

ـ نعم .. العدالة ..

حملقت (سونيا) الأخرى فى وجهها لوهلة ، قبل أن تقول بتعجب :

ـ هل كنت تقرئين سلسلة (رجل المستحيل) فى شبابك ؟!

حملقت فيها (سونيا) الكبيرة لوهلة ، مما جعلها تستطرد وهى تمط شفتيها :

ـ لأنى لم أقرأ مثل هذه العبارات سوى هناك ..

زوت (سونيا) الكبيرة ما بين عينيها هذه المرة ، كأنما تحاول أن تسبر أغوارها ، لكنها أتبعت دون أن تهبها الفرصة لذلك :

ـ لا تنسى أننا واحدة .. كما أنه لا يعنينى ولا يعنيكى بالتبعية ما تقصدين بهذه العدالة .. رغم أنهم أخبرونى أن طبيعة الحياة نفسها قد تغيرت بصورة كاملة فى المستقبل ، وإن لم يفصحوا عن ذلك ، كما أنى لم أقف عند كلامهم كثيرًا ..

ـ سألتها بشغف :

ـ من أخبرك ؟

لكنها تجاهلت عبارتها ، وهى تستكمل :

ـ إنهم يصنعون قائمة شرفية لأفضل عناصر (الموساد) منذ نشأته ..

ثم صمتت فترة ، تطلعت خلالها إلى عينيها مباشرة قبل أن تستدرك :

ـ وكان طبيعيًا أن أكون ـ وأقصدنا معًا ـ فيها ..

زوت (سونيا) الكبيرة ما بين عينيها ، وسألتها بحذر ، كأنما فهمت ما سوف تقدم على قوله :

ـ ولكن ؟!

أجابت (سونيا) الأخرى مباشرة :

ـ ولكن تم استبعادنا ..

حدجتها (سونيا) الكبيرة بنظرة باردة صامتة ، مما جعلها تستطرد :

ـ لكنهم رأوا أنى ، أقصد أننا نستحق فرصة ثانية ..

ثم مالت نحوها باهتمام ، وهى تتبع :

ـ شريطة تصحيح الأوضاع ..

أطلقت (سونيا) الكبيرة ضحكة متهكمة قصيرة ، قبل أن تتبع بسخط :

ـ ومن قال إنى أهتم لمثل هذه التفاهات ؟

أجابتها (سونيا) الأخرى دون اكتراث :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لقد كانت نفس إجابتى أيضًا ..

ثم حملقت فى وجهها لوهلة قبل أن تتبع باهتمام :

ــ قبل أن أعرف السبب الحقيقى لذلك ..

لم تتفوه (سونيا) الكبيرة بكلمة واحدة هذه المرة ، مما دفعها للاستطراد :

ــ لقد تم العثور على مذكرات (أدهم صبرى) الخاصة ..

تمتمت بدهشة ، وقد نجح أسلوبها هذه المرة فى جذب انتباهها حتى الثمالة :

ــ مذكراته !!..

ثم أتبعت بثورة ، وقد أوشكت ملامح وجهها على الاشتعال :

ــ وهل تطرق إلى الحديث عنى فيها ؟!

بادلتها (سونيا) الأخرى النظرة نفسها ، قبل أن تتبع بغضب مماثل :

ــ ليس هذا فحسب .. إن هناك كارثة كشفتها هذه المذكرات ..

قالتها ، وأخرجت كبسولة صغيرة ، وضعتها فوق المنضدة فى منتصف الحجرة ، ثم ضغطتها برفق ، وتراجعت إلى جوارها .. وأمام أعينهما معًا تجسدت صورة هولوجرامية ثلاثية الأبعاد ، لشاشة عملاقة ظهرت عليها مخطوطة كبيرة الحجم بخط (أدهم صبرى) نفسه ، والذى تحفظه كلاهما عن ظهر قلب ..

وما أن بدأت (سونيا) الكبيرة فى قراءته ، حتى ارتدت للخلف فى ذهول ، وراحت عيناها تتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

* * *

من مذكرات (أدهم صبرى) :

وفى اللحظة التى انفتح فيها الباب كنت أعلم أن خطتى قد اقتربت من الاكتمال .. ثم دفعتها الحارسة السمراء ، وهى تنبئنى أنها زيارة لأجلى بعبارة قصيرة .. نعتتنى خلالها بالوسيم .. هذا جيد ويفى بالغرض .. وفى اللحظة التالية كنت قد ذبت تمامًا فى حالة الحيرة التى خططت لها منذ البداية(*)، وأنا ألتفت نحوها بهدوء مدروس .. كنت أفهم (سونيا) تمامًا ، وأعلم أن هذه الحالة التى بدوت عليها ستهوى عليها كالصاعقة .. الأنثى أنثى ، وهذا لا خلاف فيه ، وأنا أعرف (سونيا) أكثر من نفسها ، أعرفها كما لا تتخيل هى .. لهذا فقد لذت بالصمت لبرهة ، حتى أهبها شعور الحيرة المرجو .. أعترف أنه حتى لو حاولت الكلام وقتها لما استطعت ؛ هذه المرة الأولى التى أرى فيها قوامها الأسطورى من هذه المسافة القريبة ، دون أن تحمل فى يدها مسدسا أو قاذفة قنابل ، أو تبذل قصارى جهدها لدكى حيًا ، أو إحالتى إلى شرائح من اللحم المفرى .. صحيح أنى أحفظ ملامحها

(*) راجع سلسلة رجل المستحيل ، العدد (82) ــ الأخطبوط ــ صفحة (83)

Looloo
www.looloolibrary.com

عن ظهر قلب ، وأحفظ كل تضاريس هذا القوام المخيف ، إلا أنها كانت فرصة غير مسبوقة للإلمام بما لم تساعدنى الظروف على تفرسه من قبل ، دون أن تنسفنى برصاصاتها ، أو حتى تصرخ (منى) — التى تبدو كالخفير مقارنة بهذا الجمال الخلاب — فى وجهى !.. أعترف كذلك أنها كانت « مُزة » ساحقة .. لا أعرف ماذا يأكلون فى إسرائيل ، لكن من أنجبت هذا « العود » الخارق لا تأكل من طعامنا بحال ..

وفى اللحظات التالية ألقيت ضربتى القاضية ..

أنا بارع فى التمثيل .. لأنى أعرف نقاط التأثير التى أضرب عليها فيمن أمامى .. لهذا فقط تركت ملامح الحيرة ترتسم على وجهى ، وأنا أتطلع إليها فى براءة أودعتها كل براعتى فى هذا المضمار .. ثم سألتها فى حيرة رجل فقد ذاكرته :

— سيّدتى .. هل سبق أن التقينا ؟

ثم كدت أبتسم مع الارتجافة التى سرت فى صوتها كالكهرباء ، وهى تسألنى بقلق بلغ أوجه :

— هل تذكرنى ؟

كان يجب أن أحصل على الأوسكار مباشرة ، وأنا أتفرس فى ملامحها هذه المرة ، وأشاهد الانفعال الذى ارتسم فى كل خلجة من خلجاتها .. أقسم أننى كدت أنتزع دموعها ، وأنا أجاهد أمامها لأتذكر .. قبل أن أجيب بعجز :

— لست أدرى يا سيّدتى .. لست أدرى .. ربما لو ذكرت اسمك .

أراهن أنها كادت تهتف باسمها الحقيقى ، ثم تلقى نفسها بين ذراعىّ ، وتبكى لوعة الأشواق .. لكنى لم أنتظر ذلك وإلا فسدت الخطة بأسرها ، فقط أجابت :

— (نورما) .. (نورما كارينهال) ..

ورغم أنى كدت أصرخ فى وجهها أن « هألو » .. إلا أنى تماسكت بمعجزة وأنا أهز رأسى بمزيد من الحيرة ، وأغمغم :

— لست أذكر الاسم للأسف .

ثم رفعت عينىّ بحيرة مدروسة امتزجت فيها اللهفة :

— من أنا إذن ؟.. ما اسمى ؟.. إلى ماذا أنتمى ؟

أعترف أنى قد أفزعتها ، وكان هذا كفيلا بأن أنفجر فى عاصفة من الضحك ، لولا حرصى على اكتمال الخطة للنهاية ، لهذا فقد تابعتها وهى تردد برهبة ذاهلة :

— اسمك ؟!

نطقتها بحيرة قتلتنى ، لدرجة أنى كدت اتعاطف معها ، وأضمها إلى صدرى ، وأخبرها بالحقيقة كاملة ، وبأن ما يحدث جزء من خطتى ، التى وضعتها ببراعة لدفعها للزواج منى ، وهى تظن أنى فاقد للذاكرة .. ثم أخبرها بعدها أنى لا أطيق بُعدها لحظة واحدة ، وأنى أحبها منذ العدد الذى

www.looloolibrary.com

ظهرت معى فيه(*) .. لكنى خفت من الاستنكار والهجوم الشديدين ، وخفت من حملات الوعيد والتنديد والتنكيل بى ، ثم سقوط السلسلة التى أعمل بها ، وتوقف القراء عن متابعتها .. وهذا لن يعنى فى النهاية إلا قطع عيشى .. لكنى تراجعت فى اللحظة الأخيرة ، وقد راودنى خاطر فشل خطتى المحكمة ، إذا ما تملكها العناد كعادتها ، لو اكتشفت أنى خدعتها ، ثم دوى صوت المفتش (جوزيه) الصارم فى المكان :

ــ انتهت الزيارة .

ورغم ملامح الارتياح التى ارتسمت على وجهها لوصول (جوزيه) فى هذه اللحظة والتنهيدة التى أطلقتها ، كأنما أنقذها الأخير .. إلا أنها لم تعلم أنه أنقذنى أنا ..

لقد اندحرت (سونيا جراهام) هذه المرة أمام براعتى كالعادة ، وأعترف أنى كدت أصرخ من السعادة ، حتى أنى كدت ألوح بيدى فى الهواء فى انتصار ، وهى تنصرف من الزنزانة الصغيرة ، التى كنت فيها .. لقد سارت الخطة أفضل من توقعى ، وعما قريب سأحظى بهذه « المُزة » الصاروخ ، وهذا ما ...

* * *

كانت (سونيا) الكبيرة قد تجمدت تمامًا من أثر المفاجأة .. حتى أن (سونيا) الأخرى راحت تحملق فى ملامحها المتخشبة بقلق .. ثم ازدردت

(*) راجع سلسلة رجل المستحيل ، العدد (19) ــ أبواب الجحيم .

لعابها بفزع ، وهى تمد يدها نحوها لتتأكد من أنها ما تزال على قيد الحياة ، وتتساءل بشفاه مرتعدة :

ــ أأنت بخير يا « كبيرة » !!

لكنها ارتدت للخلف دفعة واحدة ، حينما استدارت (سونيا) الكبيرة نحوها بعينين متحجرتين، قبل أن تتمتم بذهول :

ــ أيعنى ذلك أنه كان ...

ثم صمتت فترة قبل أن تتبع بلا تصديق :

ــ يخدعنى !!!!

انتقل شعور الحنق كاملا لـ (سونيا) الأخرى ، التى ضمت قبضتها وهى تجيبها بغل بلغ منتهاه :

ــ نعم .. لقد جعلنى أظن أننى من انتهزت فرصة فقدانه للذاكرة للزواج منى ، رغم أنها كانت خدعته منذ البداية ، الوغـ ...

لكنها بترت عبارتها ، وانتفضت فى مكانها ، حينما شقت صرخة (سونيا) الكبيرة المكان :

ــ لا!!
!!! ..

أما هى فقد استعادت تماسكها مرة أخرى سريعًا ، ثم أطلقت هى الأخرى صرخة مماثلة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لااا ..

ثم توقفت دفعة واحدة ، حينما توقفت (سونيا) الكبيرة عن الصراخ ، وسألتها دون مقدمات :

ـ هل تعلمين ماذا تعنى كلمة « المُزة » هذه ؟

كان يبدو أن السؤال كان قد باغتها تمامًا .. حتى أنها هزت رأسها علامة النفى ، قبل أن تجيب بحيرة :

ـ لا !.. أتعلمين أنت ؟..

تجاهلتها (سونيا) الكبيرة تمامًا هذه المرة ، ثم استدارت للناحية الأخرى ، وأطلقت لصراخها العنان بذات الحدة مرة أخرى ..

* * *

حملقت (زيزى) فى غلاف المجلة التى تمسكها ، قبل أن تقول بهيام :

ـ ياى ياى ياى ... (مهند) ده يجنن .. يهوس ... فظيع ..

ـ أيوة يا (زيزى) ولا عيونه !..

ـ أيوة عيونه .. يا خراشى على عيونه ..

ـ أنت هتقوليلى يا (ميمى) .. دا الوحيد اللى بهرنى بعد (جورج كولونى) ..

وفى الناحية الأخرى مصمصت سيدة ثالثة شفتيها ، قبل أن تميل على أذن جارتها :

ـ أهى دى اسمها (زنوبة) ومسمية نفسها (زيزى) ، والتانية اسمها (أم السعد) ومسمية نفسها (ميمى) .. الله يرحم !

تغمزت الأخرى وهى تجيب :

ـ عرفاهم يا أختى أنتِ هتقوليلى !، دى أبوها كان شيخ غفر ، والتانية بدأت حياتها دلالة ..

أطلقت الأولى تنهيدة قبل أن تقول :

ـ سبحان الوهاب .. أهم دلوقت زى ما أنتِ شايفة أعضاء فى جمعية (المرأة العصرية) ، لا وإيه بيتكلموا عن (مهند) و(جورج كولونى) ..

أتاهما صوت (ميمى) الأجش ، وهى تشير نحوهما بريبة :

ـ مش عارفة ليه حاسة إنكم بتتكلموا عننا ؟

تنحنحت بحرج :

ـ لا يا حبيبتى .. دا أنا حتى بقول لها إن (كولونى) ده مفيش زيه .. إش جاب لجاب !!..

ارتفعت ضحكتها دفعة واحدة قبل أن تستدرك :

ـ عندك حق يا (دودو) .. نجوم هوليود دول حاجة تانية خالص ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ شوفتى (براد بيت) فى فيلمه الأخير ؟.. قمر يا إخواتى ..

ثم أتبعت وهى تتطلع فى المرآة وتتحسس تسريحة شعرها :

ــ دا أنا مستخسراه فى مقصوفة الرقبة (أنجلينا) .. مش عارفة عاجبه فيها إيه .. طب دى حتى معصعصة ..

ــ آه .. وشفايفها مبتعجبنيش ..

ــ على قولك يا حبيبتشى .. وتقوليش لزقاله بغرًا .. مش راضية تسيبه أبدا ..

ــ وهى يعنى هتلاقى زيّه لو سابته !.. طب دى تحمد ربنا إنه معبرها ..

هنالك تدخلت أخرى فى الحوار ، وهى تتملى فى غلاف مجلة فى يدها :

ــ لأ بقى .. اقفوا عندكم أنتِ وهى وهى وهى ... دول كلهم كوم و(توم كروز) كوم تانى خاالص .. يهوس .. دى كفاية ابتسامته .. بتخلينى أحس بكهربا فى الجو ..

أجابت الأولى بتنهيدة حارة :

ــ هو من ناحية كهربا فهو فولت عالى ..

قالتها وأطلقت ضحكة ، قبل أن تتبع بحنق :

ــ جتنا نيلة فى حظنا الهباب .. هما مالهم كده الرجالة فى مصر .. تحسى إنهم جايين مالمريخ !.. دول باقيلهم شوية وعنيهم تنور ولونهم يزرق ..

ــ وياريت بيعجـ ....

ولم تستكمل الأخيرة عبارتها هذه المرة ، مع الدوى الشديد الذى ارتفع فى المكان دون مقدمات ، والذى صاحبه تحطم زجاج النافذة .. حتى أنهن أطلقن لصراخهن جميعًا العنان من وقع المفاجأة .. واندفعن نحو أحد الأركان البعيدة ، كأنما تطاردهن الشياطين !.. وأمام أعينهن الذاهلة جميعًا كان جسد (أدهم) قد اندفع بدوى هائل إلى داخل المكان ، قبل أن يتدحرج على الأرضية الزلقة ..

ثم يستقر هناك ..

بلا حراك ..

* * *

تجمد المشهد للحظات .. بدت خلالها النسوة جميعًا كتماثيل شمعية مفتوحة الأفواه ، وهن يحملقن فى جسد (أدهم) الذى استقر على أرضية المكان .. كان معافى تمامًا ، بلا خدش واحد ، وقد بدا فى كامل أناقته بالرغم من كل شىء .. كأنما اتخذ هذا الوضع بحذر كامل ، حتى لا يفقد هندامه المرتب وشعره المصفف بعناية ! ، هنالك تخلت إحدى السيدات عن حذرها ، وهى تقترب منه بحذر شديد ، وتحملق فى ملامح وجهه .. قبل أن تتمتم ، كأنما تنفض الذهول عن نفسها :

ــ مين ده !..

ثم ازدردت لعابها بصعوبة ، وألقت نظرة سريعة على صورة (جورج كلونى) المطبوعة على غلاف المجلة بيدها .. ثم لم تلبث أن ألقت المجلة نفسها خلف ظهرها دون اكتراث ، قبل أن تقول باتهام :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ يا خراشى !!.. هو فيه كده !

أما بقية النسوة فقد تجمعن حوله بذات الذهول ، قبل أن تقول إحداهن بأنفاس تكاد تتوقف :

ــ مين فيكم اللى كانت جايبة سيرة (مهند) و(جورج كولونى) ؟

لوحت إحداهن بيدها ، وهزت أخرى كتفها ، بينما أشارت أخرى بإصبعها ، وأجابت باستنكار :

ــ عمرى ما سمعت عنهم ..

واستدركت أخرى :

ــ ولا أنا ..

وأجابت ثالثة :

ــ ولا أنا ..

ثم أتبعت وهى تعيد نظرها نحو (أدهم) :

ــ حد فيكم سمع عن الناس دى يا ستات ؟

أجبن جميعًا بذات التأكيد فى ذات اللحظة :

ــ ماحصلش وحياتك .. ولا نعرفهم !..

ثم التفتن جميعًا إلى حارس الأمن الذى جذبته الجلبة إلى المكان :

ــ الصوت ده جاى منين ، ومين الراجل اللى نايم عالأرض ده ؟ .. وجه منين ؟..

أحاطت إحداهن رأس (أدهم) بيديها وضمته لصدرها ، وهى تجيب بحسم :

ــ ما حصلش حاجة .. دا خطيبى ، وأنا اللى هدفع تمن قزاز الشباك اللى اتكسر ..

جذبت أخرى رأس (أدهم) من بين يديها ، وضمته إلى صدرها بدورها ، وهى تتبع بحسم :

ــ لا دا خطيبى أنا .. وأنا اللى هدفع تمن القزاز ..

جذبته ثالثة من بين يديها بعنف .. وأتبعت بشراسة أكثر ، وهى تضمه لصدرها هى الأخرى :

ــ ولا أنت ولا هى .. دا خطيبى أنا ، وتمن القزاز علىّ ..

ثم تراجعن جميعًا للخلف ، حينما أخرجت إحداهن مُدية(*) . من حقيبة يدها ، وزمجرت وهى تلوح بنصلها فى وجوه الجميع :

ــ بقول لك إيه أنت وهى .. محدش له دعوة بخطيبى ، وإلا هصورلكم قتيل ..

ثم أتبعت بشراسة :

ــ أنا مش عاوزة أستعمل العنف معاكم ..

نظرت إحداهن إليها ، وقالت بذهول :

ــ بس انت متجوزة يا مدام (بدرية) !

(*) مطواة قرن غزال .

Looloo
www.looloolibrary.com

لوحت المدية بيدها يمينًا ويسارًا ، قبل أن تتبع بشراسة :

ــ هخلعه .. إيه .. حد فيكم عنده اعتراض ؟

أيقن حارس الأمن أن الأمر قد تحول لحرب نسائية .. حتى أنه لم يكد يستقبل إشارة صاحبة المكان بالانصراف ، حتى غادر المكان دون كلمة واحدة ..

أما (أدهم) ، الذى كان يتابع ما يحدث منذ بدايته ، فقد فتح عينيه بوهن مصطنع .. وأطلق أنة خافتة .. قبل أن يقول بضعف ، حرص على أن يحمل أكبر قدر من جاذبيته :

ــ أنا فين ، وإيه اللى جابنى هنا ؟!

ضمته السيدة التى ما زال بين يديها مرة أخرى ، وأتبعت على الفور :

ــ مش قلت لكم !.. دا خطيبى بس فاقد الذاكرة ..

ضرب (أدهم) رأسه بيده ، قبل أن يقول بلهجة من تذكر فجأة :

ــ أيوة افتكرت ..

جذبت عبارته اهتمام كل النسوة فى المكان ، مما جعله يستدرك باللهجة ذاتها ..

ــ فيه اتنين بيطاردونى ، وعاوزين يقتلونى ..

قالها ، وابتسم بداخله فى مكر ، حينما انتصبت قامة أكثر السيدات ضخامة فى المكان ، وقالت بشراسة :

ــ يقتلوك !.. ليه .. ما وراكش رجالة !..

قالتها وهى تضرب كتفيها بقبضتها المضمومة فى قوة .. بينما اتخذت جميع النسوة فى المكان الوقفة القتالية نفسها .. قبل أن يطلقن صرخة قتالية ارتج لها المكان .. أما (أدهم) فقد كتم قهقهة شيطانية عالية ، كادت تنفلت من بين شفتيه ، وهو يتخيل موقف (نور) و (أكرم) حينما يكتشفان المفاجأة التى فى انتظارهما ..

* * *

تمخضت (سونيا) الكبيرة بصوت مرتفع ، ثم مسحت دموع القهر التى أغرقت وجهها ، قبل أن ترفع عينيها مرة أخرى نحو (سونيا) الأخرى ، وتقول بحدة مفاجئة :

ــ مازلت لم أستوعب سر قدومك إلى هنا ..

تغمزت (سونيا) الأخرى بطرف شفتيها قبل أن تجيب بذهول :

ــ بعد كل ما أخبرتك به؟

حدجتها (سونيا) الكبيرة بنظرة نارية ، قبل أن تجيب بلهجة قاسية :

ــ أما كان يمكنك إتمام المهمة بنفسك ، دون تكبد مشقة السفر عبر الزمن لملاقاتى ؟!

أجابت (سونيا) الأخرى مباشرة :

ــ اثنتان أفضل حتما من واحدة ، ولا تنسى خبراتك اللامحدودة ، والتى تكونت مع الوقت ، ولا يمكن إهمالها بحال ، ومؤكد أنى أفتقدها وأنا بعد بهذا العمر ..

Looloo
www.looloolibrary.com

زوت (سونيا) الكبيرة ما بين عينيها ، حينما لمس حديثها عن العمر منطقة حرجة بنفسيتها .. ثم تمتمت بضيق :

ــ وفيما يمكن أن أفيدك وأنا فى هذه السن ؟

هنالك ابتسمت (سونيا) الأخرى بابتسامة عجيبة ، برقت لها عيناها ، ثم أخرجت قنينة صغيرة ، رفعتها فى وجهها ، قبل أن تسألها بلهجة أثارت فضولها :

ــ هل تدركين ما فى هذه القنينة ؟

لم تحاول (سونيا) الكبيرة أن تشغل عقلها بالتفكير ، وهى تهز رأسها بصمت .. أما (سونيا) الأخرى فقد أجابت باللهجة نفسها :

ــ هذه الزجاجة تحوى حلم العلماء عبر العصور ، أفضل ما توصل إليه العلم نفسه فى المستقبل ..

ثم مالت نحوها بأسلوب استعراضى ، وهى تضع القنينة أمام عينيها ، وتتبع :

ــ إكسير الشباب ..

تمتمت (سونيا) الكبيرة ، وهى تتحسس جلد وجهها المتغضن لا شعوريًا ..

ــ إكسير الـ ... ماذا ؟

أجابت (سونيا) الأخرى بذات اللهجة :

ــ الشباب ..

ثم رددت دفعة واحدة :

ــ إش إب آآآب .. الشبااااب ..

تصلبت عينا (سونيا) الكبيرة ، وراحت تحملق فى القنينة دون أن تتفوه بحرف واحد .. أما (سونيا) الاخرى فقد وضعت القنينة فى يدها ، قبل أن تتبع :

ــ نقطة واحدة من هذه القنينة كفيلة بإعادتك خمسين عاما إلى الوراء ..

تنحنحت (سونيا) الكبيرة ، ثم أتبعت بحرج :

ــ سأعود طفلة بهذه الصورة ..

أطلقت (سونيا) الأخرى ضحكة قصيرة ، ثم مالت نحوها قائلة :

ــ هل ستخجلين من نفسك !.. لا تنسى أننى ، أقصد أننا أكثر من يعلم عمرك الحقيقى ..

احتضنت (سونيا) الكبيرة القنينة فى قبضة يدها ، ثم مالت نحو (سونيا) الأخرى قائلة بريبة :

ــ ألستِ معى فى أنك لم توضحى المطلوب منى بعد !..

ابتسمت (سونيا) الأخرى بهدوء ، ثم استدارت للناحية الأخرى وهى تجيب :

ــ حينما أشرح لك ما حدث ، ستخبرينى أنت ساعتها بما يجب علينا فعله ..

Looloo
www.looloolibrary.com

قالتها وراحت تروى لها ما حدث بمنتهى الدقة ، منذ استدعاء المخابرات العلمية لرجليها (نور) و(أكرم) ، وحتى عودتهما فى الزمن لإحضار (أدهم صبرى) من الماضى للتعامل معها ..

أما (سونيا) الأخرى فقد تماسكت بمعجزة حتى لا تترك لانفعالها المجال فتحطم محتويات الغرفة من حولها .. ولم تكد (سونيا) الأخرى تنهى آخر حرف فى كلامها ، حتى تطلعت (سونيا) الكبيرة فى عينيها مباشرة ، قبل أن تتبع بحسم :

ــ أخبرينى أولا مقدار ما يجب أن أتناوله من هذا العقار لاستعادة شبابى ، وبعدها سيكون عليكِ أن تنتبهى جيدًا للخطة التى سألقيها على مسامعك ، والتى ستتحرك خلالها كل منا منفردة ..

قالتها وراحت تحملق فى القنينة ..

وتحملق ..

وتحملق ..

وتحملق ..

وتحملق ..

* * *

دفع (نور) الباب الرئيسى لجمعية « المرأة العصرية » بقدمه بعنف ، بينما اندفع (أكرم) ، الذى انبطح أرضا ، ودار عدة دورات حول نفسه فى مراوغة مدروسة كثيرًا ما نفذاها معًا اثناء العمليات التى قاما بها سويًا ..

ثم اندفع (نور) خلفه إلى الداخل بالأسلوب ذاته .. وما هى إلا ثوانٍ معدودة حتى كانا يقفان فى وسط البهو الرئيسى لمركز التجميل ظهرًا إلى ظهر .. ويدوران معًا ، كلٌ فى اتجاهه .. بينما يرفع (نور) مسدسه الليزرى ، ويرفع (أكرم) مسدسه التقليدى إلى الأمام ..

كان المكان خاليًا تمامًا ، حتى أن (أكرم) همس بلا شعور :

ــ هل أنت متأكد من أننا لم نخطئ استنتاج المكان يا (نور) ؟

أدار (نور) عينيه فى المكان سريعًا ، ثم توقف ببصره عند النافذة المحطمة قبل أن يجيبه بحسم :

ــ لم نخطئ يا (أكرم) ..

أراد (أكرم) أن يستكمل تساؤله ، حينما اندفعت آنية زجاجية صغيرة من أحد الأبواب الداخلية ، وتحطمت على أرضية المكان بصخب شديد ، جذب انتباههما معًا .. وقبل أن يفطن أحدهما لحقيقة الأمر اندفعت النسوة من جميع الأبواب الداخلية دفعة واحدة .. ودون مقدمات .. وهن يطلقن صرخات مفزعة ، انخلع لها قلب (أكرم) من مكانه .. وقد حملت كل منهن فى يديها ما وجدته .. وقبل أن يفكر (نور) فى الأسلوب المثالى للتعامل مع الموقف هوت إحداهن بـ « كسارولة » معدنية فوق رأسه بلا تردد .. شعر أن صداها يتردد فى تجويف رأسه دون توقف .. حتى أنه حاول التشبث لا شعوريا بـ (أكرم) ، وهو يصرخ :

ــ النجدة يا (أكرم) ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أما (أكرم) فلم يكد يستدير لنجدة (نور) ، حتى دكت إحداهن رأسه بين اثنين من أغطية أوانى المطبخ المعدنية ، فشك للحظة فى أن معالم وجهه قد امتزجت تمامًا من قوة الضربة .. فترنح للحظة ، وقد اختلت الرؤية أمامه ، وراح يتشبث بالفراغ ، وهو يصرخ :

ـ لقد وقعنا فى الفخ يا (نووووور) ..

قالها وسقط على الأرض .. أما (نور) فقد تخلص من سيدتين حاولتا تكبيله .. واندفع من مكانه صارخًا :

ـ اهرب يا (أكررررم) ..

ولم يكد يحاول الفرار ، حتى هوت إحداهن فوق رأسه بمنفضة السجاد ، بينما تشبثت ثلاث نسوة برقبته .. وفى اللحظة التى هوى فيها على الأرض بدوره ، طرقت أذنيه صرخة (أكرم) الرهيبة :

ـ لاااااااااا كلّ إلا العاااااض ..

فاستدار نحوه تلقائيا ، ليجد واحدة من النسوة بشعة المنظر ، وقد خمشت أسنانها فى لحم ذراعه ، كأنما تهم بافتراسه ، بينما انهمكت بقية النسوة فى تقييد حركته .. ثم انتابه الرعب حينما غرست أخرى أظافرها فى لحم رقبته ، وتشبثت بمخالبها فى شعر رأسه .. قبل أن تنطلق صرختها المدوية :

ـ خربشيه يا (زيزززى) ..

ثم ألقت بجسدها الضخم فوقه ، حتى أنه شعر بثقل هائل يجثم على أنفاسه ، فردد بحنق رهيب :

ـ لاااااا .. ليس مرة أخررررى ..

وفى اللحظة التى أوشكا فيها معًا على الإغماء ، وكل منهما يجاهد لالتقاط أنفاسه ، أتتهما صرخة إحدى النسوة الشامتة :

ـ هما دول اللى كانوا عاوزين يقتلوك يا (أدهم) ؟..

أحس (نور) بمرارة العالم حينما استوعب الموقف فى لحظة .. وشاهد جسد (أدهم) الممشوق ، وهو يمشى إلى جانبهما ، ويحدجهما بنظرة شامتة فجرت الغضب فى عروقه .. حتى أنه صرخ دون مقدمات :

ـ سأقتلك يا (أدهم) ، سأقتلك ..

أما (أدهم) فقد جاوبه بضحكة ساخرة أكثر .. ودون أن يتفوه بكلمة واحدة ، اندفع نحو النافذة بأسلوب استعراضى فج ، أشعل الغضب فى أعماقه مع (أكرم) ألف ألف مرة .. ولم يكد يعتلى الإفريز ، حتى ارتج المكان دفعة واحدة ، مع صوت الرصاصة التى انطلقت من ناحية الباب ، الذى انفتح دفعة واحدة ، وعلى عتبته ظهر آخر مخلوق يتخيل أحدهما رؤيته الآن .. كانت (سونيا) ..

(سونيا جراهام) ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

يقول علماء وظائف الروبوتات .. إنه من المستحيل أن يقوم إنسان آلى بتحريك أطرافه الأربعة فى ذات الوقت ، إلا لو كانت المسامير التى تثبت مفاصله رديئة الصنع ، وكان الزيت المستعمل فى تزييت مفاصله من نوعية جيدة ..

لكن (جـ ــ 18) حطمت هذه القاعدة ..

فبغض النظر عن كون مسامير مفاصلها متينة جدًا ، وكونها محتجزة طوال الوقت فى سجن الآليات ، حيث لا يتم تزييت مفاصل السجينات أصلاً .. إلا أن ما فعلته فى تلك اللحظات بدا لجنود الحراسة الآليين مستحيلا ..

فلثانية بدا الأمر متجمدًا تمامًا .. إلا من أصوات الكلاب الآلية ، التى راحت تنبح فى شراسة مخيفة ، وهى تحاول أن تفلت من أيدى الحراس لتنهش جسد (جـ ــ 18) تمامًا ..

لكن الأخيرة لم تثبت فى مكانها ..

لقد درس عقلها الموقف بسرعة كعادتها ..

كانت محاصرة من كل الجهات بعشرات من رجال الأمن الآليين .. وكل الطرق أمامها مغلقة للهروب ، إلا اتجاه واحد ..

السماء !..

وهذا ما فعلته ..

كانت النفايات الذرية المكدسة فى المكان يتم نقلها إلى شاحنات كبرى من خلال ونش عملاق يحتل مكانًا بارزًا فى المكان ..

وفى ثوانٍ معدودة كان عقلها قد رسم الخطة .. وبدأ فى تنفيذها ..

وأمام أعين رجال الحراسة والمراقبة قفزت من مكانها وتعلقت بحافة الخطاف ، ثم بدأت فى تسلق الكابل الحديدى المتصل بالرافعة المعدنية الضخمة ..

حدث ذلك فى لمحة خاطفة ، لم يستوعب خلالها رجال الأمن الآليين ما حدث ..

أما هى ، فلم تكد تستقر فوق حافة الرافعة ، حتى استدارت إلى الناحية الأخرى .. كان رجال الأمن جميعًا قد تركوا أماكنهم واتجهوا حيث سقطت من أنبوب النفايات .. وبقيت نقاط الحراسة شاغرة ، إلا من أقل القليل من الحراس .. وكان هذا خطأهم الفادح .. ولقد أجادت (جـ ــ 18) استغلال هذه الثغرة ببراعة ..

وفى قفزة فريدة من نوعها من هذا الارتفاع اختارت أقرب نقاط السور بالغ الارتفاع منها .. وقفزت فى جرأة عجيبة ..

كانت تعلم أن هذا هو المنفذ الوحيد لها ، وإلا ظلت خلف أسوار السجن إلى الأبد ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وهذا ما لن تسمح به ..

وأمام أعين الحراس ورجال الأمن حلق جسدها كطائرة صغيرة نحو أسوار السجن الخارجية ..

وأمام عينيها هى راحت الأسوار تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وكادت المعجزة تكتمل ..

إلا أن جسدها توقف قبل أمتار معدودة من السور الخارجى ، ثم بدأ يستجيب لنداء الجاذبية ، ويهوى إلى أسفل ..

وفى الثانية التى تلت ارتطامها العنيف بالأرض ، شاهدت الحراس الذين استداروا جميعًا ، وانطلقوا نحوها ..

لكنها حاولت أن تتماسك ..

وأن تنهض من مكانها ..

لكنها شعرت أن كل صامولة فى جسدها الآلى قد فارقت موضعها ، وأنه ما من أمل فى النجاة هذه المرة .

ثم فجأة ..

توقفت تلك العجلات الخشبية أمامها.. فرفعت عينيها الواهنتين إلى أعلى وطالعت العربة البدائية التى يجرها حصان أسود قوى ملفت للانتباه ، والتى حالت بينها وبين الحراس ، الذين راحوا يقطعون الطريق نحوها كالمسعورين ..

ثم هزت رأسها لتتأكد من أنها لم تصب بغشاوة الرؤية ، حينما هبط منها رجل فى رداء بالغ الأناقة ، لا يختلف لونه عن العربة نفسها ، والذى رفع القبعة عن رأسه ليكشف عن شعر أسود فاحم مصفف فى عناية بالغة .. ثم تابعت ببصرها حذاءه شديد اللمعان ، الذى توقف أمامها مباشرة ..

ثم حدث أغرب شىء صادفته فى حياتها ..

رفع الغريب يده نحو الحراس المندفعين باتجاهها ، فتجمدوا فى أماكنهم ، كأنما تحولوا جميعًا لتماثيل شمعية متقنة الصنع !

وفى حركة أنيقة بالغة الذوق مد يده نحوها ، ليساعدها على النهوض .. ثم فتح لها باب السيارة الخلفى ، لتحتل المقعد الوحيد بداخلها .. قبل أن ينحنى فى أناقة أشد ، ويتبع بلهجة خاصة :

ــ اسمى (بعلز) .. (بعلزبول) ..

انكمشت فى مكانها ، وانطلقت صرخة لا إرادية من فمها المعدنى ..

ــ يا امّا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أما هو فقد أغلق الباب الخشبى ببرود ، ثم اتخذ مكانه فى مقعد السائق ، وهز سرج الحصان ، الذى بدأ فى الحركة نحو باب السجن ..

مباشرة ..

وما أن بلغ البوابة الضخمة شديدة التحصين ، حتى اشار نحوها بيده فانفتحت على مصراعيها ..

ثم انطلقت العربة بها ..

إلى حيث لا تعلم ..

- 3 -

لقد كشفوا أمرك يا (س ــ 18)..!!

لقد عرفوا أنك تتكلم .. وبطلاقة شديدة .. بل وتغنى أيضًا .. رغم أن الأمر كان واضحًا منذ البداية(*) ..

ألا لعنة الله على الإدمان ..!..

كيف ستواجه الجميع بعدما افتضح السر الذى واريته طويلا!..

كيف!..

كيف!..

حتى التساؤل لا يخلو من رنين الـ (كيف) الذى كنت تتعاطاه ..

ألا لعنة الله على الإدمان .. يبدو أن الأمر سيطاردك كظلك للأبد ..

أى عار سيحيق بك ؟

أى فضيحة بانتظارك ..

أين ستذهب انتصاراتك ..

إنجازاتك ..

تاريخك الذى تخطى كوكب الأرض حتى وصل لأطراف الكون ..

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (صراع الأوغاد) ، العدد رقم (34) سلة الروايات ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لا يا (س ـ 18) .. أنا لا يمكن أسيبك تعمل فى نفسك كده !..

نطقها (ك ـ 18) صديق (س ـ 18) المقرب بذعر ، وهو يحملق فى الأخير ، الذى كان يرتدى زيًّا رياضيا ويقف فى شرفة حجرته المطلة على محيط أطلانطيس ، وقد انتصبت قامته بصورة لم يعهدها من قبل ، وانهمك فى تقوية كابلات الطاقة فى ذراعيه بثقل حديدى « دمبل » ، وبدا كأنما يخضع نفسه لنظام رياضى عنيف .. قبل أن يجيبه بذات الإصرار العجيب :

ـ أنت عارف إن دى فرصتى يا (ك ـ 18) ..

أجابه (ك ـ 18) بنفس الذهول :

ـ فرصتك !!

ـ أيوة يا (ك ـ 18) .. فرصتى الوحيدة إنى أثبت نفسى ..

ـ عاوز تقدم نفسك للموت بإديك وتقول فرصتك !!.. دا اسمه انتحار يا (س ـ 18) .. انتحار !

ـ انتحار ؟!!.. محاولة انضمامى للمقاتلين الأطلانطيسيين اللى رايحين فى مهمة لمساعدة الفراعنة تسميها انتحار !

ـ أيوة انتحار يا (س ـ 18) .. وأنت عارف كده كويس بس بتغالط نفسك ..

ثم صمت لفترة قبل أن يستدرك باللهجة ذاتها :

ـ أنت مش مقاتل يا (س ـ 18) .. وأنت أكتر واحد عارف كده ..

ـ هاتصرف يا (ك ـ 18) هاتصرف ..

ـ أنت عارف مين اللى متقدم للبعثة دى وبيصفوهم إزاى !!.. أعتى مقاتلى أطلانطس اتقدموا يا (س ـ 18) .. الآليين دول بياكلوا الظلط والموضوع مش هزار .. أنت مش قدهم .. أنت حتى مش قادر تفهم اللى ممكن يجرالك لو استمريت فى عنادك ..

ـ قلت لك هاتصرف يا (ك ـ 18) .. هاعمل أى حاجة .. هاشيل حديد .. هروح جيم .. هاجيب كتب كمال أجسام .. هاخضع نفسى لنظام تدريبى قاسى ..

ثم التقط أنفاسه قبل أن يتبع بإصرار :

ـ لسه قدامى فرصة ولازم أعمل المستحيل ..

ـ (س ـ 18) أنت مش قد الناس دى ..

ـ قلت لك هاتدرب يا (ك ـ 18) هاتدرب ..

ـ تتدرب !!.. إزاى وإمتى !!.. دول وحوش يا (س ـ 18) .. ومباريات التصفية دى ما بترحمش .. أنت كده بتموت نفسك ..

لم تترك كلماته أثرها على (س ـ 18) الذى أشاح بوجهه للناحية الأخرى وأجابه بلهجة عجيبة امتزج فيها الانكسار بالحسم ..

ـ ماعادش قدامى غير كده يا (ك ـ 18) ..

Looloo
www.looloolibrary.com

لم يتخيل (ك ــ 18) لحظة واحدة من قبل أن بإمكانه أن يمسك (س ــ 18) من كتفيه ويرجه على هذا النحو ، ويصرخ فيه بكل هذا القدر الهادر من الغضب :

ــ كل ده ليه يا (س ــ 18) .. ليه !!.. عشان واحدة ما تستاهلش .. سابتك واتجوزت إنسان آلى غيرك .. لمجرد إنه غنى !.. فوق يا (س ــ 18) قبل متضيع نفسك .. فوق قلت لك ..

انتزع (س ــ 18) نفسه من بين يديه .. واستدار نحو المحيط الهادر .. قبل أن يجيب بلهجة هادرة أكثر عنفا :

ــ ملكش دعوة يا (ك ــ 18) .. محدش له دعوة بيا .. أنا حر ياخى حر ..

ثم بدا كأنما يزدرد غصة نووية فى حلقه وهو يتبع بخفوت :

ــ أنت عرفت إن فرح (ش ــ 17) على (مازينجر الاسترلينى) بعد يومين ؟..

لم يتفوه (ك ــ 18) بحرف واحد ، وقد انتابه شعور حقيقى بالتعاطف هذه المرة ، مما جعله يتبع وقد اكتسب صوته حسما عجيبا دون مقدمات :

ــ ماعادش فيه خيار تانى يا (ك ــ 18) خلاص ..

ــ يعنى إيه؟!

ــ أنا سجلت اسمى ..

ارتد (ك ــ 18) كالمصعوق ، هو يتمتم بذهول :

ــ سجلت اسمك !!..

أما هو فقد استدرك باللهجة ذاتها كأنما ليحسم الموقف :

ــ وأنت عارف القوانين الصارمة اللى بتطبق عالآليين فى أطلانطيس .. وفاهم إن أى آلى بيحاول يتراجع عن أى فعل قام بيه بإرادته أو بينسحب فى موقف زى ده بيعتبروه خلل فى نظامه البرمجى وبيتم إعدامه مباشرة ..

ضغط (ك ــ 18) رأسه بين يديه فى عدم تصديق :

ــ إيه خلاك تعمل كده يا (س ــ 18) .. إيه خلاك تعمل كده !!

استدار (س ــ 18) مرة أخرى نحو أمواج المحيط التى ارتفعت هادرة أكثر هذه المرة ، قبل أن يتبع بحسم عجيب :

ــ دا خيارى الأخير يا (ك ــ 18) .. إما أكون ضمن الآليين اللى هيتم اختيارهم ، وأسافر مع البعثة لدولة الفراعنة .. وأرجع من هناك بالقرشين اللى هحوشهم وأعمل مشروع السنترال اللى بحلم بيه أو ....

لم يتم عبارته هذه المرة حينما فهم (ك ــ 18) بقيتها ..

فهمها تمامًا ..

* * *

كان حفل الزفاف أسطوريًا ..

القصر الكبير المقام على تبة عالية تطل على محيط أطلانطيس ، وتجعله كقلاع ما قبل ما قبل التاريخ(*). يتوهج كشمس صغيرة تخطف الألباب ..

(*)لاحظ هنا أننا فيما قبل التاريخ بالفعل .

Looloo
www.looloolibrary.com

صفوة الآليين ملأوا المكان .. كانوا مظهرا حقيقيا للتطور التقنى ، وقد تم صنعهم كواجهات ثقافية وسياسية لأطلانطيس فى الأساس ، حتى صاروا يرفلون فى نعيم خاص ، بخلاف عامة الآليين فى كل مكان ..

أما (ش ــ 17) فكانت ساحرة ..

كل ما فيها كان ينطق بالجمال والفتنة ، بدءا من ملامح وجهها إلى صلعة رأسها البراقة ..

ووسط كل هذا لم يعرف أحدهم أبدا كيف اخترق (س ــ 18) هذا الحصار الرهيب ، رغم الحراسة ورجال (مازينجر الاسترلينى) الذين كانوا يملأون المكان كالنمل ..

كل ما حدث أن فوجئ به الجميع بمن فيهم (مازينجر الإسترلينى) نفسه وهو يشق الصفوف بغتة بثبات عجيب ، ثم يتوقف أمامه مباشرة !

(ش ــ 17) ذاتها استدارت لتجده أمامها دون مقدمات ، حتى أن صرخة مكتومة انفلتت من فمها ، وهى تحملق فى وجهه البارد الذى بدا لها فى تلك اللحظة كأنما ظهر من العدم ..

وفى اللحظة التالية كان (س ــ 18) قد أتى بما لم يتوقعه الجميع .. أخرج رزمة صغيرة من الخطابات .. وألقاها فى وجهها ، الذى اتسع فكاه المعدنيان فى ذهول عجيب فاق الجميع ألف مرة ومرة !.. قبل أن يتبع بآليته الباردة ..

ــ الجوابات دى خلاص ماعادتش تلزمنى ..

كانت حركة جريئة .. مباغتة .. لم يتوقعها أحد .. رجال (مازنجر الاسترلينى) أنفسهم تجمدوا فى أماكنهم ، وقد باغتهم الموقف تمامًا .. ولم يستفق أحدهم إلا حينما استدار (س ــ 18) بالفعل وبدأ فى الانصراف ..

المشهد بأكمله بدا متجمدًا إلا من الهمهمة التى انتشرت سريعًا فى المكان ، ومن اللهب الذى تراقص فى عينىّ (مازنجر الاسترلينى) اللتين اتقدتا بأسلوب عجيب .. وهو يحملق فى عينى (ش ــ 17) ، التى لم تكن قد استفاقت بدورها من الصدمة ، وفى الخطابات التى تناثرت أمامه .. قبل أن يرفع عينيه بغضب هادر نحو كبير رجاله ، الذى أجاد تفسير النظرة تمامًا .. قبل أن ينقل النظرة ذاتها إلى بقية الرجال ، الذين ضم كل منهم قبضته فى اللحظة ذاتها بتناسق وحسم يفيضان بالشراسة ..

وكان هذا لا يعنى إلا شيئًا واحدا ..

أنه على (س ــ 18) أن يواجه فى الفترة القادمة .. أسوأ كوابيسه .. وبحق !

* * *

المكان : ساحة أطلانطيس الكبرى ..

الحدث : تصفيات اختيار بعثة أطلانطيس لدعم الفراعنة فى حربهم ضد الهكسوس ..

مواطنو أطلانطس ..

السيدات والسادة فى أرجاء مملكتنا العظيمة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ننقل لكم حدثا استثنائيًا فى تاريخ قارتنا المجيد .. أعظم مقاتلينا الآليين يحتشدون الليلة فى حدث فريد من نوعه ..

دوت الموسيقى الصاخبة وارتفع الصراخ الهستيرى من الجماهير الأطلانطيسية التى احتشدت فى المكان .. بينما أتبع هو بذات اللهجة الحماسية التى يجيدها :

ــ أنتم على موعد مع الأقوياء .. فقط الفائزون فى هذه التصفيات سيصبحون سفراءنا المقاتلين فى حملة تدعيم أصدقائنا الفراعنة .. فى حربهم الشرسة ضد الهكسوس ..

ــ سيداتى وسادتى كل مواطنى أطلانطس ..

سنكون حتما فى حجم الحدث ؛ لأن هذا شأن أطلانطس العظيمة منذ بدء التاريخ .. لا تتوقف عن إنتاج الأساطير .. أعظم الآليين المقاتلين فى الكون ..

دوى الضجيج مرة أخرى فى المكان مصحوبا بتصفيق حاد وهتاف مدو باسم أطلانطس بينما استكمل هو وقد بلغت حماسته منتهاها هذه المرة :

ــ مواطنو أطلانطس العظيمة ..

سواعد المقاتلين وأليافهم الإلكترونية ستصنع الليلة حدثا استثنائيا فريدًا من نوعه ، ستخلده سجلات أطلانطس المجيدة إلى الأبد .. فكونوا معنا ..

ودوى الصراخ الجنونى الهادر فى المكان مرة أخرى ..

* * *

ارتد (ك ــ 18) إلى الخلف فى فزع واتسعت عيناه فى ذهول ، وحاول ازدراد لعابه الذرى بصعوبة لولا جفاف حلقه ، حينما انفتح باب غرفة استبدال الملابس دفعة واحدة .. لم يكن مبعث ذهوله صراخ الجماهير الرهيب الذى صك أذنيه الإلكترونيتين هادرا عبر الممر المؤدى للساحة .. ولكن حينما اندفع العاملون إلى المكان يجرون خلفهم محفة ضخمة تمدد عليها جسد مقاتل آلى خاليا من الحركة .. بينما استقرت رأسه المنفصلة التى تناثرت الكابلات الدقيقة من قاعدتها وتصاعد منها الدخان ببشاعة إلى جانبه .. قبل أن يتساءل أحدهم بأسى :

ــ مين يصدق أن شوية الحديد دول كانوا إنسان آلى من دقايق بس !..

ولم يكد ينطقها حتى تنحنح بحرج ، حينما زجره آخر بدا رئيس المجموعة بنظرة صارمة من عينيه ، قبل أن تمتد يده إليه بورقة خط عليها كلمات معدودة سريعًا وأتبع بعدها بحسم :

ــ يتحول على مصنع الحديد والصلب ..

هنالك انفلتت صرخة مكتومة من فم (ك ــ 18) وانكمش أكثر إلى جانب (س ــ 18) قبل أن يتمتم بفزع وهو يتشبث بذراع الأخير :

ــ دى فيها مصنع الحديد والصلب يا (س ــ 18) !!.. أبوس إيدك يللا بينا ننفد بصفيحنا من هنا ..

لم يبدُ على (س ــ 18) أنه سمع حرفًا واحدًا مما تفوه به .. مما جعله يلتفت بدوره إلى حيث يحملق هذه المرة .. كانت شاشة العرض

www.looloolibrary.com

الداخلية تنقل صورة للحلبة ، بينما يتوسطها مقاتل آلى عملاق داكن اللون يرفع ذراعيه الضخمتين لأعلى ، ويحدج الجماهير بعينه الوحيدة فى خيلاء ، بينما استقر مكان الأخرى تجويف أسود غائر مخيف ، وانتشرت على معالم وجهه وجبهته ندوب سوداء طولية وعرضية بشعة المنظر كأنما خضع لعمليات لحام قديمة بلا عدد ..

هنالك ندت عن (ك ــ 18) صرخة مكتومة ، قبل أن يتساءل بفزع :

ــ مين ده يا (س ــ 18) ؟!..

ولم يكد ينطق عبارته ، حتى أتاه صوت المذيع عبر شاشة العرض الداخلية كأنما بلغه تساؤله :

ــ مواطنو أطلانطس العظيمة ..

ما كان لليلة أن تمر دون مفاجآت .. (جزار ــ 21) .. المقاتل الأقوى فى تاريخ أطلانطس عبر تاريخها الطويل .. أسطورة المصارعة الأطلانطى المخيف قرر التنازل عن عرشه وانضم إلى تصفيات الليلة ملبيا نداء أطلانطس ..

قالها قبل أن يتبع بلهجته الخاصة التى ألهبت صراخ الجماهير :

ــ أخبرتكم قبلاً أن هذه الليلة ستُحفظ فى سجلات أطلانطس .. إلى الأبد ..

تسارعت دقات قلب (ك ــ 18) وكادت أنفاسه تتوقف وهو يحملق فى الآلى الرهيب الذى نقلت صورته الشاشات ، قبل أن يستدير نحو

(س ــ 18) الذى تجمد بدوره إلى جواره ، واتسعت عيناه فى ذهول .. ثم انتفض جسداهما معًا حينما انفتح الباب فجأة وتوقف شخص ضخم على عتبته.. قبل أن ينادى بصوته الجهورى القبيح هو يشير باتجاههما :

ــ مين فيكم (س ــ 18) ؟..

ندت عنهما صرخة فزع هذه المرة لم يترددا فى إطلاقها معًا ، وقد فهما الموقف .. ثم استدارا فى فزع حقيقى نحو شاشة العرض مرة أخرى .. والتى كانت ما تزال الكاميرات تنقل عليها صورة (جزار ــ 21) ، هنالك قفز (ك ــ 18) من مكانه ووارى جسده بأكلمه فى جسد (س ــ 18) ، وأشار نحوه بإصبع مرتعد لا يختلف كثيرًا عن صوته ..

ــ هو ده ..

لم يتوقف الضخم عند عبارته كثيرًا ، وهو يشير نحو (س ــ 18) بحسم ارتجف له جسداهما معًا :

ــ الدور عليك ..

هنالك شحب وجه (ك ــ 18) بينما أتاه صوت (س ــ 18) المرتجف :

ــ أمى وأبويا أمانة فى رقبتك يا (ك ــ 18) ..

لم يتفوه (ك ــ 18) بحرف واحد ، أو لم يتمكن من ذلك .. فقط ازداد الارتعاد بركبه أكثر .. بينما كان الارتعاد قد بلغ مداه بركب (س ــ 18) التى صدر عنها صوت اصطكاك معدنى رهيب وهو يتجه للباب ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وما أن أغلق المكان خلفه حتى استدار تلقائيا نحو شاشة العرض الداخلية مرة أخرى ، كان الآلى المصارع ما يزال يحتل الشاشة بينما طرق اذنيه صوت المذيع المتحمس :

ـ موعدنا أيها السادة مع (جزار ـ 21) ، المقاتل الفذ الذى لم يتمكن مصارع من قبل من الاحتفاظ بحياته بعد مواجهته ..

هنالك انطلقت صرخته المدوية المنهارة فى المكان :

ـ لاااااا .. (س ـ تمنتاشاااااااااااااار) ...

* * *

كانت ساحة القتال تهتز ..

مئات المئات من الصرخات تطرق أذنيه دون توقف ..

الهتافات الجنونية ترج المكان من حوله رجا .. كأنما أصيب الجمهور بحمى القتال ..

أما (س ـ 18) فقد خلع الروب الرياضى الطويل ، ليظهر من تحته الـ (شورت) القصير الضخم الذى يرتديه ، ثم قفز إلى داخل الحلبة برشاقة .. كان (جزار ـ 21) يقف فى مكانه دون أن يعيره اهتماما .. أما هو فقد بدأ فى القفز السريع كأنما انتوى أن يبدأ بعملية إحماء قصيرة لوصلاته ومفاصله ..

ـ هوب .. هوب .. هوب .. هوب ..

عم الصمت بين الجمهور لوهلة ، ثم بدأ بعدها يدور حول جسد (جزار ـ 21) الهادئ فى حركة مراوغة لتشتيت انتباه الأخير .. لكن ذلك لم يدم ـ بالرغم منه ـ سوى لحظة واحدة ؛ لأن (جزار ـ 21) تحرك فى اللحظة التالية !..

كانت حركة عجيبة مباغتة معقدة لم يتخيل (س ـ 18) من قبل أنها ممكنة .. ثم بدأت دوائر الشعور عنده تدخل طورا جديدا لم يعهده من قبل .. فقط كل ما أمكنه التقاطه أن يد (جزار ـ 21) قد امتدت نحوه كالبرق .. ثم بدأت معايير الإدارك الفائقة بداخله تختل ..

كل ما يذكره أنه طار !..

طار فقط مجردة ..

بلا اتجاهات ..

أو أهداف ..

ثم اخترق الصمت حوله مئات الصيحات من الجماهير المتعطشة للشرارات الكهربية ..

كان يرتفع لأعلى حتى يشعر أن عينيه قد فقدتا معالم المتفرجين بساحة المصارعة ، ثم تمتد إليه يد الجاذبية ، ليهبط مرة أخرى ، حيث تنتشله قبضة (جزار ـ 21) الغاشمة .. ليعاود بعدها التحليق من جديد ..

ثم بدأت بعدها مرحلة أخرى ..

Looloo
www.looloolibrary.com

مرحلة شاهدتها الجماهير الغفيرة فقط ، أما هو فقد كان يشعر بتأثيرها دون أن يراها !

اندفع (جزار ــ 21) فى سيل من القبضات التى لا تتوقف ..

كان يلكمه فى كل مكان بجسده تقريبًا .. وهو يترنح أكثر مع كل قبضة تصل لجسده ..

وفى مكانه انكمش (ك ــ 18) حينما سقطت (س ــ 18) بعنف فوق أرض الحلبة ، ثم بدا بعدها كأنما يحاول باستماتة أن يستعيد توازنه .. لكن (جزار ــ 21) لم يهبه الفرصة هذه المرة ؛ حيث هوت قبضته الساحقة فوق عموده الفقرى الفولاذى بضربة ساحقة تصاعدت الشرارات الكهربية على أثرها من مكان ظهر (س ــ 18) .. فهوى فوق أرضية الحلبة مرة أخرى ..

هنالك تعالى صياح الجماهير الأطلانطية ، حينما أشار (جزار ــ 21) نحو رقبته بطرف إبهامه بعلامة الذبح التى يحفظها مشجع المصارعة الآلية بطول أطلانطس وعرضها .. ثم قفز قفزة عجيبة اعتلى بها كابلات الفولاذ المشدودة على حدود الحلبة , بينما تعالت صرخات الجماهير الهادرة أكثر هذه المرة .. أما (ك ــ 18) فقد انكمش فى مكانه أكثر ، واتسعت عيناه فى ذهول ورعب ، وهو يتابع جسد (س ــ 18) الذى راحت تصدر عنه ارتجافة آلية عجيبة وهو ممدد فى مكانه دون حتى أن يشعر بما يدور حوله ..

وقفز (جزار ــ 21) ..

قفزة عجيبة دار على أثرها فى الهواء أكثر من دورة رأسية ، ثم هوى بثقله بأكمله على جسد (س ــ 18) ..

هنالك أطلق (ك ــ 18) صرخة ملتاعة طويلة باسم (س ــ 18) .. بينما انطلق شلال هادر من الشرارات الكهربية من جسد الأخير الآلى وارتفع من مكانه فى انتفاضة عجيبة لم ير (ك ــ 18) لها مثيلا من قبل .. قبل أن يستقر فى مكانه على أرض الحلبة مرة أخرى ..

ثم خمد بعدها ..

خمد تمامًا ..

* * *

وفى منزلها أطلقت والدة (س ــ 18) صرخة ملتاعة حملت اسمه فى اللحظة ذاتها .. ثم هبت من نومها دفعة واحدة .. حتى أن زوجها انتفض من نومه بدوره .. ثم تحسس بيده بجانب الفراش حتى وصل لمنظاره الطبى ، الذى ارتداه على الفور وهو يهتف مذعورًا :

ــ مالك يا (ف ــ 59) فيه إيه ..

ضمت الفراش لصدرها بلوعة وهى تجيب بتوتر بلغ منتهاه :

ــ مش عارفة يا (ل ــ 74) .. موتورى انقبض على (س ــ 18) مرة واحدة ، خايفة الواد يكون جراله حاجة !..

Looloo
www.looloolibrary.com

ربت (ل ــ 74) على كتفها برفق .. ثم امتدت يده مرة أخرى بجانب الفراش حيث إناء حمض الكبريتيك .. وصب بعضا منه فى كوب ناولها إياه .. قبل أن يجيبها مطمئنا :

ــ هيكون جراله إيه بس .. الواد كويس .. وشوية وهتلاقيه راجع زى عوايده ..

ولم يكد ينطق عبارته حتى جذب انتباههما معًا صوت خافت صدر من البهو المظلم .. مما جعلها تتمتم :

ــ يكون (س ــ 18) ؟

لكنها لم تنتظر الإجابة طويلاً ، إذ انفتح الباب على مصراعيه دفعة واحدة وعلى عتبته ظهر رجال (مازنجر الاسترلينى) ، يحمل كل منهما مدفعا رشاشا سريع الطلقات .. هنالك أطلقت (ف ــ 59) صرخة فزعة ، بينما ضمها (ل ــ 74) بين ذراعيه ودفع جسدها باتجاههم ليستتر فيها من طلقات الرصاص ، مما جعلها تصرخ بحنق برغم صعوبة الموقف :

ــ آآه يا ندل ..

لكن ذلك لم يدم طويلاً ؛ إذ أخرستها الرصاصات التى اندفعت نحوهما فى اللحظة التالية كوابل من الحجيم ..

* * *

ــ مالك يا (س ــ 18) !.. إيه جرالك !.. الآلى المفترى ده عمل فيك إيه ؟

ــ (ثين ــ تمنتاثر) مين !!

ارتد (ك ــ 18) كالمصعوق :

ــ (س ــ 18) !.. أنت فقدت الذاكرة ؟

ــ أنا فقدت كل حاجة يا (ك ــ 18) فقدت كل حاجة ..

تنفس (ك ــ 18) الصعداء حينما نطق (س ــ 18) باسمه ، كأنما تأكد من أنه لم يفقد ذاكرته بعد كما توقع ، قبل أن يربت على كتفه بإشفاق :

ــ معلش يا (س ــ 18) معلش ..

ــ آآآآآه .. آآه .. آه .. شيل إيدددك .. قلت لك جسمى كله مخلع ..

ــ آسف يا (س ــ 18) حقـ ....

ــ قلت لك ما اتميث (ثين ــ تمنتاثر) !!.. أنا م النهارده ماعدتش عاوث أتمع الاتم ده تانى .. قولولى (ثين ــ 2) .. (ثين ــ 1) .. (ثين) من غير أرقام .. لكن ماعادتش حد يقول لى (ثين ــ تمنتاثر) ده خلاااث ..

تقلصت ملامح (ك ــ 18) قبل أن يسأله بحيرة :

ــ فين سناتك يا (س ــ 18) ؟.. وصوتك بقى عامل كدا ليه !!

رفع (س ــ 18) إصبعه الوحيد القابل للحركة وتحسس جانب وجهه المنبعج والأسلاك المتدلية من كتفه وإحدى عينيه التى جحظت عن مكانها ببشاعة قبل أن يجيب بانهيار :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ كل ده وما خدتش بالك غير من ثنانى !!.. دا أنا اتهريت يا (ك ـ 18) .. اتهرييت !

ـ ليه كده بس يا (س ـ 18) ، إيه اللى جرالك !!

ـ اثكت يا (ك ـ 18) ما تفكرنيش .. دا أنا كلت ضرب!!

ثم انهار فى البكاء دفعة واحدة :

ـ ثاحبك اتبهدل يا (ك ـ 18) اتبهدل ..

ـ ما تعملش فى نفسك كده يا (س ـ 18) كله يهون .. كلها شوية تدريب كمان وهتستعيد قواك وتبقى أحسن منه .. وهتغلبه فى اللقاء التانى .. وتحقق حلمك وتسافر ..

ـ بقولك مث هاقدر اقف على رجليا تانى وأنت تقولى تسافر .. أنا انتهيت يا (ك ـ 18) .. مثتقبلى انتهى خلااث ..

ـ ما تقولش كده يا (س ـ 18) .. أنا أعرف واحد صاحبى « سمكرى » شاطر .. وكلها شوية تظبيطات على وش « دوكو » وهتبقى أحسن مالأول .. بس ما تعملش فى نفسك كده عشان خاطرى ..

ـ قُطع (ثين ـ تمتاثر) وثنين (ثين ـ تمنتاثر) .. أنا إيه إللى خلانى أثارك فى المعركة الثرثة دى ! (هكثوث) إيه و(فراعنة) مين !.. ميثنوا عليهم الحرب ولا يكلوهم حتى .. أنا كان ماااااالى !!

ـ أنت اللى بتقول كده يا (س ـ 18) ؟.. طب وأحلامك ! ، والمكافأة !.. ومشروع السنترال إللى عاوز تعمله ؟

ـ ثنترال مين ياعم !.. من هنا ورايح مفيث مثاريع .. مفيث ثنترالات !.. مفيث أحلام من أثاثه .. مالهم عمال الدليفرى !!.. أنا هثتغل عامل دليفرى .. هغثل أطباق .. ولا اقولك .. مث هثتغل من أثاثه .. أنا هقعد عاطل فى البيت ..

قالها وسقط أمامه كالحجر ..

وفقد الوعى ..

* * *

تجمد (س ـ 18) فى مكانه ، واتسعدت عيناه فى ذهول ..

كان قد نزل للتو من عربة الأجرة التى كانت تقله و(ك ـ 18) .. وكان الأخير يسانده ليتمكن من الحركة ، بعد أن عادا من ورشة الميكانيكى ، الذى قام بتثبيت فك وأسنان مؤقتة لـ (س ـ 18) ..

وكان المكان قد تفحم عن آخره ..

الدخان الأسود المخيف يتصاعد من كل شبر فى البقعة التى كان منزله يحتلها حين تركه فى المرة الأخيرة ..

أما عربات الشرطة والإطفاء فقد كانت تملأ المكان ..

لم يتفوه (ك ـ 18) بحرف واحد .. بينما انطلق هو رغم الإصابات التى تملأ كل جزء من جسده نحو المكان صارخًا بكل قوته .. برغم محاولات رجال الأمن المستميتة لاستبعاده .. ثم اندفع نحو المحفة التى كانت تحمل والدته .. والتى وضعها بعض الرجال بداخل سيارة الإسعاف للتو .. ثم دفع

Looloo www.looloolibrary.com

نفسه بداخلها .. قبل أن ينحنى فوق جسد والدته ، التى راح الشحم الأسود يسيل من طرف فمها بغزارة بلوعة .. هنالك فتحت عينيها وتطلعت نحوه بوهن ..

ـ (س ـ 18) أنت جيت ؟..

مسح فوق رأسها الصلعاء بيده وغالب الشرارات الكهربية التى أغرقت وجهه فى استماتة ..

ـ إيه حصل .. مين اللى عمل كده ؟..

لكنها ابتسمت بوهن أشد وأتبعت وهى تتحسس أماكن الكدمات بوجهه :

ـ مش مهم يا (س ـ 18) .. المهم إنك كويس يا ضنايا ..

لكنه أتبع بانهيار :

ـ لازم أعرف مين .. لازم أعرف ..

قالها قبل أن يتبع بحسم :

لأ .. أنا عارف كويس مين عمل كده ولازم يدفع التمن .. صدقينى لازم يدفع التمن .. وغالى قوى ..

سعلت بقوة فاندفع الشحم الأسود يغرق وجهه ، وجاهدت بقوة هذه المرة لتنطق :

اسمعنى يا (س ـ 18) .. كح كح !.. ماعادش فيه وقت .. كح !.. فيه سر كبير كنا .. كح كح !.. مخبينه عنك طول السنين اللى فاتت أنا و ... كح !..

ارتسمت على وجهه علامات الذهول وهو يتساءل :

ـ أنتِ وكح مين؟

كتمت السعال بصعوبة شديدة ثم استدركت بذات اللهجة :

ـ قلت لك مفيش وقت سيبنى أكمل ..

ارتفع مؤشر الخطر بداخله دفعة واحدة ، وهو يحملق فى كل صامولة فى خلجات وجهها ، الذى جاهدت كى يحتفظ بثباته برغم ماهى فيه ، قبل أن يتمتم بريبة :

ـ اوعى تقولى إنى ....

لم يقوَ على استكمال عبارته ، لكنها صمتت ، فاتبع بتردد ..

ـ إنى مش ... ابنكم ..

تضاعف اصفرار صفيح وجهها عشرات المرات دفعة واحدة وتمتمت بذهول ..

ـ عرفت إزاى !!

أجابها دون فهم :

ـ كل اللى فى الأفلام الآلية القديمة بيقولوا لأولادهم كده وهما بيموتوا ..

ثم انتفض دفعة واحدة كأنما تنبه لأول مرة لدقة ما تفوهت به منذ لحظات.. لكنها لم تمنحه الفرصة هذه المرة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ إحنا لقـ .. كح !..

ـ عاوزة تقولى إيه ؟.. ما تكحيش دلوقت فـ عرضك ..

ـ إحنا .. إحنا ..

ـ هاا ..

ـ لقيناك يا (س ـ 18) ..

ـ لقيتونى!!.. لقيتونى إزاى!!..

ـ أيوة يا (س ـ 18) .. أنت مش ابننا ..

ـ مش ابنكم ازاااى !!.. أنت بتقولى إيييييييه؟..

هى دى الحقيقة يا (س ـ 18) .. أنا و (ل ـ 74) الند ....

ثم ضغطت أسنانها بحنق حينما أتت سيرته قبل أن تستدرك :

ـ يللا بقى ما يجوزش عليه إلا الرحمة .. القصد .. فضلنا سنين طويلة ما نخلفش .. لفينا على سمكرية البلد .. ما سبناش سمكرى إلا ورحناله .. وفى النهاية كلهم أجمعوا على إننا ..

ثم ازدردت لعابها كأنما تجاهد ذكرى حزينة جاهدت طويلاً لإخفائها ..

ـ على إننا مش هنخلف ..

قالتها وأشاحت بوجهها للناحية الأخـرى وانهمرت الشرارات الـصامتة من عينيها ، أما هو فقد جعلته الصدمة يتساءل بذهول ..

ـ وأنا إيه !!

ـ إحنا لقيناك يا (س ـ 18) .. لقيناك ..

ـ لقيتونى!!.. يعنى إيه لقيتونى ؟!!

ـ أيوة يا (س ـ 18) لقيناك وأنت لسه حتة حديدة حمرة .. خـدناك واعتبرناك عوضنا من الدنيا وقررت أنـا و(ل ـ 74) نربيـك .. وقلنـا هنخفى السر ده للأبد ..

تمتم فى ذهول :

ـ إيه !!.. أنت بتقولى إيه .. أنا لا يمكن أصدق الكلام ده ..

قالها وانقض عليها بلا وعى :

ـ أنت بتكذبى .. بتكذبى .. أكيد بتكذبى ..

لم تحرك ساكنا ، بينما تعالى الصوت المعدنى لارتطام أطرافها ببعـضها وهو ينتفض فى جسدها المعدنى بكلتا يديه ، قبل أن تنفجر فى البكاء دفعة واحدة ..

ـ كده يا (س ـ 18) !!.. دى أخرتها !.. ده جزاءنا إننا ما سبناكش لكلاب السكك الآلية تاكلك !..

أما هو فلم يلتفت لعبارتها وهو يجاهد ليستوعب ما يسمعه ..

ـ أنا كنت حتة حديدة حمرة !.. أنا !!.. لا يمكن أصدق .. أنا أخضر .. أخضر .. أخضر ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أجابته بصوت خرج مضطربًا على الرغم منها ..

ــ لا يا (س ــ 18) .. أنت اخضريت مع الزمن .. لما كبرت ..

اتسعت عيناه الفوتونيتان عن آخرهما ، ولم يقوَ على الكلام ، كأنما جمدت المفاجأة فكّيه هذه المرة ، بينما أتبعت هى بصعوبة وهى تجاهد الشرارات الكهربية التى انهمرت من عينيها الواهنتين فى صمت ..

ــ هى دى الحقيقة يا (س ــ 18) .. هى دى الحقيقة ..

هز رأسه بقوة كأنما يجاهد ليستفيق من كابوس مزعج ..

ــ يعنى إيه !!..

ثم تمتم كأنما يحادث نفسه بلا تصديق ..

ــ أنا لقيط !!.. لقيط !!.. أنا !!.. يعنى أنا ماليش أهل !!.. كنتوا بتخدعونى !.. طب ليه !.. ليه !.. ليه !..

لم يبدُ أنها قد سمعت تساؤله هذه المرة وهى تجاهد لتتبع ، بينما بلغ وهنها ذروته :

ــ دلوقتِ اقدر أموت وأنا مرتاحة .. يعملونى بعدها تلاجة ، يعملونى غسالة نص أتوماتك .. مش مهم .. شالله حتى يعملونى وابور جاز .. كل ده مش مهم .. المهم إنى رميت الحمل التقيل اللى تعبنى كل السنين دى عن ضهرى ، وأقدر أدخل مصنع الحديد والصلب وأنا مرتاحة الضمير ..

ثم تشبثت بتلابيبه دفعة واحدة ، دون مقدمات ، وقالت بتوسل :

ــ بس فى عرضك ما تخليهمش يعملونى لعب أطفال ، الولاد الصغيرين ما بيرحموش يا بنى ..

لم يعِ حرفا مما قالت ، وهو يتمتم بذهول :

ــ الحكاية دى لا...

لم يستكمل عبارته ، حينما تصاعد من فمها خيط أسود مخيف من الدخان .. صاحبه أزيز متقطع لم يلبث أن خمد تمامًا .. وكان هذا يعنى حقيقة واحدة حاسمة ، فهمها (س ــ 18) على الفور ، وهى أن مخزون الطاقة فى بطاريتها قد نفد عن آخره .. وبالرغم من أن الأمور كانت واضحة تمامًا ، إلا أنه بدا كأنما لم يستوعب الموقف تمامًا .. حتى أنه انقض على هيكلها المعدنى .. ونشب أصابعه فى كتفيها كالمجنون ورجهما بعنف ، وانطلقت بعدها صرخاته الهستيرية فى المكان ، كمن أصابه مس من الجنون :

ــ لا ما تموتيش .. ما تموتيش .. قولى إنك بتهزرى .. بتكذبى .. قولى أى حاجة .. أى حاجة .. لكن ما تسيبينيش كده ..

ثم ارتد بغتة للخلف كالمصعوق ، وتركها تنفلت من يده ، حينما انتفض جسدها بأكمله انتفاضته الأخيرة وخبا البريق المعدنى فى عينيها دفعة واحدة .. وللأبد ..

هنالك انتفض هو من مكانه ، كأنما سرت فى بدنه المعدنى صاعقة بقوة مليونى فولت على الأقل ، قبل أن يصرخ بقوة هادرة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لاااااااا .. ما تموتيييييييش ..

ـ أنا مش لقيط ..

ـ مش لقيط ..

ـ مش لقيط ..

ـ مش لقيط ..

ـ مش لقيييييييط ..

* * *

فتح (س ـ 18) عينيه بصعوبة ، وحملق لوهلة فى الصورة المهتزة التى بدت معكوسة أمام عينيه ، قبل أن يكتشف أن رأسه يتدلى لأسفل وقد قيدت قدماه لأعلى، وبالرغم من ذلك لم تستمر دهشته طويلاً ؛ كان قد تبين طبيعة القبو المعلق فيه حينما رأى رجال (مازينجر الإسترلينى) الآليين يحيطون به فى نصف دائرة ، بينما وقف الأخير فى مواجهته تمامًا ..

كان يبتسم ابتسامة آلية كالحة ويدخن سيجارًا نوويا تتصاعد عنه الأبخرة الذرية والتى نفثها فى وجه (س ـ 18) باستخفاف ، قبل أن يتبع بسخرية :

ـ أنت بقى الرومانسى اللى عامل لى فيها (غ ـ111) (*) .

امتقع وجه (س ـ 18) وحاول التملص من القيود دون فائدة ..

(*) (غ ـ111) رمز العاشقين فى أطلانطس .. لاحظ أن هذا قبل ظهور (روميو) بأجيال طويلة .

حدجه (س ـ 18) بنظرة نارية استودعها كل غضبه ولم يتفوه بحرف واحد ، بينما مال هو نحوه بشراسة ودس سيجاره النووى المشتعل فى صفيح صدره العارى، هنالك كتم (س ـ 18) صرخة شديدة كادت تنفلت منه ، ثم استجمع كل قوته وبصق فى وجهه ..

هنالك تراجع (مازينجر الاسترلينى) للخلف وقد أفقدته المفاجأة جزءًا من رشده ، ثم انهال على وجه (س ـ 18) بقبضته فى ضربة صاعقة ارتج لها كيانه بأسره ، لكن الأخير تمالك نفسه بمعجزة وخرج صوته شديد السخرية على الرغم منه :

ـ هى دى بقى القبضة المدمرة اللى كنا بنسمع عنها ؟

أما (مازينجر الاسترلينى) فقد تقلصت معالم وجهه فى غضب وقد نالت منه السخرية ، حتى أنه أشعل سيجارا نوويا آخر ونفث دخانه بقوة ، قبل أن يتبع بتوتر بلغ مبلغه هذه المرة :

ـ شكلك مش عارف أنت بتتكلم مع مين ..

هذه المرة بصق (س ـ 18) الشحم الأسود الذى ملأ فمه وأجاب بذات الغضب :

ـ أطلانطس كلها تعرف مين هو (مازينجر الاسترلينى) ، أكبر رجل عصابات آلى فى تاريخها ، وواضح إن أنت الوحيد اللى ما يعرفش ، أو محتاج أفكرك بمين هما (المزدوج) و(أبو الغضب) .. رجال الأعمال الشرفاء اللى استوليت على مؤسساتهم الخيرية بطرقك غير المشروعة وبدأت منها رحلتك فى عالم الجريمة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

هذه المرة ارتعدت أصابع (مازينجر الاسترليني) بغضب وهو يشير نحوه بحقد ، واستجمع غضب العالم وهو يصرخ فى رجاله ..

ــ الكلب ده مش عاوز النهار يطلع عليه ، عاوزكم تتاووه ..

قالها وتراجع للخلف ، بينما تقدم رجاله للأمام ، وارتفعت مدافعهم كلها باتجاه (س ــ 18) الذى انتفضت كل صاملولة فى جسده حينما انطلقت الرصاصات كلها نحوه ..

دفعة واحدة ..

* * *

على الرغم من أن الرصاصات كلها قد انطلقت كالمطر ، ومن كل صوب ، إلا أن (س ــ 18) نفسه وقبل أن تبلغ جسده الآلى الأخضر وتخترقه .. كان قد اختفى ..

اختفى تمامًا ..

تمامًا جدًا ..

جدًا ..

جدًا ..

وبحق ..

* * *

(س ــ 18) نفسه لم يكن يدرى أين هو !

كان يسبح فى مكان ما ، بلا أفق ..

مكان بلا معطيات معروفة ..

بلا أبعاد ..

فقط كان يشعر بأنه موجود ..

دون أن يرى شيئًا ..

أو يسمع حرفًا ..

كان منزوع الحواس ..

ثم جاءه الصوت .. لم يكن صوتًا معتادًا ! ، لكنه بلغه ، وتوغل بداخل عقله ..

والأهم ، أنه فهمه تمامًا ..

أعلم ما يدور بعقلك ..

أفهم كل تساؤلاتك ..

لكن من منا يملك حيال تساؤلاته اللانهائية شيئًا !..

لا يهم « أين أنت ».. مادمت على يقين بأنك موجود ..

ولن يفيدك « من أنا » ، و« لما » ، و« من أين جئت » ..

فيما تفيد الأجوبة لو أن الكون بهذا الاتساع !..

Looloo
www.looloolibrary.com

لو أن الأمور تدور بقدر ..

لو أن الزمن يسير إلى الأمام فى مسار محسوم ..

لو أن النجوم تسلك ذات المدار إلى الأبد ..

لن يغنيك التساؤل شيئًا ..

ولن تهبك الإجابة أى درجات من الفهم ..

فقط ، أنا هنا لأجلك ..

أنت ..

لأعلمك كيف تربح ..

والرابحون فقط يتعاملون مع أقدارهم باعتبارها واقعًا ، دون تساؤل ..

سأهبك من الفهم أقل القليل ..

لكنه ربما يكفى ..

لهذا لا تسأل الآن ..

ودع الحياة تمنحك ما لديها ..

* * *

سأستبدل ذراتك بأخرى .. أليافك ووصلات بأخرى .. فتشبث بكيانك وأفكارك بكل قوتك ، تشبث بذاتك نفسها حتى لا تفنى ..

* * *

« الكون من حولك سر كبير ! »

« وكل ذرة فى كيانك كون مستقل ، مترامى الأطراف ، بلا نهاية ، بحقائقه الثابتة ، وأسراره »

« كل ما عليك أن تسخر هذه الأكوان اللا نهائية فيك ، فى مواجهة كون وحيد »

« أن تصمد »

« كل ما عليك .. أن تصمد .. »

« ألا تكن ضعيفًا .. »

« لن يرحمك الكون لو أظهرت ضعفك .. »

« الكون لا يقبل الضعفاء »

« هذا خيارك الآن !.. »

* * *

الآن سأعلمك كيف تطلق طاقتك ، تختصر المسافات ، الأزمنة(*) ، تتنقل عبرها ، تتواصل مع الكون ، تخترق الأسرار ، تمتصها ، تجعلها خلفك ، لا أمامك ..

* * *

(*) راجع سلسلة ملف المستقبل ، العدد (93) ــ نقطة الصفر ــ ، ستكتشف أن صانعى (س ــ 18) فى أطلانطس لم يؤمنوا أصلا بفكرة السفر فى الزمن ، بينما تنقل هو خلاله فى أكثر من مرة .

Looloo
www.looloolibrary.com

« تعلم كيف تتخلص من عدوك الأول »

« الخوف !.. »

« الخوف يستعبد جسدك بكل أسراره .. إرادتك .. »

« يمزقك .. »

« يحجب عنك السر .. »

« فقط .. لو أنك اقتربت أكثر .. »

« أكثر !.. »

« ينقصك الآن أن تريد .. »

* * *

هل صار عذابك لا يُحتمل !.. أعلم .. هل صارت كل ذرة من كيانك تئن ! تشع بويلات ملايين البروتونات والنيترونات فيها !.. أعلم .. هل صرت تعجز عن الصراخ !.. لا تأمل إلا الفناء !.. العدم ..! التلاشى !.. أعلم ..

لكنه الميلاد ؛ ولكل ميلاد ــ كما صرت تعلم الآن ــ ألم ، بحجمه !..

* * *

والآن ، لا فواصل ..

لا مسافات ..

لا أزمنة ..

لا حواجز..

الآن تصير جزءا من الأسرار ..

السر ذاته ..

ثم وحدك تصبح الأسرار ..

كلها !..

* * *

فى اللحظة التالية فتح (س ــ 18) عينيه ، وفى جزء من أجزاء من الثانية ارتطمت بجسده عشرات الرصاصات .. بل مئات المئات منها ..

* * *

ــ سأعيدك للثانية التى كنت فيها ، بحسابات زمنك هى لم تنتهِ ، لأنك لم تتجاوزها بعد ..

ــ أشعر أن شهورا قد مرت منذ صرت هنا .. وتخبرنى أنها ثانية !..

ــ لأن عقلك لم يستوعب بعد ما يمكنه أن يحدث فى ثانية واحدة ، حياة كاملة مكدسة بالتفاصيل قد تنشأ وتنتهى وتصير ذكرى بعيدة خلالها ، الزمن سر الكون ، فلا ترهق عقلك الآن فى فك طلاسمه ، الفهم منحتك الجديدة التى ستكون فى انتظارك حين تعاود إلى عالمك الذى تعرفه ، حيث ستفصح لك معطيات الحياة فيه عن قدراتك الجديدة ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

وفى اللحظة التى تليها انقلبت الأمور ..

لأن الفريسة السهلة صارت صيادا مخيفا هذه المرة ..

وأمام أعين (مازنجر الإسترلينى) ورجاله تحرك (س ــ 18) ، للدقة اختفى (س ــ 18) !، لأن سرعته هذه المرة كانت أكبر من مقدرتهم جميعًا ــ رغم إصداراتهم البرمجية المتقدمة ــ على الرؤية ..

أكبر كثيرًا ..

كثيرًا جدًّا ..

جدًّا جدًّا ..

جدًّا جدًّا جدًّا ..

وبحق ..

وكانت لحظة الدهشة آخر ما رآه (مازنجر الإسترلينى) ورجاله ..

وفى اليوم التالى استقبل مصنع الحديد والصلب العام بأطلانطس شحنة أخرى صالحة لإعادة الهيكلة ..

ماذا عن حجمها ؟..

ربما ما يكفى من المعدن لصنع « ونش » عملاقًا ..

* * *

كان (س ــ 18) يسير هذه المرة بتؤدة عجيبة ، وثقة أعجب .. وهو يحدج الجماهير التى راحت تهتف باسم (جزار ــ 21) فى جنون ، راح المكان بأسره يرتج له .. بينما وقف الأخير بوسط الحلبة منتفخ الأوداج وهو يلقى نظرة لا مبالية شديدة الاستهتار نحو (س ــ 18) ، الذى بدا كأنما لا يعنيه شىء فى العالم ، وهو يتقدم بثبات من الحلبة ، ثم قفز ببساطة شديدة من فوق الكابل الحديدى الضخم الذى تم شده حولها .. ليقف فى مواجهة (جزار ــ 21) مباشرة ، ويرفع عينيه فى نظرة مباشرة نحو عينيه وقد تراقصت على وجهه شبح ابتسامة لم يفسرها (جزار ــ 21) نفسه إلا باعتبارها جنونًا ، حتى أنه استدار نحو الجماهير التى تعالى صراخها أكثر ، وهو يشير بذات الإشارة نحو رقبته بعلامة الذبح إياها ، والتى يفهمها الجميع .. لكن ملامح (س ــ 18) لم تتخل عن الابتسامة الساخرة التى ازدادت أكثر ، ولم يتحرك حتى من مكانه وهو يستمر فى التطلع لعينىّ (جزار ــ 21) ، الذى كان الغضب قد بدأ يرتسم فى معالم وجهه هذه المرة ، كأنما أحنقه أن يعامله (س ــ 18) الذى كاد يسحقه من قبل بكل هذا الاستهتار .. ثم امتدت يده بغتة فى حركة فاجأت الجماهير ، حينما قبض على جسد (س ــ 18) وقذف به بذات الطريقة السابقة إلى أعلى .. هنالك تعالى صراخ الجماهير الهستيرى حينما ارتفع جسد (س ــ 18) بالفعل ، حتى اختفى عن الأنظار كأنما بلغ الغلاف الجوى ..

ثم فجأة هبطت الصاعقة من السماء !.. حينما عاد (س ــ 18) ككرة متوهجة من اللهب بسرعة مخيفة لم يرَ أحدهم مثلها من قبل ، واتقض

Looloo
www.looloolibrary.com

على الحلبة حيث يقف (جزار ــ 21) ، الذى لم يستوعب عقله ما حدث ، كل ما شعر به ــ رغم قوته التى تباهى طويلاً بها ــ أنه هو من يحلق فى سماء الحلبة هذه المرة ، ثم يعود .. حيث تلقفته يد (س ــ 18) الذى أداره أفقيًا كقرص عملاق فوق يده بسرعة لم يتخيل أحد من الجماهير أنها ممكنة .. ثم وضعه بعناية فوق أرض الحلبة وابتعد إلى الركن .. هنالك تحول الوجوم الذى سيطر على الجماهير إلى موجة من الضحك حينما راح (جزار ــ 21) يترنح فى المكان كالسكير ؛ حتى أنه كان يحاول التشبث بكابل الحلقة ليحافظ على توازنه ، ثم تحولت موجة الضحك إلى طوفان من القهقهة الهستيرية حينما راح (جزار ــ 21) يلكم الهواء .. لكن ذلك لم يدم طويلاً .. اذ اندفعت قبضة (س ــ 18) تنهال عليه كالبرق من كل اتجاه حتى تناثر الشحم الأسود من وجهه وأسنانه المحطمة ، والتى فقدها كاملة ..

وفى اللحظة ذاتها ارتفعت صرخات الجماهير المتعطشة للشرارات الكهربية فى (س ــ 18) أن يجهز عليه ..

هنالك خر (جزار ــ 21) فوق ركبتيه أمامه مباشرة وقال بتوسل ..

ــ فــ عرضك يا (ثين ــ 18) بيه ، أنا فــ رقبتى كوم حديد بجرى عليهم ..

ثم انهار فى البكاء ..

دفعة واحدة ..

كان الصمت قد سيطر على المكان لثوانٍ ، ثم انفجرت الهتافات دفعة واحدة مع صوت جرس التحكيم المميز ، الذى دق فجأة فى المكان ليعلن الفوز الحاسم لـ (س ــ 18) ، الذى وقف فى منتصف الحلبة بشموخ ، بينما ارتفعت موجة هستيرية باسمه ترج المكان ...

* * *

الآن تصير جزءًا من الأسرار ..

السر ذاته ..

ثم وحدك تصبح الأسرار ..

كلها !..

Looloo
www.looloolibrary.com

- 4 -

فى ركن منسى مهمل ، من كتب الأساطير ..

فى جانب مظلم مبهم ، فى عقول البشر ..

بحروف دقيقة مرتجفة ..

بدأت هذه الأسطورة ..

أسطورة (ابن الشيطان)(*) ..

* * *

ــ ابنى أنا يطلع « سيس » !.. أنا !!..

نطقها الشيطان ، فاندفعت من عينيه عاصفة عاتية من ألسنة اللهب تعصف بكل شىء حوله ..

عاصفة من الغضب ..

والحنق ..

والدهشة ..

وبحروف تقطر مرارة وغضبًا استطرد :

ــ أنت جبت لى العار .. لطخت سمعة العيلة .. ضيعت بطيشك وغبائك كل اللى فضلت طول عمرى أبنيه ..

(*) راجع سلسلة ملف المستقبل ، العدد (72) ــ ابن الشيطان .

ــ بابا !!..

ــ ما تقولش الكلمة دى تانى .. مش عاوز أسمعك بتقولها ..

ــ بابا .. بابا ..

ــ قلت لك مش عاوز أسمعها تانى ..

ــ طب بابا .. بابا .. بابا ..

لكن عبارة الشيطان الأب جاءت حاسمة .. قاطعة :

ــ أنت من النهارده لا ابنى ولا أعرفك ..

هنالك اندفع الشيطان الصغير ــ وقد شعر بجدية الأمر ــ نحو والده ، وحاول جاهدًا أن يلقى بنفسه بين أحضانه ، وأن يستجديه بماء النار الذى راح ينهمر من عينيه بغزارة تتقطع لها القلوب .. لكنه دفعه بيده فى عنف ، فجثا على ركبتيه عند قدميه ، وقال بلوعة :

ــ بابا .. بابا .. أنا (بعلزبول الابن) .. أنا ابنك ..

لكن الشيطان استدار فى غضب ، ثم اشتعلت نيران الغيظ فى عينيه دفعة واحدة ، وأمسكه من ذراعه بعنف ، وأتبع بثورة :

ــ أنت الغلطة الوحيدة اللى عملتها فى حياتى .. أنت نزوة .. تهور .. أنت دليل غبائى الوحيد ، اللى مش هعرف أتخلص منه ..

ــ ليه يا بابا ! ، أنا عملت إيه !..

Looloo
www.looloolibrary.com

هنالك ارتج المكان بأسره بصرخته الهادرة :

ــ ولسه بتسأل ليه بعد اللى كل عملته !!..

قالها ، ثم قذف به فى اتجاه الباب ، قبل أن يتبع وقد اشتعلت فى عينيه كل نيران الجحيم :

ــ أنت خليت شياطين الجحيم تاكل وشى .. تتهكم علىّ .. تخوض فى سيرتى .. مفيش شيطان واحد إلا وقال إنى معرفتش أربى .. وإن ابنى اللى صرفت عليه مية نار قلبى ، ودخلته أحسن مدارس فى الجحيم ، وعلمته أحسن علام طلع قلبه رهيّف ، وبيتعاطف مع بنى البشر ، وما بيقدرش يوسوس لهم ..

قالها قبل أن يتبع ، كأنما يحادث نفسه بعدم تصديق :

ــ ابنى أنا !.. أنا !!..

ثم انتفض فى مكانه ، وارتج المكان من حوله ، وهو يتبع بكل ما يعتمل فى نفسه من مرارة وانهزام :

ــ لكن لأ .. مش أنا .. مش أنا اللى أسمح لأى شيطان ما يسواش نكلة يتكلم علىّ .. أنا أكبر من كده .. أنا أكبر من كده ..

قالها ، ثم أشار بيده نحو الباب ، وقال بحسم مخيف :

ــ اخرج من بيتى ، وما تورنيش وشك تانى .. مش عاوز أشوفك .. مش عاوز أشوفك .. مش عاوز أشوفك ..

أما (بعلزبول الصغير) ، الذى استكان فى مكانه ، بعد أن ارتطم جسده النارى فى الباب بعنف ، كان الذهول يعصف بكل لسان لهب فى جسده الصغير ، وكانت الدهشة تسيطر على كل جمرة متقدة فى روحه .. لكنه استجمع ما بقى لديه من قوة ، وقال بكراهية :

ــ أنت لا يمكن تكون شيطان زيّنا .. أنت معندكش قلب ولا رحمة .. أنت ظالم .. ظالم .. ظالم ..

هنالك نظر الشيطان الأب نحوه بنفور وحنق كادا يقفزان من عينيه ، قبل أن يتبع بازدراء :

ــ حتى كلامك تافه ، تقليدى ، سمعته مليون مليون مرة ..

ثم استدار عنه ، وقال بلهجة تقطر صرامة وحسما :

ــ اخرج من هنا ومش عاوز أشوفك تانى يا فاشل .. يا فاشل .. يا فاشل ..

أما الشيطان الصغير ، فقد استجمع ما تبقى لديه من القوة ، وتحامل على رجليه الواهنتين ــ الشبيهتين بأرجل الماعز ــ ، ثم رفع سبابته نحوه ، وقال بكل ما خلفه الموقف فى روحه من عزم وقوة وإصرار ..

ــ وحياة القلم اللى ضربتهولى ، واللى عمرى ما هنساه ، وحياة كل كلمة قلتها دلوقت ، وأنت مستقل بيا ومش عارف قيمتى ....

هنالك قاطعه الشيطان بسخرية غاضبة :

ــ أيوة أيوة .. اعمل فيها (عبد الحليم حافظ) ..

لكنه استكمل باللهجة نفسها دون أن يعيره انتباها :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لازم تندم على كل كلمة قلتها .. ولازم تدفع التمن ..

قالها ، وصفق الباب خلفه ، وغادر المنزل ...

بلا رجعة ..

* * *

فى اللحظة التالية تجمد المشهد فى مركز التجميل تمامًا ..

كل الأعين اتجهت نحو (سونيا جراهام)، وتصلبت رءوس أصحابها دون حركة واحدة ..

الجميع بلا استثناء ..

جميع النسوة ..

ورجال الأمن ، الذين هرع أكثرهم إلى المكان على أثر الطلق النارى ..

حتى (نور) و(أكرم) ..

بدا كلاهما كتمثال برونزى ثابت فى مكانه ..

أما (سونيا) نفسها فقد صرخت فيهما ، وهى تشاهد ظل (أدهم) الذى غادر النافذة للأسفل للتو :

ــ هل تركتماه يهرب منكما .. يا للخيبة !..

قالتها بصراخ ساخط ، ثم ارتدت للخلف دفعة واحدة ، ورفعت أحد حاجبيها ، وهى تحملق فى جميع الموجودين ، الذين راحوا يتطلعون نحوها كالمشدوهين ، دون أن تتفوه بكلمة واحدة بدورها .. هنالك هب (أكرم)

من مكانه ، ثم لعق مقدمة يده ومررها على جبهته ، ليصفف شعرات رأسه المتهدلة .. ثم عدل من هندامه المبعثر ، واقترب منها وهو ينحنى انحناءة بسيطة ، ويمد يده لمصافحتها ، ويقول بذوق مبالغ فى أمره ، ولا يناسب الموقف :

ــ (أكرم سلهوب) ، مهندس سابق ، ورجل مخابرات علمية ، أعزب ولا أعول ، أمى ماتت فى الاحتلال ، وما ليش إخوات .. عندى شقة فى القاهرة الجديدة ومرتبى كبير ..

ثم مال نحوها ، وقال بلهجة خافتة حرص على ألا تصل لـ (نور) ..

ــ وعندى مزرعة دواجن ، ومشارك فى مطعم ..

هنالك تمتم (نور) بدهشة :

ــ أعزب !!..

قالها قبل أن يتبع بسخط هامس :

ــ ودينى لقايل لـ (مشيرة) ..

ثم اتسعت عيناه بذهول، حينما مررت (سونيا) يدها بين خصلات شعرها الأشقر الحريرى ، وقالت بدلال :

ــ وأنا (سونيا) .. (سونيا جراهام) ..

هنالك أطلق (أكرم) تنهيدة حارة ، وهو يتطلع فى عينيها بهيام ، قبل أن يجيبها بابتسامة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ وهل يخفى القمر !

لكنه انتفض فى الثانية التالية بلا مقدمات ، حينما أتته صرخة (نــور) محملة بقدر هائل من السخط والغضب ، وهو يندفع نحو النافــذة ، حيــث اختفى (أدهم صبرى) كالعادة :

ــ هل سنقف هنا يا « روميو » ونتركه ليهرب !

ازدرد (أكرم) لعابه دفعة واحدة ، كأنما أعادته عبارة (نــور) إلــى أرض الواقع ، فاندفع يلاحقه بدوره نحو النافذة .. وقبل أن يصل إليهــا .. انفلتت من بين شفتيه مع الجميع صرخة دهشة ، حينما اندفعت (ســونيا جراهام) كالسهم نحو النافذة ، وهى تطلق صرخة حماسية حــادة .. ثــم تخطتها إلى الخارج ، ليحلق جسدها فى الفراغ بجــرأة ، قبــل أن تتعلــق بحافة الإفريز بجرأة عجيبة دون أن يُطرف لها رمش واحد ..

هنالك تمتم (أكرم) بانبهار :

ــ يا للجرأة ..

ولم يكد ينطقها حتى دوى صوت الارتطام .. ارتطام عنيف ضــخم هــز المنطقة بأسرها ، حتى أنهما اندفعا نحو النافذة ليطالعا ما حدث .. وأمــام أعينهما وأسفل البناية مباشرة كان جسد (سونيا) قد استكان فوق إحدى السيارات ، التى تحطم سطحها تمامًا ، وتناثر زجاج نوافذها فى كل مكان ، بعد أن هوت من حالق .. وحينما هبطا سلم البناية إليها بسرعة البــرق ، كانت ما تزال فى نفس الوضع ، وقد تصلبت كل عضلة من جــسدها فــى

مكانها ، واتسعت عيناها وتحجرتا فى مكانيهما ، وتدلى لسانها إلى الخارج على نحو بشع .. حتى أن (أكرم) تساءل دون تفكير :

ــ ماتت ؟

لم يبد على (نور) أنه سمع عبارته ، وهو يتطلع نحوها بدوره ويردد بشرود :

ــ لا أظنها ستنجو من هذه السقطة ..

أما هى فبدت كأنما كانت تنتظر هذه العبارة ، إذ حركت رأســها دفعــة واحدة ، واستدارت تتطلع نحو حديد الإفريز الذى انخلع فى يدها ، والتــى كانت ما تزال تشبث به ، قبل أن تردد بذهول واهن :

ــ هذا البلد يعانى غشا رهيبا فى مواد البناء ..

قالتها وسقط رأسها إلى جوارها ، وغادرت الوعى .. أما (نور) فقــد تجاهلها تمامًا وهو ينظر نحو (أدهم صبرى) الذى وقف فى نهاية الشارع ، وقد تعمــد أن يبــدو واضحًا لهما تمامًا ، وانطلق فى موجة من الــضحك الهستيرى ، وهو يشير نحوهما بأسلوب طفولى ، متعمــدا اســتفزازهما ، مما جعل (نور) يردد بغلٍّ حقيقى :

ــ أرأيت يا (أكرم) !.. إنه يغيظنا ..

أجابه (أكــرم) بسخط ، وهــو يضم قبضته ويضغط أسنانه حتى كــاد يحطمهما :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ اللعنة .. اللعنة ..

قالها ثم راح يفتش بين طيات ثيابه عن مسدسه التقليدى ، حتى أن (نور) نفسه سأله بتوتر :

ــ علام ستقدم أيها الأحمق ..

أما هو ، فلم يكد يكتشف عدم وجود المسدس فى مكانه ، حتى دار بعينيه فى المكان ، ثم التقط حجرا صغيرا ، وبكل ما يعتمل فى داخله من حنق وثورة وغضب قذف به (أدهم) ..

كانت المسافة بعيدة .. و(أدهم) يقف على الناصية الأخرى للشارع ، لكن طاقة الغيظ بداخله جعلت الحجر ينطلق كالقذيفة .. وفى اللحظة التى كان الحجر يقطع عرض الشارع ، كانت سيارة سوداء مهيبة تحمل عبارة « جهة سياسية » تعبر فى الاتجاه المقابل كالسهم .. وارتطم الحجر فى الزجاج الجانبى القاتم للسيارة ، والذى تحطم عن آخره بدوى هائل ..

رهيب ..

مدوٍ ..

وفى اللحظة التالية أطل صاحب السيارة برأسه من النافذة المحطمة ، ثم سحب نفسًا عميقًا من سيجار ضخم ، ثم نفث الدخان باتجاه (نور) و(أكرم) الذين تصلبا فى مكانيهما .. ثم أشار بيده نحو كتيبة « البودى جاردات » التى حملتها ثلاث سيارات توقفت فى اللحظة نفسها خلف سيارته .. وفى الثانية التالية مباشرة وبينما يكاد (أدهم) يفقد الوعى من

شدة الضحك ، ودون أن يفهم أى منهما ما يحدث ، قفزت كتيبة « البودى جاردات » كلٌ من مكانه ، ثم وقفوا جميعًا فى مواجهة (أكرم) و(نور) ، قبل أن يزدرد الأخير لعابه بصعوبة ، ثم يرفع سبابته ويلوح بها بأسلوب النفى ، وهو يتمتم بفزع هامس لم يبلغ مسامع أحد منهم :

ــ والله ما أنا ..

ثم أشار نحو (أكرم) بفزع أشد ، وتمتم بنفس اللهجة :

ــ هو دا اللى حدف الطوبة ..

أما (أكرم) فازدرد لعابه وتمتم برعب :

ــ كان من المفترض أن يكون الزجاج مصفحًا ..

ثم انتبه لما حدث ، فاستدار صارخًا فى (نور) بكل ما فى داخله من سخط :

ــ كدا يا ندل !!

قالها ثم دفع (نور) بيديه صارخًا ، كأنما استفاق من الموقف لتوه على الرغم منه :

ــ اجرِ يا (نووووووووووور) ..

تراجع (نور) بدوره للخلف ، وهو يجيبه بصوت متحشرج :

ــ و(سونيا) .. هنسيبها !!!!

Looloo
www.looloolibrary.com

صرخ فيه (أكرم) :

ــ مش أحسن منموت كلنا !!

ازدرد (نور) لعابه ، وتمتم باقتناع وهو يلقى نظرة أخيرة نحو (سونيا) :

ــ عندك حق ..

قالها ثم أطلقا ساقيهما معًا للرياح ..

أما (سونيا) ، فقد أطلقت أنة ألم ، ثم فتحت عينيها بوهن شديد ، وحاولت أن تتمتم بإعياء :

ــ أنا فـ ...

ثم لم تجد الوقت الكافى لاستكمال تساؤلها ، فما أن طالعتها وجوه كتيبة (البودى جاردات) بكل ملامح الشر المرتسمة فى وجوههم ، حتى قفزت من مكانها بدورها ، دون أن تتساءل عما حدث ، واندفعت خلف (نور) و(أكرم) ..

كالصاروخ ..

* * *

فيلم (رجل المستحيل) ..

المشهد 81 كلاكيت أول مرة ..

انتفض جسد (منى) فى قوة ، حينما سرى فيه تيار كهربى شديد ، ثم تراخى كله ، وسالت دموع الألم والمرارة من عينيها ، وشحب وجهها فى شدة ، فأطلقت الحارسة البدينة (فولجا) ضحكة قاسية ، وهى تقول فى شماتة :

ــ ما رأيك أيتها الجاسوسة المصرية ؟.. أتوقعين ذلك الاعتراف الصغير ، أم أضغط الزر مرة أخرى ؟

هتفت (منى) فى وهن :

ــ اذهبى إلى الجحيم .

عقدت (فولجا) حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

ــ الجحيم من نصيبك أنت ، أيتها المصرية اللعينة .

ومرة أخرى انتفض جسد (منى) فى قوة ، حينما ضغطت (فولجا) الزر ، ثم عاد يسترخى فى ألم ، مع صوت (فولجا) وهى تقول فى حدة ، موجهة كلامها لـ (فولف) الذى دلف من باب القبو فى نفس اللحظة :

ــ لقد أمرتنا الرفيق (مارتينا)(*) . بالحصول على الاعتراف ، قبل الخامسة ، ولقد فشلت كل الوسائل ، وسنلجأ إلى الوسيلة الأخيرة ..

اتسعت عينا (منى) فى رعب ، حينما أردفت (فولجا) فى شماتة :

ــ سنبتر أطرافها واحدًا بعد الآخر ، وسنبقى يدها اليمنى للنهاية ، لتوقع الاعتراف .

(*) راجع سلسلة رجل المستحيل ، العدد (67) ــ الجحيم المزدوج .

Looloo
www.looloolibrary.com

ظلت ملامح (فولف) جامدة ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. فلنفعل .

ــ هل نبدأ بكفها اليسرى ؟

ابتسمت (فولجا) فى وحشية وشراسة ، وهى تقول :

ــ بل بقدمها اليمنى ..

ثم أطلقت ضحكة مخيفة ، قبل أن تردف :

ــ إن القدم تنزف أكثـ ....

ثم بترت عبارتها ، حينما ارتفعت عقيرة (منى) دون مقدمات :

ــ نعاااااااااااالم .. تقطعى رجلى !!. لييييييه .. فكراها سـايبة ولاتكونش سايبة !!..

قالتها ، ثم مدت يدها نحو القيود المحكمة التى تقيدها إلى السرير الذى تتمدد عليه ، وانتزعتها من مكانها ببساطة ، ثم وثبت بعـدها مـن فـوق السرير كأنثى نمر شرسة ، نحو الحارسة البدينة ... حينما ارتفع صـوت جهورى صارخًا فى المكان :

ــ ستووووووب !..

ثم اتبع بكل ما يملكه من عصبية :

ــ المشهد دا أصعب مشهد فى الفيلم عشان كدا بدأت فيه .. الفيلم كـدا مش هيخلص فى سنته .. فين المنتج !.. حد يجيب لى (السويركى) مـن تحت الأرض ..

لكنها لم تتوقف ، وبدا كأنما اصابتها لوثة من الجنون ، وهـى تـنقض بشراسة أكثر على الممثلة الأخرى فى زى الحارسة ، والتى أصابها فـزع حقيقى ، فانكمشت فى جانب الغرفة فى رعب .. قبل أن تمتد يدها الغاشمة نحوها ، وتنتزعها من مكانها فى توحش ، ثم انهالت عليها بمجموعة من الركلات المتتالية ، والتى لم تترك مكانًا واحدًا فى جسدها إلا وأصـابته .. قبل أن تتشبث فى شعرها بكلتا يديها ، وتجذبه نحوها بلا رحمـة ، كأنمـا تود انتزاعه .. وهى تعقرها بأسنانها فى كل مكان يمكنها الوصول إليه .. حينما ارتفعت صيحات (المخرج) الجهورية الغاضبة أكثر هذه المرة :

ــ ستووووب ! ــ ستووووب ! ــ ستوووووووب !

لكنها تركت الممثلة الأخرى ، والتى كانت قد أوشكت على فقدان الوعى ، واستدارت نحوه ، وهى تنتزع لوحًا خشبيًا من أحد أركان الديكور ، وتهم بمطاردته .. فى نفس اللحظة التى صرخ فيها ، وهو يبحث بعينيـه عـن مكان صالح للاختباء :

ــ حوشووووها ..

تكالب عمـال الاسـتوديو عليهـا ، فى نفس اللحظـة التى ظهر فيهـا (السويركى) .. كان يشرب سائلا أصفر من زجاجة صغيرة ، وضعها فى جيبه بمجرد أن رأى الجلبة فى المكان .. وقبل أن يتفـوه بحـرف واحـد أطلقت الممثلة الأولى صرخة حادة ، قبل أن تتبع بتنمر :

ــ تعال يا حثالة المنتجين .. ياللى دخلت الفن من الشباك .. بقـى أنـا (سويركى) تحطنى فى فيلم كئيب ، كله ضرب وقتل ، وفى الآخر عاوزين

www.looloolibrary.com

يقطعولى رجلى !.. ليه !.. الدنيا حصل فيها إيه !.. لما (فوفى عبده) تعمل الأدوار الكئيبة دى أومال مين اللى يعمل الأفلام اللى بتسعد الجمهور !

ضم المخرج قبضته ، وأطلق زئيرا غاضبا ، وهو يقول بحنق :

ــ مين اللى قال إننا كنا هنقطع رجلك .. دا تمثيل .. ثم الدور نفسه مفيهوش قطع رجول .. أنتِ ما قرتيش الورق ولا إيه !..

تنحنحت (فوفى) فى حرج ، قبل أن تتمالك نفسها ، وتتبع بذات التنمر :

ــ ومين قال لك إنى بعرف أقرا ..

ثم اتبعت كأنما تستدرك نفسها :

ــ أنا ماعنديش وقت أقرأ يا (سويركى) .. أنا بشتغل بالبركة .. البركة اللى بتسعد الجمهور يا (سويركى) .. فاهم ولا مش فاهم ..

أخرج (السويركى) الزجاجة من طيات ثيابه ، ثم تناول منها جرعة سريعة ، قبل أن يضعها فى جيبه مرة أخرى ، ويتبع :

ــ أنا الحق علىّ إنى كنت عاوز أطلعك للعالمية .. أنتِ عارفة الفيلم اللى مش عاجبك ده اسمه إيه !

أجابته بنفاد صبر :

ــ وأنا هعرف منين !

مط شفتيه فى تعالٍ ، وهو يجيبها باستهزاء :

ــ دا فيلم (رجل ــ الموس ــ تحليل) ..

اتسعت عيناها ، وانبعجت شفتاها عن آخريهما ، وهى تسأله بدهشة :

ــ الـــ إيه يا أخويا !

أجابها بنفاد صبر :

ــ (الموس ــ تحليل) ..

رفعت أحد حاجبيها ، قبل أن تُتبع باستنكار :

ــ عشنا وشفنا .. أنا أسمع عن (الموس ــ تشريح) .. (الموس ــ تقطيع) .. إنما (الموس ــ تحليل) .. ليه !.. يكونش فاتح معمل !!

ثم أطلقت تنهيدة، استدركت بعدها :

ــ ويطلع مين (الرجل الموس تحليل) ده إن شاء الله ؟!

ضرب كفا بكف ، ثم أردف موجها كلامه للمخرج :

ــ قول لها مين يا سيدى (الرجل الموس تحليل) ..

ازدرد المخرج لعابه ، ثم قال بحنق بعد لحظة تفكير :

ــ رجل (الرجل الموس تحليل) دا يبقى فتوة القصص ، يدخل أى خناقة يقلبها ضلمة .. ما حدش يقف فى سكته .. يدخل له عشر رجالة يخليهم كومة من اللحم المفرى فى جزء من الثانية ..

انبعجت ملامح وجهها ، وهى تسأله ببلاهة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ اللحم الــ إيه ؟!

أجابها مباشرة :

ــ المفرى .. هى كدا وما تسألنيش يعنى إيه ..

مصممت شفتيها، ثم أتبعت بتساؤل :

ــ ليه إن شاء الله ؟ .. يكونش فاكر نفسه (أدهم صبرى) ؟

رفع يده باتجاهها ، كأنما ينتوى خنقها ، لكنه منع نفسه ببسالة ، حينما أتاه تساؤلها :

ــ والجزء من الثانية ده يطلع كام دقيقة ؟

هذه المرة ضم قبضتيه إلى جانبه ، وأغمض عينيه ، وهو يطلق زئيرًا غاضبًا .. ثم قرر أن يتجاهلها ، وهو يميل نحو (السويركى) ، الذى كان يتناول جرعة من زجاجته ، ويسأله بريبة :

ــ هو اسمه (رجل الموس تحليل) ولا (رجل المستحيل) أنت كمان !

أجابه (السويركى) بتخابث :

ــ وأنت عاوزهم يوقفوا لنا الفيلم !

زوى المخرج حاجبيه بتعجب ، بيما استدرك (السويركى) :

ــ أنا لقتهم هيعملوا فيلم (رجل المستحيل) ، قلت ليه مــا اســبقهمش وأعمله أنا !

ثم تناول الجرعة الصفراء الأخيرة من الزجاجة، قبــل أن يميــل نحــو المخرج ، قائلاً بلهجة خاصة :

ــ وابقى خليهم يثبتوا إن (رجل المستحيل) هو (رجل الموس تحليل) ..

اتسعت عينا المخرج للحظة ، قبل أن يتبع بتوتر :

ــ لكن أنا سامع إن الفيلم كــان مرصــود له ميزانية كبيرة ، وشــركة ضخمة اللى كانت ناوية تنفذه ..

ثم استطرد باللهجة نفسها :

ــ دا أنا حتى سمعت إن فيه فكرة لتنفيذه بنظام الــ « ثرى دى » ..

أجابه (السويركى) دون تردد :

ــ خلاص هنسبقهم إحنا بقى ، ونعمله بنظام الــ « فور دى » ..

زوى المخرج عينيه ، وهو يتساءل بدهشة :

ــ « فور دى » إزاى .. إذا كان مفيش فــى الــدنيا إلا « ثــرى دى » مفيش غيرهم ؟!..

هنالك هز (السويركى) رأسه ، وقال بخيلاء :

أهو دا بقى الجديد فى سينما (السويركى) يا برنس ..

قالها ، قبل أن يتبع دون أن ينتظر تعليقه :

ــ خد عندك يا سيدى .. الــ « دى » الأولى يعنى فيلم « دماغ »

www.looloolibrary.com

ثم أشار بيده نحو المطرب (سيد الكبير) ، الذى رفع يده بدوره ونفث سحابة من الدخان الأزرق فى وجهه قائلاً :

ـ مسا الخيييير ..

قبل أن يتبع :

ـ وإحنا مهمتنا نبسط الشباب ..

ـ والـ « دى » التانية يعنى فيلم « دنص » ..

ونقل يده باتجاه الراقصة (زينا حركات) ، التى هزت كتفيها بدلال قائلة :

ـ إوعى ..

قبل أن يتبع بلهجة موحية :

ـ ومهمتنا نفرفش الجمهور ..

ـ والـ « دى » التالتة بقى يعنى فيلم « دمار » ..

ثم أشار نحو الممثل (محمد شعبان) ، الذى رفع سنجتين كان يمسك بهما فى يده ، وحركهما فى الهواء بمهارة ، قبل أن يتبع :

ـ ومهمتنا نعيش الشباب فى جو الأكشن والسسبنس ..

قالها قبل أن يتبع ، وهو يشير بيده (ماهيتاب هات م الآخر) :

ـ أما الـ « دى » الرابعة فدى معناها « دعا ... »

هنالك أشار المخرج نحوه صارخًا :

ـ كفاية فى عرضك ليكون حد من الرقابة معدى يخرب بيتنا ..

* * *

تحسست (كارولينا) مسدسها ، ثم تطلعت للمكان حولها فى توجس ، قبل أن تسأل (جيهان) ، التى كانت تشاركها حيرتها بشك :

ـ هل أنتِ متأكدة من أن هذا هو المكان الذى تسكن فيه هذه الـ (سونيا جراهام) ، التى قال الغريبان إن (أدهم) الوغد قد تزوجها علينا ؟!

أدارت (جيهان) عينيها فى جنبات المكان بحيرة .. كانت حارة شعبية تقليدية ، اصطفت فيها المنازل الضيقة جنبا إلى جنب ، حتى أنها وجدت صعوبة شديدة فى تمييز الأبواب عن بعضها البعض ، ثم أتبعت بتوتر :

ـ هذه هى المعلومات التى حصلت عليها من رجلنا الذى كلفناه بالتحرى السريع عنها ، لقد أقسم أنه لم يجد من تُدعى (سونيا جراهام) غير هذه التى تقطن فى هذا المكان .

قالتها ، وتحسست مسدسها بدورها ، ثم قالت بتحفز :

ـ ثم لما القلق ؟ ، إننا لن نخسر شيئًا فى كل الأحوال ..

قالتها واندفعت من المدخل الضيق للبناية ، وخلفها اندفعت (كارولينا) .. وما هى إلا دقائق حتى كانتا تقفان أمام باب صغير لشقة ضيقة ، وفى لحظة واحدة كانت (جيهان) قد أخرجت مسدسها الصغير من حقيبتها ،

www.looloolibrary.com

وأسندت ظهرها للجدار الملاصق للباب فى وضع متأهب ، بينما ضغطت (كارولينا) الجرس بكل قوتها ، وما أن أتاهما الصوت من الداخل ، حتى رفعت مسدسها ليكون فى وجه من سيفتح الباب ..

وفى اللحظة التالية ، انفتح الباب دون مقدمات .. ثم ظهرت على عتبته فتاة شديدة الغرابة ، تختفى عيناها خلف منظار طبى شديد السُمك .. وتعقص شعرها المجعد بأسلوب غريب فى مؤخرة رأسها .. وأمام أعينهما الذاهلة ، لم تفطن الفتاة لوجودهما من الأساس .. واتجهت مباشرة نحو حافة السلم وتطلعت بصعوبة لأسفل ، وهى تثبت منظارها على عينيها للحصول على أدق رؤية ممكنة ، قبل أن تقول بتبرم ، حينما أتاها صوت رجولى خشن من الداخل :

ــ مين اللى بيرن الجرس يا (سونيا) ؟

أجابته بحنق :

ــ مفيش حد يا بابا ..

قالتها ، قبل أن تستدرك بغيظ خافت :

ــ ناس معندهاش دم اللى مش هتبطل معاكسات ..

قالتها واتجهت مباشرة نحو الباب ، وصفقته خلفها فى وجهيهما .. بمنتهى العنف ..

* * *

ارتفع الدم إلى رأس (كارولينا) دفعة واحدة ، وكاد وجهها ينفجر من شدة الاحتقان ، وهى تتطلع للباب الذى أوصدته (سونيا) فى وجهيهما .. ثم تطلعت نحو (جيهان) التى لم تختلف حالتها كثيرًا عنها ، وهى تضغط أسنانها بعنف .. ثم استدارت نحو الباب ، واندفعت بقدمها نحوه دون مقدمات ، وفى اللحظة التالية أطلقت (سونيا) صرخة فزع :

ــ الحقنى يا بابا .. الحنامية هجموا عنينا!!! ..

وما أن اندفع والدها من الداخل ، وهو يحمل فى يده عصاة المكنسة الخشبية ، كانت (كارولينا) قد أمسكت (سونيا) من شعرها المجعد ، وهى توجّه مسدسها نحو رأسها مباشرة ، حتى أنه صرخ دون مقدمات :

ــ حرام عليكم .. خدوا اللى أنتو عاوزينه بس سيبوا لى بنتى (سونيا) ، دا انا ما طلعتش من الدنيا غير بيها ..

ثم أشار نحو التلفاز صارخًا :

ــ خدوا التليفزيون .. خدوا المروحة .. شلاً حتى تاخدوا البلاى ستيشن اللى شارينه بالقسط .. بس سيبوا لى بنتى .. سيبوا لى بنتى ..

تجاهلت كل منهما عباراته ، بينما صوبت (جيهان) مسدسها نحو رأس (سونيا) بدورها وهى تسألها بصرامة :

ــ من أين لكِ بمعرفة (أدهم صبرى) ؟، وكيف عرفك هو .. جاوبى مباشرة دون مماطلة ..

عدلت (سونيا) منظارها السميك فوق عينيها ، وهى تجيب برعب :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ (أدهم صبنى) مين ؟! ، أنا معنفش حد بالاسم ده ..

تقلصت معالم وجه (كارولينا) ، وهى تنظر نحو (جيهان) قبل أن تتساءل بالايطالية :

ـ لماذا تتكلم على هذا النحو ..

هزت (جيهان) كتفيها ، دون أن تنطق بحرف واحد ، فى نفس اللحظة التى أتاهما صوت (سونيا) الغاضب ، وهى تنتزع شعرها من يد (كارولينا) التى تركته مباشرة تحت تأثير الذهول ..

ـ عيب يا أفندم تقونى كدا ، أنا قدوة ..

هنالك تدخل والدها فى الحديث :

ـ بنتى (سونيا) هى الأولى على الجمهورية فى الثانوية العامة ، بكالريوس اقتصاد وعلوم سياسية بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف ، والأولى على الدفعة ، لكن ما اتعينتش لأسباب متعلقة بالوساطة والفساد اللى ماليين البلد ..

أما (سونيا) فقد رفعت سبابتها لأعلى ، وقالت فى شمم :

ـ لكنى نافعة قضية على إدانة الجامعة ، وإن شاء الله هكسبها .

ثم استدركت بنفس اللهجة :

ـ دا غير إنى ناشطة حقوقية وإنسانية ، ومهتمة بقضايا الطفولة المشندة ، وموضوع نسانة الماجستين اللى هناقشها بعد شهن عن الحقوق الذاتية للمنأة المعاصنة .

أدارت (جيهان) عينيها نحو (كارولينا) ، وتمتمت بذهول :

ـ المرأة المعاصرة !

أما هى فقد تابعت كأنما لم تنتبه لها :

ـ دا غير إنى يسانية متعصبة ، شانكت أنا وخطيبى (نمعى محمد محمود عبد الحليم منتضى) فى عشنات المظاهنات والوقفات الطنابية والنعتصامات .

ـ خطيبك ؟

ـ طبعًا ، واتعنضت أنا وهو نناعتقان ؛ أنا أنبع شهون وهو سبع شهون ونص .

هنالك التقط منها والدها طرف الحديث واستدرك بذات الحماسة :

ـ لكن وإيه يعنى ! ، أصحاب المبادئ مهانون ، والبلد أهم أولاً وأخيرًا ، مش ده اللى أنا علمتهولك يا (سونيا) يا بنتى ؟

أجابته مباشرة :

ـ طبعًا يا بابا ..

اتسعت عيناهما معًا ، بينما تمتمت (كارولينا) :

ـ مخطوبة !!

ـ أيوة سيادتك ، مخطوبين من سنتين وسبع شهون وتمانية وعشنين يوم ، ومقدمين طنب فى إسكان الشباب ، وعندنا أمَن ..

هنالك رفع والدها رأسه لأعلى ، قبل أن يستدرك بتأكيد :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ الأمل أهم شيء يا بنتى ..

ثم نظر نحوهما ، وقال بفخر :

ـ مش بقول لكم .. تاريخ مشرف ؟

أما هى فقد دفعتها لهجته لمزيد من الفخر ، وهى تتجه نحو أحد الأدراج ، وتخرج منها صورة خطيبها ، رفعتها أمامهما ، وقالت بمزيد من الخيلاء :

ـ وده خطيبى ..

حملقت (كارولينا) و(جيهان) فى أنفه الضخم ومنظاره السميك وشعره المجعد بينما أتبعت هى بنفس الهيام :

ـ اسمه (نمعى) ..

أكملت (جيهان) :

ـ (لمعى محمد محمود عبد الحليم مرتضى) .. عرفنا ..

استكملت دون أن تعيرها انتباها :

ـ الأول على دفعته كل السنين ، امتياز مع منتبة الشنف ، ما اتعينش فى الكنية بنضه ننفس السبب ..

أكملت (كارولينا) بحنق :

ـ وأكيد نافع .. أأ.. أقصد رافع قضية على إدارة الجامعة ، وإن شاء الله سيكسبها هو الآخر .

حملقت فيها (سونيا) ، وتساءلت بذهول :

ـ عنفت إزاى ؟!

لوحت (كارولينا) بيدها وقالت وهى ترسم ابتسامة متبرمة على معالم وجهها :

ـ وهل تخفى مثل هذه الأمور؟

ـ احتضنت (سونيا) الصورة بوله شديد ، وقالت :

ـ لكن شغان مؤقتا فى مصنحة انمجانى ، نحد ميكسب انقضية ..

أتبعت (جيهان) بنفاد صبر :

ـ ومؤكد أنه ناشط حقوقى وإنسانى أيضًا ، ومهتم بقضايا الطفولة المشردة ..

استدركت (سونيا) على الفور :

ـ لا ، بقضايا انبيئة ..

عضت (كارولينا) على أسنانها ، وتساءلت بحنق شديد :

ـ وما موضوع رسالة الماجستير الخاصة به ؟

ـ تأثين اناكتناب أحادى القطب ندى ذبابة مايو على التوازن انبيئى ..

حدجت (جيهان) (كارولينا) بطرف عينيها ، ثم أتبعت :

ـ لا لا ، هذا حقًا بديع جدًا ..

أشعلت عبارتها مؤشر الفخر والخيلاء فى أعماق (سونيا) عن آخرهما ، حتى أنها أتبعت :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ دا غيـن إنه بيتكنم إنجليـزى مش بطـال ، وبينطن بالفننـساوى ، وبيعنف شوية عبنى وإيطانى .. مش بقونكم مميز ..

ضغطت (كارولينا) أعصابها بقوة ، حتى لا تنفجر ، ثم قالـت وهـى تضرب إحدى قبضتيها فى الأخرى :

ـ (لمعى) هذا فلتة ، لم يحدث من قبل ..

التقطت (سونيا) أنفاسها بهيام ، ثم قالت بلهجة حالمة :

ـ أنا مسمياه (نجُن المستحين) ..

أما (كارولينا) و(جيهان) فقد رددتا فى ذات اللحظة :

ـ رجل الإيه !!!!..

اعتدلت دفعة واحدة ، كأنما لم تفهم مقصديهما ، ثم حملقت فى وجهيهما بلوم من خلف منظارها السميك ، قبل أن تقول بخيلاء :

ـ مش تقونونى (أدهم صبنى) بتاعكم !..

قالتها ثم تطلعت مرة أخرى فى صورة (لمعى) ، وأتبعت ..

ـ وده بيجى إيه جنب (نمعى) خطيبى ..

ثم أطلقت تنهيدة ، وقالت بهيام :

ـ نجُن المستحين ..

* * *

ضغط (ممدوح عبد الوهاب) كابح الدراجة التى كان يركبها فى قـوة ، وهو يتوقف فى الشارع المواجه لمنزل (أدهم صبرى) مباشرة .. قبل أن يطلق سبابا ساخطا ، وهو يطالع بدال الدراجة الـذى سـقطت السلـسلة الخاصة به من مكانها .. وتذكر صاحب محل استنجار الدراجات الـشرش التى استأجرها منه ، وتمتم بفزع :

ـ اللعنة !.. سيقتلنى صاحبها لا محالة ..

قالها ، ثم ركن الدراجة نفسها إلى جدار مجاور ، وأخرج جريدة تقليدية من طيات ثيابه ، فردها أمام عينيه بمهارة ، ثم راح يتطلع من خلال الثقب الذى كان قد أعده مسبقا فى منتصفها تمامًا ، نحو منزل (أدهم صبرى) ، وهو يتمتم فى سعادة :

ـ مرحى .. إن هذا يذكرنى بالأيام الخوالى ..

قالها وراح يتابع منزل (أدهم صبرى) ، الـذى كـان رجـال الأمـن ينتشرون حوله كالنمل .. ثم استرجع عقله فى لحظة واحدة المهمة التـى استعان به الدكتور (ناظم)(*). لأجلها ، والويلات التى عاناها لسرقة مركبة زمنية من سلسلة (نوفا) ، ليصل بها إلى هنا فى النهاية كما نصحه هـو بنفسه .. ثم سمع نداء الشرطة لـ (أدهم صبرى) عبر مكبرات الصوت ، وشاهده وهو يقفز من الشرفة ، وتابع ببصره (نور) و(أكـرم) وهمـا يقفزان خلفه .. والواقع أنه لم يفهم شيئًا مما يحدث أمامه ، لكنه كان يعلم جيدًا أن أية محاولة للتدخل منـه الآن لن تزيد الأمر إلا تعقيدًا .. لذلك فقد

(*) الله يرحمه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

استقر فى مكانه ، وظل على هذا الوضع حتى تأكد من رحيل آخر شرطى من المكان .. وفى حذر شديد تقدم من البناية .. كان يعلم أن هذه فرصته الوحيدة قبل أن يعاود رجال الشرطة إلى المكان للتسلل لمنزل (أدهم صبرى) ، والتأكد من حقيقة الوضع ، أو فهم ما يحدث .. وما هى إلا ثوانٍ معدودة حتى كان يصعد سلم البناية ، ثم توقف لحظة أمام باب الشقة المغلق ، وتردد للحظة فى أن يضغط الجرس .. كان قد أراد أن يتسلل للشقة خلسة دون أن يراه أحد ، ومن المؤكد أنه لا أحد بالداخل بعد كل هذه الأحداث .. لذلك فقد استغرق لحظة فى التفكير ، ثم اندفع دون مقدمات يقفز درجات السلم المؤدية لسطح البناية .. وهناك بحث فى المكان حتى وجد حبلا مهملا ، وما هى إلا ثوانٍ حتى كان يثبت أحد طرفيه فى نتوء آمن بالسطح ، وراح يتدلى فوقه لأسفل .. كانت كل النوافذ المطلة على منور البناءة موصدة ، وما من مخلوق واحد يطل منها .. وقد كان هذا فى صالحه .. لذلك فقد راح يهبط سريعًا ، حتى أصبح أمام نافذة شقة (أدهم صبرى) الموصدة والمطلة على المنور مباشرة .. وبخبرته فى هذه المجال راح يعالج المزلاج الذى لم يصمد كثيرًا قبل أن يعلن استسلامه .. وفى اللحظة التالية كان يتأرجح فى طرف الحبل ، قبل أن يقفز بقدميه دفعة واحدة إلى داخل الحجرة ، التى حمى جسده بيديه وهو يسقط على أرضيتها الصلبة ..

وما أن استعاد توازنه ، وراح ينفض الغبار عن ثيابه من جراء القفزة ، حتى طالع أربعة أزواج من العيون الصغيرة تحملق فيه بنظرات مخيفة

تنذر بالوعيد .. وقبل حتى أن يستوعب الموقف قفز نحوه أصحابها الصغار دون تردد ..

وفى اللحظة التالية شقت صرخات رهيبة هدوء المكان ..

صرخات توشى بالويل ..

وتؤكد أن صاحبها يتعرض لأقصى أنواع التعذيب ..

أو الضرب ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

-5-

ضربت (منى) قدمها فى الأرض فى عنف ، وحاولت التملص من القيود التى كبلتها فى المقد الخشبى الذى تجلس فوقه دون جدوى ، قبل أن تهتف فى حنق :

ــ اللعنة !

حتى أن (قدرى) الذى استكان كجبل صغير من الشحوم فوق مقعد مواجه لها ، بعد أن تم تقييده فيه بدوره ، قال لها بيأس :

ــ لا تحاولى يا (منى) ؛ القيود أقوى من المعتاد هذه المرة ..

تجاهلت عبارته .. وجذب يديها المكبلة خلف ظهرها مرة أخرى دون جدوى ، قبل أن تقول فى حنق غاضب :

ــ ألا يعلمون من أنا ؟.. ألم يخبرهم أحد من قبل من تكون (منى توفيق) ؟

تنحنح (قدرى) وأتبع بآلية :

ــ الشهيرة بـ (منى فاندام) ..

ضغطت أسنانها بغل أشد ، وأطلقت صرخة حانقة فى وجهه ، وتمنت لو أن قبضتيها حرتا الحركة لتلكمه فى وجهه ، قبل أن تتبع بتحدٍ :

ــ لست (فاندام) ..

هز كتفيه ، وأتبع بلا مبالاة :

ــ لست من أطلق الاسم على أية حال ..

احتقن وجهها بشدة هذه المرة ، وقالت بانفعال :

ــ أنت أكثر من يعلم أنى كنت ولا زلت فتاة من نوع خاص ..

ثم مالت نحوه ، كأنما لتنفض ما لديها فى وجهه ، قبل أن تقول بلهجة خاصة :

ــ ويكفى أنى حب (أدهم صبرى) الأول والأخير ..

أتبع ببرود رهيب :

ــ رغم زيجاته المتعددة التى تم كشفها مؤخرًا ، لكنك حبه الثالث ..

تداخلت معالم وجهها ببعضها ، حتى شعر بصعوبة فى تمييز أنفها عن أذنيها ، وهى تتبع باستنكار رهيب :

ــ نعاااااااااام !!.. حبه الثالث !!!!!..

أجاب على الفور :

ــ نعم ، بعد (سوكا) و(فدوى) ..

تظاهر بأنه يحملق فى سقف الغرفة ، وأطلق صفيرًا ، كأنما نسى ما قاله للتو .. ثم انتفض فى مكانه حينما أمسكت بتلابيبه ، وهى تصرخ بغضب العالم :

ــ ألم تخبرنى أنى الحب الأو ... اقصد الحب الثانى فى حياة (أدهم صبرى) بعد (فدوى) ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

أشاح بوجهه للناحية الأخرى ، وازدرد لعابه ، كأنما أقدم على حماقة ، وهو يحاول جاهدًا ألا يتطلع فى عينيها التى اتقدتا كجمرتين وهو يتمتم :

ــ لقد أخبرتك حينها أنك ثانية فتاة تعمل مع (أدهم صبرى) ، ولم أقل أنك الحب الثانى فى حياته(*)..

أما هى فقد تخشبت ملامحها تمامًا ، و تمتمت فى ذهول :

ــ ماذا يعنى ذلك ؟

قالتها ، ثم صرخت فى هستيريا ، وهى ترج جسده بيديها ، حتى أن كتل الشحوم راحت تهتز بأسلوب عجيب فى كل اتجاه من جسده الضخم ، قبل أن تسأل بغضب عاصف :

ــ ومن تكون (سوكا) هذه ؟!!!

أجاب بخوف حقيقى ، وهو يشير بيديه فيما حوله :

ــ إنها قصة طويلة ، ولا أرى المكان ولا الزمان صالحيْن لقصها على مسامعك :

زمجرت بجنون حاسم ، وكاد الشرر يتطاير من عينيها :

ــ بل ستقصها الآن .. وفورًا ..

ازدرد لعابه فى صعوبة ، وتمتم متوسلاً :

ــ (منى) ، الظروف الآن لا ...

(*) راجع سلسلة الأعداد الخاصة ، العدد (1) ــ المعركة الكبرى ــ صفحة (9) .

قاطعته بحسم :

ــ الآن ..

أما هو فقد غالب دموعه هذه المرة ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، كأنما يحسم أمره ، وبدأ فى قص ما لديه ..

مباشرة ..

* * *

رفع الطبيب رأسه ، ثم مسح العرق الذى تفصد عن جبينه بطرف كمه ، قبل أن ينفث أنفاسه دفعة واحدة ، ويهز رأسه فى دهشة كأنما ليتأكد أنه لا يحلم ، مما جعل (صبرى) يزدرد لعابه فى صمت ، ثم يتبع بتوجس :

ــ خير يا دكتور !..

أعاد الطبيب بصره نحو بطن زوجة (صبرى) ــ المتكور عن آخره ، والتى لم تتوقف عن الصراخ ثانية واحدة ــ مرة أخرى ، ثم حدجها بنظرة خاوية ، عدل بعدها منظاره الطبى ، قبل أن يجيب :

ــ مش عارف ..

انتفض (صبرى) من مكانه ، وقبض بأصابع كالكلابات على ياقتى البالطو الخاص به ، وهو يقول بصرامة :

ــ يعنى إيه مش عارف ؟!..

ازدرد الطبيب لعابه بصعوبة شديدة ، قبل أن يجيب بنعومة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ صدقنى مش عارف .. دى أول مرة أشوف جنين بيعمل كده ..

ولما لم تأته إجابة من (صبرى) ، الذى راح يحملق فيه هذه المرة ، فقد ارتعدت عضلات وجهه لحظة فى خوف ، قبل أن يستطرد بصعوبة أشد :

ـ الجنين بيتحرك حركة مش طبيعية .. أطرافه الأربعة بتتحرك بسرعة غريبة ، بتتحرك كلها فى نفس الوقت ، وده مستحيل !.. علماء وظائف الأعضاء بيقولوا إن ..

ارتسمت الدهشة بأقصى درجاتها فى ملامح (صبرى) الذى تراجع خطوة للخلف من فرط المفاجأة ثم قال بحذر :

ـ يعنى إيه !!..

جفف الطبيب العرق الغزير الذى انهال على وجهه ، قبل أن يتبع باللهجة ذاتها :

ـ أمال لو قلت لك عن الشقلبظات والدورات الأمامية والخلفية ! ، ده لا يمه ...

قاطعه (صبرى) بصرخة حادة ، وقد أطلت من عينيه صرامة الدنيا :

ـ بس .. قلت لك بس .. ما تكملش ..

ارتد الطبيب للخلف ، ورفع يديه أمام وجهه كأنما توقع أن ينهال عليه بسيل من اللكمات ، لكن (صبرى) استدرك بصرامة أشد :

ـ معناه إيه ده ؟ اتكلم ..

ـ سحب الطبيب نفسًا عميقًا هذه المرة ، ثم قال بحسم :

ـ معناه إن ده خطر على كل الأعضاء الداخلية للأم .. الجنين ما بطلش ضرب فى المعدة والكبد ، دا غير الكليتين اللى حالهم ما بقاش يسر ...

تجمدت ملامح (صبرى) لوهلة ، ثم تبدلت ملامحه دفعة واحدة وهو يمسك بيد زوجته ، التى لم تتوقف عن الصراخ لحظة واحدة ، ثم سأله :

ـ والحل يا دكتور .. والحل ؟ ..

ـ مفيش حل غير إننا ننزله بأسرع ما يمكن ..

حملق (صبرى) فى وجهه مرة أخرى :

ـ لكن دا لسه باقيله شهرين !..

مط الدكتور شفتيه ، وهز الدكتور رأسه بقلة حيلة :

ـ لو ما عملناش كده بأسرع ما يمكن ، ممكن يكون فيه خطر على حياة الأم ...

ـ والجنين !!.. ممكن ى ...

ولم يستكمل عبارته ، حينما أتبع الطبيب بعصبية ، وقد اكتسب جرأة مفاجئة :

ـ إيه يا أستاذ ؟.. أنت ما بتسمعش أفلام عربى ؟ .. مهو لو ما ضحيناش بالجنين الأم هتعيش إزاى ؟

هنالك ارتد (صبرى) إلى الخلف من قوة المفاجأة .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

ضربت (منى) صدرها براحة يديها وصرخت فى جزع :

ــ يا لهوى !!.. موّتوا الواد ؟

نقر (قدرى) حافة المقعد الذى يجلس فوقه بطرف سبابته ، وحملق فى سقف الحجرة بعصبية ، ثم أعاد النظر نحوها مرة أخرى ، وهو يضغط أسنانه بقوة :

ــ آه مات .. واللى عمل القصص دى كلها شبحه .. ارتحت !..

اصطبغ وجهها بحمرة الخجل ، وقالت وهى تزدرد لعابها بحرج :

ــ آه صحيح ، فاتت علىّ إزاى دى .. بس أنت اللى قلت إنه ....

ثم بترت عبارتها ، وقد عاودتها اللهفة :

ــ طيب عاش إزاى وهو ...

حدجها (قدرى) بنظرة نارية أخرى ، وهو يضم قبضتيه كأنما سيلكمها ، ثم قال بنفاد صبر حقيقى هذه المرة :

ــ عمرك ما سمعت عن حاجة اسمها الحضانات ؟!

تمتمت بعبارة غير مفهومة ، وهى تلقى بنظرها للأرض فى خجل .. أما (قدرى) فقد تجاهلها تمامًا هذه المرة ، وراح يستكمل حكايته ..

* * *

يقسم طاقم التمريض فى قسم الحضانات أن الليلة كانت أغرب الليالى التى قضينها جميعًا فى المكان ؛ فقد اندفع جميع الأطفال حديثى الولادة فى المكان ــ ودون استثناء ــ فى بكاء هستيرى لم تفهم إحداهن له سرًّا أبدا ، رغم أن كل شىء بدا لهن على ما يرام تمامًا ؛ بدءا من نظام التغذية وحتى نظام التنفس .. لكن الأمر بدا كما لو أن الأطفال يخضعون لخوف مجهول الأسباب ، يدفعهم جميعًا للصراخ فى اللحظة ذاتها !..

حتى ظهر الوافد الجديد ..

مولود ذكر حديث الولادة ، جاء به والده بصحبة طبيب القسم ، ليتم إيداعه فى حضان ، بدا للمصادفة فى مكان مميز يحتل وسط المكان تمامًا .. والعجيب أن الصراخ لم يتوقف لحظة واحدة طوال الوقت ، حتى رحل الطبيب ــ الذى لم يعر الأمر اهتمامًا يذكر ــ ومعه والد الطفل من المكان ..

والغريب أن الصراخ الهستيرى قد استمر فى المكان للحظة بدت كأنما بلا نهاية ، حتى ارتفعت تلك الصرخة ..

صرخة واحدة قوية أطلقها الطفل الجديد علت جميع الصرخات ..

هنالك ارتدت ممرضات القسم جميعًا من أماكنهن ، وانكمشت إحداهن فى خوف ، فقد بدت لها الصرخة الهادرة شديدة الصرامة ..

والحسم ..

ثم اتسعت عيناها مرة أخرى فى فزع ، وكادت تقسم أن جميع الأطفال فى كل الحضانات قد انكمشوا فى أماكنهم ، قبل أن ينصاعوا جميعًا للأمر ، ثم يلوذوا جميعًا بالصمت ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أما الطفل نفسه فقد رفع رأسه قليلاً ــ رغم أن هذا مستحيل فى تلك المرحلة العمرية(*) ــ كأنما يحدجهم جميعًا بنظرة ذات مغزى ..

ثم وضع رأسه على أرضية الحضان ..

وراح فى سبات عميق ..

* * *

أغمضت (منى) عينيها بنعومة قبل أن تتبع برومانسية حالمة :

ــ طول عمره حمش ..

تابعها (قدرى) دون كلمة واحدة ، حينما مالت برأسها على كتفها بدلال ، قبل أن تستطرد فى هيام أكثر ..

ــ من وهو فى اللفة ..

تجاهلها (قدرى) تمامًا هذه المرة ، قبل أن يتغمز بطرف شفتيه فى قلة حيلة .. ثم راح يستكمل ..

* * *

فى الأيام التالية ، كانت الأمور فى قسم الحضانات تبدو كأنما تنصاع لرأى (أدهم) وحده ..

(*) حقيقة علمية .

لا رضاعة إلا بأمره ..

لا بكاء إلا بأمره ..

لا (...!) إلا بأمره ..

كل الأمور تسير تبعا لأوامره الخاصة ، حينما تأتيهم صرخته الآمرة ، فيفهم كل منهم ما عليه فعله ..

أما ممرضات القسم فقد تكتمن الأمر تمامًا ، خوفًا من أن يتهمهن أحد بالجنون !..

وكن محقات ..

ومع الوقت راح جميع الأطفال ينفذون أوامره بحذافيرها ، وبدقة مدهشة ، دون أن يجرؤ أحدهم حتى على التطلع فى عينيه ، كانوا جميعًا قد استداروا بتوافق مدهش إلى الناحية الأخرى فى عكس اتجاهه ..

ماعدا طفلة وحيدة ..

(سوكا) ..

لقد ظل الاسم المكتوب على جانب حضانتها الخاصة عالقًا بذاكرته ، قبل حتى أن يفهم معناه ، ثم فسره بعدها بفترة طويلة ، حينما تعلم القراءة والكتابة بإتقان شديد وهو فى العامين من عمره ..

كانت تنظر نحوه طوال الوقت باهتمام وتركيز غير عاديين ، حتى أن إحدى الممرضات قد مالت على زميلتها فى اليوم التالى مباشرة هامسة باستغراب :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ شايفة الواد والبنت اللى فى الحضانتين دول ؟..

أجابتها زميلتها دون فهم :

ــ مالهم !..

ازدردت الأولى لعابها ، كأنما ستخبرها ما لا يمكن تصديقه :

ــ مش عارفة !.. بس نظراتهم لبعض مش مطمنانى ..

ــ مش مطمناك إزاى ؟!..

أجابتها الأولى دون تردد :

ــ زى مبقولك كدا .. العيال بيبصوا لبعض بهيام كدا ، تقوليش بيحبوا بعض !..

تطلعت لها الثانية للحظة ، قبل أن تسألها باستنكار :

ــ أنت يا بت شاربة حاجة !..

تجاهلتها وهى تعاود النظر نحو الحضانتين مرة أخرى :

ــ أقطع دراعى من هنا لو ماكان بينهم حاجة ..

ــ حاجة !!..

ــ شوفى بيبصوا لبعض إزاى !

ثم صرخت دفعة واحدة وهى تحملق فى حضانة (أدهم) ..

ــ خدتى بالك !... دا غمز لها بعينه .. والله العظيم غمز لها بعينه .. مش تهيؤات ..

هنالك وضعت زميلتها يدها على جبينها ، وقالت ساخرة ..

ــ لاااا .. حالتك مبقتش تطمن أبدا ، درجة حرارتك مرتفعة ومحتاجة دكتور يشوفك ..

قالتها وأطلقت ضحكة ساخرة طويلة ، وتركتها فى مكانها وذهبت ...

* * *

ــ نعم نعم !!..

انكمش (قدرى) فى مكانه مع اللهجة الشرسة التى أطلقت بها (منى) هذه العبارة ، ثم هز رأسه دون أن يتفوه بحرف واحد ، حينما قالت بشراسة أشد :

ــ يعنى إيه !.. الأستاذ كان بيحبها من ورايا ؟..

تنحنح (قدرى) بصعوبة ، ثم خرجت كلماته متحشرجة على الرغم منه :

ــ هو مش من وراك يعنى لأنه ماكانش لسه ، قصدى يعنى إن أنتِ اللى ما كنتيش لسه اتولدت ..

قاطعته بحدة :

ــ هتقول إيه يعنى ، مانت راجل زيّه ، كلكم خاينين ..

Looloo
www.looloolibrary.com

لم يقو (قدرى) على التفوه بحرف واحد مع علامات الغضب التى ارتسمت فى ملامحها , ووجهها الذى قارب على الاشتعال ، حتى أنه ازدرد لعابه بصعوبة حينما أتته صرختها الصارمة :

ـ سكت ليه !! كمل ...

سعل للحظة ، كأنما عجز عن تنظيم أنفاسه وهو يتابع قبضة يدها التى راحت تضرب بها فى راحة يدها الأخرى ، ثم راح يستكمل على الفور ..

* * *

كادت ممرضة القسم تفقد عقلها بالفعل وهى تتابع ما يحدث بقلة حيلة ، فقد فقدت الأمل تمامًا فى أن يصدقها أحدهم ، بدءا من ممرضات القسم حتى الأطباء أنفسهم !.. أما (أدهم) الرضيع فقد راح يحملق فى (سوكا) نزيلة الحضانة المجاورة بلا توقف ، والأغرب أنها كانت تبادله النظرات نفسها !!..

نظرات صامتة طويلة تتخللها ابتسامات وايماءات صامتة ، راحت الممرضة البائسة تتابعها بذهول ، إلى أن حدث الموقف الذى كاد يطيح بالبقية الباقية من عقلها ، كانت تمر بين الحضانات كالمعتاد ، حينما ارتفعت صرختها الذاهلة ، والتى جعلت عاملة التنظيف التى انهمكت فى أداء عملها تقفز من مكانها من الفزع ، قبل أن تصرخ فيها قائلة :

ـ شفتى يا (أم سيد) !!..

تفلت (أم سيد) بداخل ردائها لا إراديًا ، ثم بسملت سريعًا ، قبل أن تتبع :

ـ مالك يا بنتى كفى الله الشر !!..

أشارت الممرضة نحو (أدهم) الرضيع الذى استكان فى مكانه ببراءة عجيبة ، قبل أن تتبع :

ـ الواد اللى فى الحضانة ده كان بيبصبص للبنت اللى فى الحضانة دى ..

قالتها وهى تشير نحو (سوكا) التى استكانت ببراءة مماثلة ..

ازدردت العاملة لعابها ، وهى تنظر نحو الممرضة بارتياب :

ـ إيه صابك بس يا بنتى ! ، دا المستشفى كلها كانت بتحلف بعقلك ..

تجاهلت الممرضة عبارتها ، كأنما لم تسمعها من الأساس وهى تستدرك باللهجة ذاتها :

ـ ويا ريت على كده ، دا كان بيفتل لها شنبه ..

ارتدت العاملة هذه المرة للخلف وهى تتمتم بذهول خافت :

ـ شنبه !.. هى حصلت ..

اقتربت منها الممرضة ، وهى تتبع بتأكيد لاهث :

ـ أيوة شنبه .. وحياة ربنا شيفاه بعنيا دول وهو ..

ضمت العاملة يدها لصدرها بفزع دون أن تسمع بقية عبارتها ، قبل أن تهمس بشفاه مرتعدة :

ـ سلام قولاً من رب رحيم ..

Looloo
www.looloolibrary.com

قالتها وهرعت من الباب كأنما تطاردها الشياطين ..

أما (أدهم) الرضيع فقد حرك رأسه الصغير ، وتطلع نحو الممرضة التى تجمدت فى مكانها ، قبل أن يحدجها بنظرة طويلة باردة ، تجمد لها الدم فى عروقها ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة كبيرة ..

ساخرة !..

* * *

كان الحنق قد بلغ بـ (أدهم) الرضيع مبلغه ، وهو يتابع جدار الحضان الشفاف الذى يشعر بأنه سجين داخله ، ولا شك أن ذلك كان السبب الأول الذى رسخ فى ذاكرته البكر ، وجعل منه يكره كل القيود ، ويرفض الأوامر بكل صورها ..

رغم ذلك لم يهوّن عليه الأمر سوى (سُوكا) الرضيعة ، التى راح يتابعها من خلف جدران حضانتها المواجة بشغف ..

كانت شديدة الفتنة ..

ببشرتها المجعدة شديدة الزرقة ، والتى بدا أنها تعانى نقصا حادا فى الأكسجين يزداد فى كل يوم ..

ووجهها الرقيق مجهول الملامح ..

ورأسها الجميل الأقرع ، الذى تناثرت فيه شعيرات قليلة كالزغب ..

كل ما فيها كان ينطق بالفتنة ويخلب لبه ..

بدءا من قبضتها المضمومة ..

وانتهاء بساقيها الدقيقتين كأعواد الكبريت ، والذى كان قلبه يخفق لهما كلما حركتهما حركة متشنجة نادرة ..

* * *

ـ قُصره .. هات م الآخر ..

نطقتها (منى) بلهجة عصبية غاضبة ، فاحت منها رائحة الغيرة ، التى ميزها (قدرى) وهى تتلفت حولها بعصبية شعر معها كأنما تبحث عما تقذفه به فى وجهه ، فاسترسل فى حديثه مباشرة كأنما لم ينتبه لعبارتها ..

* * *

إلى أن كانت تلك الليلة ..

استفاق (أدهم) الرضيع من نومه على صوت بكاء واهن يأتى من ناحية الحضانة الخاصة بـ (سوكا) ، وما أن فتح عينيه وتطلع ناحيتها مباشرة ، حتى كاد قلبه يسقط إلى (الكافولة) ، وقد فهم الأمر على الفور ..

كانت (سوكا) تتطلع نحوه بوهن شديد ، وقد اصطبغ وجهها وجسدها بأكمله بلون أصفر شديد الشحوب ، بدلاً عن الزرقة التى كانت تكسو كل جسدها ..

ثم حدث الأمر الغريب ، والذى تابعه كل الأطفال الرضع فى باقى الحضانات ..

Looloo
www.looloolibrary.com

مدت يدها بوهن شديد نحوه ، كأنما تستنجد به !...

أما هو ، فقد تفجرت بداخله طاقة عجيبة لا تناسب أيام عمره القلائل ، طاقة لم يعرف لها سببًا ..

ولا منطق ..

طاقة لم يعرف حتى من أين اكتسبها ..

كل ما حدث أن مد يده بالرغم من الأنابيب الدقيقة المتصلة بها ناحيتها ..

وتجمد المشهد ..

توقفت كل الأصوات ..

وتابعهم جميع الرُضع فى بقية الحضانات بأنفاس تكاد تتوقف ..

تابعوا الحديث الغريب الذى دار بلغة خاصة لا يفهمها إلا الأطفال حديثى الولادة ..

ــ (أدهم) ..

ــ (سوكا) ..

تابعت بوهن أشد :

ــ أنا تعبانة قوى يا (أدهم) .. كل حتة فى جسمى بتتن .. مع إنى معرفش بتتن يعنى إيه ..

حاول أن يمد يده أكثر ليصل إليها ، قبل أن يقول بجذع وحنان شديدين ارتجفت له قلوب بقية الأطفال فى الحضانات الأخرى :

ــ استريحى يا حبيبتى .. استريحى .. ستنجين بإذن الله .. مع إنى أنا كمان مش عارف ستنجين يعنى إيه ..

مدت يدها نحوه كأنما أرادت أن تبلغ أصابعه بقوة أكبر ، وقالت بوهن :

ــ أخيرًا يا (أدهم) .. أخيرًا نطقتها .. يا إلهى .. ما أجمل الكلمة ، وهى تخرج من بين شفتيك !! كلمة حبيبتى ..

قال بصوت حالم انفطر له قلب بقية الأطفال :

ــ سأظل أقولها حتى تسأميها يا حبيبتى ..

قتنهدت فى ألم ، وقالت مبتسمة فى وهن :

ــ لست أظننى سأجد ما يكفى من العمر لسماع المزيد منها يا (أدهم) ..

ثم ألقت نظرة نحو (الكافولة) الخاصة بها قبل أن تتبع بوهن أشد :

ــ الإسهال المرة دى شديد قوى يا (أدهم) ..

هنالك نظر جميع الأطفال فى الحضانات الأخرى كلّ إلى (كافولته) الخاصة ، كأنما أرعبهم الموقف .. أما (أدهم) فقد هم بقول شىء ما ، ولكنها هزت رأسها بضعف ، لمنعه من قوله ، وهى تستطرد :

ــ ولكننى لست نادمة يا (أدهم) .. صدقنى تكفينى السويعات القليلة ، التى قضيتها معك .. وما تقولش مش فاهم سويعات يعنى إيه عشان أنا كمان مش فهماها .. وتكفينى الكلمة ، التى سمعتها الآن من بين شفتيك .. صدقنى يا (أدهم) لقد عشت معك أسطورة حية .. أسطورة عمرى كله ..

www.looloolibrary.com

وأغرورقت(*). عيناها بالدموع ، وهى تضيف متهالكة :

ــ إننى أحبك يا (أدهم) .

أجابها فى مرارة ، وهو يرى جلد رأسها الأصلع ، حيث كان يجب أن يتحسس شعرها فى تلك اللحظة كما يقتضيه الموقف :

ــ أنا أيضًا أحبك يا (سوكا) ، وستشفين بإذن الله ، و ...

لم يتم عبارته ، عندما تهالكت فى راحة ، وفقدت عيناها بريق الحياة ، على الرغم من الابتسامة الواهنة ، التى تظلل شفتيها ، فصرخ فى مرارة :

ــ (سوكا) (سوكاااااااا)

وردد المكان كله صدى صرخته ..

ولكن ما من مجيب .

(*) وماحدش يقول مش فاهم (اغرورقت) يعنى إيه ..

- 6 -

انتفض (قدرى) فى عنف ، وتراجعت (منى) للخلف ، حينما انفتح باب حجرة الاعتراف المقيدين فيها دون مقدمات ، ثم دخل فريق التعذيب الصغير المكون من (فتكات الدموية) ، و(حسنية عاهات) ، و(كوارث عزمى) ، و(لعنة ربنا جمالات) إلى الحجرة .. وبملامح جامدة تمامًا وخالية من أية انفعالات وضعت آخرهما الكيس الكبير الذى تحمله على كتفها أرضا ، حتى أن محتوياته أطلقت صليلا معدنيا جعلت (قدرى) يميل نحو (منى) بفزع ، ويتمتم بصوت مرتعد :

ــ همًا ناويين لنا على إيه يا (منى) ؟

لم تجاوبه (منى) هذه المرة ، إذ بلغ رعبها مبلغه وهى تتابع (فتكات الدموية) التى عبثت بيدها قليلاً داخل الكيس ، ثم تناولت منه حبلاً حملقت فيه قليلاً .. ثم ألقت نظرة سريعة متفحصة نحو (قدرى) ، الذى ازدرد لعابه بصعوبة .. ثم غاصت بيدها مرة أخرى داخل الكيس ، قبل أن تخرج بحبل أغلظ كثيرًا هذه المرة وينتهى بأنشوطة طويلة تعاونت مع أخرى فى تعليقه بخطاف معدنى يتدلى من سقف الغرفة .. مما جعل (قدرى) يحملق فيما يحدث أمامه بعينين جاحظتين ، ويتبع بصوت فهمته (منى) بصعوبة من شدة الحشرجة :

ــ الحقينا يا (منى) .. شكلهم ناويين يدبحونا !

Looloo
www.looloolibrary.com

حملقت (منى) فى « الشاطور » الكبير الذى أخرجته (فتكات الدموية) فى اللحظة التالية ، فمالت نحو (قدرى) ، وتمتمت بفزع مماثل هذه المرة :

ــ مين اللى يلحق مين !.. بيتهيألى أنت الراجل هنا ..

ازدرد (قدرى) لعابه بصعوبة وتمتم بتردد :

ــ الراجل !.. هى بقت كدا !!

ولم يكد ينطقها حتى انقض النسوة الأربع بغتة عليه ، وبينما قام ثلاث منهن بإحكام تقييد حركته ، وهو يطلق صرخات رهيبة ويقاوم الأمر دون جدوى ، وبحنكة وسرعة شديدتين قامت (فتكات الدموية) بتقييده بالحبل الغليظ من قدميه .. ثم اندفعوا جميعًا نحو طرف الحبل الآخر وبدأوا فى جذبه جميعًا ..

أما (قدرى) فقد اكفهر وجهه ، وارتسمت معالم الفزع فى كل خلجاته ، حينما راح جسده ينزلق لأعلى ملليمترات قليلة فى كل مرة ، مما جعله يصرخ وهو يحاول التشبث بـ (منى) :

ــ الحقينى يا (منى) .. الحقينى ..

أجابته وهى تحملق فى الخطاف المثبت فى سقف الغرفة بنظرة خاوية :

ــ ما تخافش يا (قدرى) .. دول هيعلقوك بس ..

أما هو فقد حاول أن يمد يديه فى كل الاتجاهات ، حينما بدأ جسده فى الانزلاق أكثر ، قبل أن يبدأ فى الارتفاع لأعلى ..

أما النسوة الأربع فقد رحن يلهثن ، وهن يحاولن رفع جسد (قدرى) الذى بدا لهن فى تلك اللحظة ككتلة فولاذية غير قابلة للحركة ..

سقف الحجرة كان مرتفعًا فعلاً ..

والحجرة نفسها مصممة بأسلوب خاص ، يناسب وسائل التعذيب واستخلاص المعلومات ..

والنسوة كن قويات البنية بصورة عجيبة ، تؤهلهن للعمل فى مثل هذه المهام ..

ومع السحب المتواصل راح جسد (قدرى) يرتفع لأعلى ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

ثم فجأة أعلن الخطاف الفولاذى استسلامه تحت ثقل الوزن الذى لم يعتد عليه من قبل ، ثم انفل الحبل دفعة واحدة من طرف الخطاف ..

وسقط (قدرى)..

وكانت حقًا كارثة ..

* * *

انتفضت (جـ ــ 18) من نومها فى فزع ، حينما ارتجت الغرفة على أثر الزئير الرهيب الذى أطلقه (ابن الشيطان) ، حتى أنها قفزت من مكانها ، ثم راحت لوهلة تحملق فى الظلام الذى يغشى كل الحجرة ، قبل

Looloo
www.looloolibrary.com

أن تنتبه لجسد الأخير ، الذى احتل أحد أركان الحجرة أمامها ، وقد راحت كل معالمه تتحرك وتنبعج ، كأنما تراه من خلف ساتر مائى ، بينما راح اللهب يتطاير من كل مكان فى جسده .. ثم أطلقت تنهيدة طويلة ، وهى تنقر بطرف أصبعها على جانب وجهها ، وتزوم بملل .. قبل أن تتجاهل وجوده تمامًا كأن لم يكن ، وتستلقى فى سريرها مرة أخرى بحنق ، ثم استدارت للناحية الأخرى وهى تطلق سبابًا ساخطًا ، وتتثاءب بعمق ، وأغمضت عينيها ..

هنالك أطلق (ابن الشيطان) زئيرا آخر أقوى من سابقه ، كأنما أحنقه ألا يثير رعبها كما اعتاد ، بل وتتجاهله على هذا النحو ، مما جعلها تنتفض فى مكانها ، وتدفع الغطاء عنها فى عنف ، وتصرخ فى وجهه :

ــ يووووه .. مش هنعرف ننام فى ليلتنا دى !.. متروح تتهد وتنام لك شوية ، بدل لعب العيال ده اللى دوشتنى بيه ، وصحيت المنطقة كلها ..

تراجع للخلف فى دهشة !..

كانت المرة الأولى فى حياته منذ احترف الشر التى يعامله فيها أحدهم بهذا الأسلوب .. المرة الأولى التى لا يرتجف أحد لمجرد رؤيته ، بل ويصيبه الفزع ولا يتوقف عن الصراخ .. وقد أثار هذا غضبه وحنقه بلا حدود .. حتى أن عينيه اتقدتا دفعة واحدة ، وتدافع منهما اللهب فى كل اتجاه ، حتى اشتعلت الحجرة بما فيها ، بينما استمر هو يطلق ضحكاته الجنونية بلا توقف ..

أما هى ، فقد حملقت فى الفراش الذى أمسى متفحمًا بكل ما عليه ، قبل أن ترفع عينيها نحوه ، دون أن تكترث لألسنة اللهب التى تحيط بها من كل مكان ، وقالت فى حنق بلا حدود :

ــ دا أنت تافه تفاهة يا جدع ..

هنالك زمجر فى غضب ، وقد أشعل رد فعلها تجاهه كل ما يملكه من جنون وثورة دفعة واحدة ، ثم نشأت عاصفة من العدم ، رغم ضيق المكان ، وراحت ترتطم بها فى كل حوائط الغرفة دون توقف ، وبعنف لم تشهده من قبل ..

وما أن هدأت الأمور مرة أخرى ، حتى تطلعت لوجهه الغاضب وهى ملقاة على الأرض ، وقالت بملل وحنق ، وهى تضرب قبضتها المضمومة فى يدها الأخرى :

ــ مش قلت لك تافه ؟!

هنالك رفع رأسه ومال بها للخلف ، وأطلق صرخة غيظ رهيبة ، ارتج لها المنزل والمنطقة بأكملها .. قبل أن تظهر يد عملاقة من الأرض ، قبضت على وسطها ، وراحت تدكها فى الأرض لمدة عشر دقائق دون توقف .. وهى صامتة تمامًا ، دون أن يصدر عنها أى صوت ، أو أنة ألم واحدة ..

وما أن اختفت اليد ، حتى مسحت خيط الشحم الأسود الذى سال من أنفها ، ونظرت إليه لبرهة ، ثم أتبعت بذات البرود :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ مش ناقص غير تطلع لى كائن خرافى نصه بنى آدم ونصه نمـر .. حاكم أنا فاهمة حركاتك القرعة ..

هنالك تخلى عن وقاره دفعة واحدة ، واقترب من وجهها وهو يـصرخ بكل ما أوتى من قوة :

ـ أنت ما بتخافيش منى ليييييييييه !!

تطلعت فى عينيه بدورها ، وبادلته نظـرة تحـد استمرت لحظة ، ثـم تقلصت ملامح وجهها الآلى وأطلقت تنهيدة متبرمة ، وهزت طرف شفتيها فى ضيق ، قبل أن تستدير للناحية الأخرى ، وتتبع بنفاد صبر :

ـ ومش عاوز أبوك يطردك ماليبت وانت بالعقلية دى !

ازدرد لعابه بصعوبة ، وشعر بغصة حادة فى حلقه وبعدم مقدرته علـى النطق ، حينما تطرقت لهذه النقطة .. بينما استكملت هى بنفس اللهجة :

ـ لأنى إنسانة آلية يا أستاذ (بعلزبول الابن) .. فهمت ولا أقول تانى ؟

حدجها بنظرة متشككة ، دون أن يتحرك من مكانه .. أما هى فلم يمنعها شعور الملل الذى سيطر على كل دائرة فى عقلها أن تستطرد :

ـ يعنى م الآخر الخوف بالنسبة لى مجرد أمر .. أوردر بأنفذه بدون ما أحس بيه .. خافى يا (جـ ـ 18) ، أخاف .. ما تخافيش يا (جـ ـ 18) ، ما أخافش .. لكن خوف حقيقى من جوايا .. انسَ ..

قالتها وتطلعت فى عينيه مباشرة .. ثم مالت نحوه دفعة واحدة ، وقالت بلهجة خاصة واثقة كأنما لم تمر بما مرت به منذ لحظات :

ـ قلت لى بقى أنقذتنى من السجن ليه ؟.. وإيه المهمة اللى أكيد محتاجنى فيها ، بدل اللف والدوران ده ..

ابتسم (ابن الشيطان) ، وهو يتطلع نحوها فى إعجاب حقيقـى هـذه المرة كأنما راقت له عقليتها .. قبل أن يميل نحوها دفعة واحدة بـدوره ، ويقول بلهجة اودعها كل موهبته فى الوسوسة والإقناع :

ـ (س ـ 18) ..

هذه المرة ، وعلى الرغم منها ارتجف جسدها الآلى كله دفعة واحـدة ، وقد أعاد لها الاسم ذكرى نسيتها طوال الفترة الـسابقة ، قبـل أن تتمـتم بشفاه مرتجفة :

ـ مين !!

أعاد تكرار الاسم مرة أخرى ، قبل أن تتسع ابتسامته الشيطانية ، كأنما أسعده ما أصابها ، وهو يدور حولها ويقول بأفعوانية :

ـ إيه .. مش عارفة مين هو (س ـ 18) ، ولا أقول الاسم تانى ؟

ازدردت لعابها الذرى بصعوبة ، بينما أتبع هو كأنما أراد الطرق علـى الحديد ساخنًا :

ـ مش هو دا السبب فى كل اللى انتِ فيه !.. مش هو دا اللـى اتخلـى عنك بعد ما قبلتِ تتجوزيه .. وضحيتِ بأهلك ومجدك ونجاحك عشانه ..

شعرت بدوار عجيب ، وبأن عينيها تفقدان المقدرة على رؤية ما حولها ، بينما توقف هو دفعة واحدة أمامها مباشرة ، ورفع يديه بأسلوب مسرحى ، وراح يستطرد بلهجة خاصة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ ودلوقت هو فين !..

حاولت أن تقاطعه ، لكنها لم تقوَ هذه المرة ، كل ما فعلتــه أن قاومــت شرارات عينيها ببسالة ، وقالت بلهجة واهنة لم يبذل جهـدًا كبيـرًا فــى تفسيرها :

ــ اشمعنى (س ــ 18) ؟!

هنالك بدا كما لو أن جسده ينتفض بأسره ، وهو يجيبها بلهجة تفـيض كراهية وبغضًا ، وقد راح يعصر قبضته فى غل حقيقى :

ــ دا تار قديم .. تار بايت ..

قالها وعادت ذاكرته للخلف ..

دفعة واحدة ..

* * *

كان (س ــ 18) يندفع نحو الشمس ، والقرص الشيطانى يقبع بداخل صدره(*) ..

القرص الذى لم يفهم أحد طبيعته إلا صاحبه وحده ..

ابن الشيطان ..

* * *

(*) راجع سلسلة ملف المستقبل ، العدد (83) ــ أرض العدم .

كان ملقىً على الأرض فى مذلة ، أمام الشيطان الأكبر ؛ والده ..

وحلقة من نار تدور حوله دون توقف ، تقيده ، وتمنعه عن الحركــة .. حينما طرق صوت أبيه الغاضب مسامعه :

ــ لقد استنفدت كل صبرى عليك ، ولم يعد هناك المزيد ..

رفع عينيه بكل ما فيهما من خزى ، كأنما أراد أن يرد بأى شىء ينتصر به لكرامته المهدرة ، لكنه لم يجد ما يقوله ، فأعادهما إلــى الأرض فــى انكسار ، بينما استكمل والده حديثه ، بذات الغضب الهادر :

ــ تركتك ألف عام لأهوائك الشخصية ، ثم ماذا كانت النتيجة ؟..

قائمة جرائم ساذجة .. تافهة مثلك .. ولا تليق بشيطان ..

تثبيت !..

سرقة بالإكراه !..

ثم فى النهاية تستأجر « موتوسيكلا » وتسرق حقائب النساء ، وأنــت متخفٍ فى « شراب نايلون » !..

ابنى أنا !!..

يا للعار !..

بل ألف ألف عار ..

هنالك تمتم بضعف :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ بابا ، أرجوك ..

لكن صوت أبيه الهادر منعه من استكمال ما بدأه هذه المرة :

ـ اخرس .. اخرس .. اخرس .. وإياك أن تتلفظ بحرف واحد ..

قالها ثم اكتسب صوته مرارة العالم ، وهو يتبع :

ـ أنت حتى لم تفهم قدراتك ..

لم تستوعب الفارق بينك وبين غيرك ..

لم تدرك أنك فريد من نوعك ..

تملك كل ما للشياطين من قدرات ..

وكل ما للبشر من تكوين ..

لكنك بدلاً عن هذا خذلتنى ..

وخذلت نفسك ..

وتركت لجزئك الآدمى اليد العليا على عقلك ..

تركت لضعفك السيطرة ..

حتى صرت ذلك الضعيف ..

الواهن ..

الهش ..

المستهتر ..

قليل الحيلة ..

هنالك رفع رأسه مرة أخرى ، وشعور رهيب بالندم يعصف بكيانه :

ـ دادى ، لقد تعلمت ..

أتاه صوت أبيه حاسمًا هذه المرة :

ـ لم يعد حتى لديك القرار لتحسم شيئًا كهذا بعد الآن ..

وللمرة الأولى فى حياته يشعر بهذا الكم من التوتر ، ثم هبت كل مشاعر الخوف بداخله دفعة واحدة ، حينما راحت حلقة النار حوله تدور بسرعة أكبر ، وراح الظلام يزحف على كل شىء حوله بسرعة عجيبة ، فى نفس اللحظة التى أتاه صوته باردًا ، مخيفًا ، أوقف سريان ماء النار فى عروقه :

ـ منذ هذه اللحظة فقدت مقدرتك على التجول فى عالم البشر كواحد منهم ، وعدت إلى عالم أبيك ..

أراد أن ينتفض فى مكانه ، وأن يخترق ما حوله ، لولا أن حلقة النار منعته .. فى نفس اللحظة التى طرق صوت أبيه بكل مافيه من برود أذنيه :

ـ إلا فى حالة واحدة ..

ثم ظهر هذا القرص الصغير يحلق فى الظلام أمامه ، قرص لامع عجيب ، بلا معالم محددة .. إلا نقش غريب يحتل أحد وجهيه .. قبل أن يأتيه صوت أبيه باردًا جافًا بلا مشاعر :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ أن يقرأ أحدهم النقش على هذا القرص ..

مد يده تلقائيًا نحو القرص ، كأنما يحاول الإمساك بـه ، ثـم أصـابته الحيرة ، حينما نفذ القرص من يده ، كأنه صـورة هولوجراميـة ثلاثيـة الأبعاد ، فى نفس اللحظة التى قال فيها والده :

ـ لا تحاول .. فأنت الوحيد فى هذا الكون الذى لن يكون له تاثير علـى هذا القرص ..

ثم صمت وهلة قبل أن يتبع بلهجة خاصة :

ـ سيكون له هو السيطرة عليك .. لا العكس ..

قالها دون أن يعطى له الفرصة ليفكر فيما قاله ، حيـث ظهـرت تلـك الفجوة ..

بوابة عجيبة صغيرة ظهرت من العدم ، واحتلت الفراغ أمامه .. قبل أن يتحرك القرص باتجاهها ..

وما هى إلا ثوانٍ حتى كان قد اخترقها ..

إلى عالم البشر !..

وسقط فى مكان مجهول فيه ..

والعجيب أنه ظل واضحًا أمام عينيه !

ولم يطل تساؤله هذه المرة ، فقد أجابه الشيطان الأب مباشرة :

ـ هذه الفجوة هى آخر حدود سيطرتك فى عالم البشر ، أمتار معدودة ، سأمنحك طاقة تحكم فيها .. ولا تتخيل حتى أنها طاقة مادية .. بل مجـرد طاقة عقلية لا أكثر ..

ثم صمت لحظة ، عاد بعدها ليستكمل :

ـ حتى إذا ما سقط هذا القرص فى يد أحدهم ، منحته بنفسك المقـدرة على قراءة النقش العجيب ..

ازدرد لعابه النارى فى صعوبة ، حينما استطرد والده :

ـ لتعود ..

ثم اصطبغ صوته بلكنة مخيفة ، وهو يتبع :

ـ ولكن لتحذر وقتها .. لأن شيئًا واحـدًا قادر على إعادتك لما أنت فيه مرة أخرى :

ثم صمت لحظة ، ليحظى بانتباهه كاملاً :

ـ النار ..

هنالك ارتجف جسده ، وقد أحس ببشاعة موقفه ، وهتف كالمستغيث :

ـ الرحمة يا أبى .. الرحمة .. البشر أغبياء .. ولن يجد أحدهم القرص بهذه الطريقة .. لن يجدوه أبدًا ..

أتاه صوت والده هذه المرة باردًا كالثلج :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ ساعتها ستظل فى عالم أبيك إلى الأبد ..

قالها قبل أن يتبع بحزم :

ــ إنها فرصتك الأخيرة لتتعلم ..

ستراقب ..

وتدرك ..

وتفهم ..

وبعدها ستكون مؤهلا لهذا العالم إلى الأبد ..

وما أن نطقها حتى ارتجت الأرض من حوله ، واختفت حلقة النار دفعة واحدة .. وتركته بعيدًا عن العالم الذى وُلد وعاش فيه عمره الأول ..

عالم البشر ..

أما هو فقد أطلق صرخة هائلة ارتجت لها الأرض من حوله :

ــ بابا!!!!!!!!!!!! ...

* * *

حينها شعر ــ وللمرة الأولى ــ أن معركته الحقيقية قد بدأت ..

وأنه عليه لكى يستعيد مقدرته على العودة إلى عالم البشر مرة أخرى ، والتنقل بينه وبين عالم الشياطين الذى أصبح أسيرًا فيه ، أن يراقب ، وأن يتعلم ، ويفهم .. كما أخبره والده ..

وهذا ما كان منه بالفعل ..

ولمائة ألف عام ظل يراقب من مكانه ..

ومن فجوة الرؤية الضيقة التى تكشفت أمامه ، دون أن يقوى على عبورها راح يدرس البشر ..

ويفهم طبيعتهم ..

ويحلل لهم عشرات المواقف ..

والخبرات ..

ويختزنها فى عقله ..

حتى تأتى لحظة المواجهة ..

وقد كان ..

وبعد ألف عام أخرى صادف بشرى تعس القرص .. وتحت تأثير سيطرته هو قرأ النقش المحفور عليه ..

وعاد (ابن الشيطان) ..

عاد بكل حنقه ..

وقسوته ..

عاد بروحه الجديدة التى خلفها الأسر ..

عاد محملاً برغبة مجنونة فى فرض ذاته ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وفى الانتقام لنفسه ..

وفى اللحظة الأولى التى انتقل فيها إلى عالم البشر مرة أخرى ، كان فى مكان مهجور تمامًا على مشارف القاهرة القديمة ..

إلا من منزل وحيد ..

بدا مهجورًا ، رغم أنه لم يكن كذلك ..

كان منزل جد (نور) ..

جده الذى انهمك طوال الوقت فى مصنع « بمب » صغير ، يحتل قبو منزله .. والذى أفنى فيه سنوات عمره بعد أن ماتت زوجته فى انفجار مريع أثناء إحدى تجاربه لاختراع « بمب » له دوى أكبر ، أطاح بنصف المنزل على الأقل .. لكنه لم يتخلَّ عنه أبدًا ..

وكان هذا هو الحظ العاثر الذى ظل فى انتظار (ابن الشيطان) ..

فقد تسلل لقبو المنزل المظلم ، والذى ظنه فارغًا ..

لكن جد (نور) كان هناك ، كعادته ، يغرق نفسه فى العمل حتى ساعات الفجر الأولى ..

وما أن لمحه ، حتى ارتد كلاهما فى ذهول ..

(ابن الشيطان) ..

وجد (نور) ..

أما الأول ، فلأنه اشتم رائحة (أوزوريس) ، وعرف أن هذا الكهل من سلالته ..

وأما الثانى ، فلأنه ظنه فى البداية شبح زوجته الراحلة ..

لكن تراجعهما للخلف كان أكثر مما ينبغى ..

وتساقطت عشرات الأكياس من « البمب » دفعة واحدة ، واشتعلت النيران ، التى نشبت النيران فى جسد (ابن الشيطان) دون مقدمات .. وقد راح يصرخ فى قهر :

ــ لاااا أنا لسه راجع .. لسه راجع .. لسه رااااااجع ..

وقبل أن تخمد حركته تمامًا ، استدار نحو جد (نور) ، الذى كان يقاوم الغيبوبة تحت أطنان الدخان، وقال بلهجة جمدت الدماء فى عروقه على الرغم منه :

ــ مش هسيبك يا حفيد (أوزوريس) .. أنا وأنت وولادك ، وأحفادك والزمن طويل ..

قالها ثم خمد صوته دفعة واحدة ، واختفى من المكان ، مخلفًا ذلك القرص اللعين ..

القرص الذى بحث عنه جد (نور) طويلاً بعد أن لازم المستشفى لمدة طويلة ..

وكان أول ما فعله ، أن اختار مكانًا بعيدًا .. فى قلب الصحراء .. ودفنه هناك ..

وترك رسالة لحفيده (نور) ..

تركها خلف اللوحة فى منزله ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ورحل الجد عن الحياة ..

وبعدها تحققت مخاوفه ..

عثر أحدهم على القرص ..

وقرأ النقش الموجود عليه ..

وعاد (ابن الشيطان)[*] ..

عاد لينتقم من (نور) ..

وأذاقه وفريقه الويلات ..

وهزمه (نور)[**] ..

لكنه عاد مرة ثالثة ..

عاد أكثر تصميمًا ..

وكاد يحقق انتصاره على الأرض كلها ..

لولا ظهور (س ــ 18) ..

(س ــ 18) الذى أحرقه ، وألقى به فى قلب الشمس فى النهاية[***] ..

* * *

(*) راجع سلسلة ملف المستقبل ، العدد (72) ــ ابن الشيطان .

(**) راجع سلسلة ملف المستقبل ، العدد (75) ــ الجولة الأخيرة .

(***) راجع سلسلة ملف المستقبل ، العدد (83) ــ أرض العدم .

ــ « مش يمكن يكون عرف واحدة من وراك ، أو اتحرش بإنسانة آلية ، وأبوها أو اخواتها حكموا عليه يتجوزها ؟ »

نطقها (ابن الشيطان) دون اكتراث ، بلهجة خاصة يجيدها .. وكان واثقا تمامًا من تأثيرها على (جـ ــ 18) ، التى تمتمت فى ذهول :

ــ اتحرش !!..

قالتها، ثم استدركت على الفور :

ــ لا لا .. (س ــ 18) عمره ما يعمل كدا .. دا طول عمره مؤدب معايا وأنا عرفاه ..

رفع حاجبيه بمكر :

ــ مش يمكن عمل كدا عشان ما لقاش سكة يوصل لك بيها غير الاحترام ؟

تصلبت ملامحها للحظة ، ثم تساءلت كالمشدوهة :

ــ تفتكر ؟

ــ هنالك استنفد كل مقدرته على الوسوسة والإقناع ، وهو يجيبها بلهجة خاصة :

ــ تفتكرى أنتِ إنسان آلى وسيم ورياضى زى (س ــ 18) ومفيش ولا إنسانة آلية لفتت انتباهه ، ولا هو لفت انتباهها طول الوقت ده !

كانت وساوسه قد نجحت فى اختراق عقلها بالفعل ؛ حتى أنها ارتدت كالمصعوقة ، واستنكرت بكلمة واحدة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ إيه !!..

أجابها على الفور :

ـ فكرك يعنى ما سألش عنك لحد دلوقت ليه ؟

قالها ثم تراجع للخلف ، وكاد يشهد لنفسه بالبراعة ، حينما هبت من مكانها دفعة واحدة ، وراحت تقطع الحجرة ذهابًا وإيابًا ، وهى تضرب يدها بقبضتها المضمومة فى غيظ :

ـ دى تبقى وقعتهم سودة هما الاتنين .. مش أنا اللى ياخدنى سيليكون ويرمينى منجنيز ..

قالتها ، ثم نظرت نحوه دفعة واحدة ، وأتبعت بثورة :

ـ وهنسيبه كدا !!..

هنالك اشتعلت عيناه دفعة واحدة ، وأتبع بشيطانية تناسبه ، كأنما كان ينتظر هذه اللحظة بالتحديد :

ـ ومين قال كدا !

أتبعت على الفور :

ـ وهنعمل إيه ؟

هب من مكانه ، واتجه نحو النافذة بخطوات متثاقلة ، ثم التفت نحوها دفعة واحدة ، وأتبع بغموض :

ـ خمّنى ..

صمتت للحظة ، ازدردت خلالها لعابها الذرى ، قبل أن تجيب بحسم :

ـ نطلع عليه إشاعات ، ونبوظ سمعته ..

نظر إليها باهتمام ، فأتبعت :

ـ نقول إنه حرامى خزن ..

قالتها ثم استدركت سريعًا :

ـ ولا أقولك ، نلفق له قضية آداب ..

حملق فى وجهها للحظة ، فأجابت على الفور :

ـ مستغرب كدا ليه ، الفوتوشوب ما خلاش !

مط شفتيه دون أن يتكلم ، مما جعلها تتبع مباشرة ..

ـ خلاص خلاص .. شكل الفكرة مش عجباك .. أقولك ؟.. نطلع إشاعة إنه مدمن وعربيد ..

ثم صمتت فترة ، قبل أن تتمتم، كأنما تحادث نفسها :

ـ وعلى إيه !.. كوكب الأرض كله بقى عارف إنه بيتعاطى مخدرات وأخلاقه باظت(*)..

قالتها ، ثم صمتت لوهلة ، قبل أن تستدرك مرة أخرى بقلة حيلة :

ـ مفيش بقى غير إننا نلفق له قضية جاسوسية ..

(*) راجع الجزء الأول (صراع الأوغاد) ، العدد رقم (31) سلة الروايات

Looloo
www.looloolibrary.com

تساءل باستخفاف :

ــ جاسوسية لصالح مين ؟

أجابت بحرقة :

ــ لصالح أى حد .. نقول إنه جاسوس لكوكب (جلوريال) ، وإن هو اللى دل الغزاة على كوكب الأرض(*) .. وإنه كان شغال لحسابهم من البداية .. وإنه فضل ينقل لهم أخبار المقاومة ..

أطلق ضحكة طويلة ، قبل أن يتبع بسخرية :

ــ ومن هيصدقك إذا كان هو اللى أنقذ الأرض فيما بعد(**) !..

ازدردت لعابها بحرج ، ثم تطلعت نحوه لوهلة ، قبل أن تتبع بقلة حيلة :

ــ والعمل !!

هنالك اتقدت النيران فى عينيه أكثر ، وكادت تقسم أن جسده قد انتفض بأسره ، وأن صوته بدا لها قادمًا من الجحيم ، وهو يجيب بلهجة مخيفة .. مرعبة .. جمدت سريان الطاقة فى وصلاتها :

ــ إن لدىّ خطة رهيبة فى انتظاره ..

هنالك انتقلت إليها الرعدة ..

كاملة ..

* * *

(*) راجع سلسلة ملف المستقبل ، العدد (76) ــ الاحتلال .

(**) راجع سلسلة ملف المستقبل ، العدد (80) ــ النصر .

أطلق (ممدوح) أنة ألم رهيبة حينما وضعه المخبرون أرضًا أمام ضابط القسم ، الذى اتسعت عيناه وهو يتابع ملامحه .. كانت ثيابه قد تمزقت تمامًا ، وظهرت تحتها مجموعة لا نهائية من السحجات والجروح التى شملت جسده بأكمله ، وتورمت عيناه بصورة مفزعة ، حتى أنهما استحالتا إلى كرتين زرقاوين بشعتىّ المنظر ، وامتلأ وجهه بعدد لا نهائى من الكدمات .. أما شعره فقد تناثر عن آخره ، وقطعته خيوط دقيقة من الدماء المتخثرة التى سالت على جبهته .. وكان يرتدى فردة حذاء واحدة ، مما يعنى أنه فقد الأخرى أثناء المذبحة التى تعرض لها ..

هنالك ازدرد الضابط لعابه ، وتنفس فى صعوبة ، قبل أن يتساءل وهو يتطلع نحوه بذهول :

ــ ماله ده !.. عدت عليه دبابة !

رفع المخبر يده بالتحية المعتادة ، ثم قال بآلية :

ــ لا يا فندم .. الراجل ده كان متعلّق من رجليه فى بلكونة المجرم الهارب (أدهم صبرى) اللى القوة بتاعتنا بتطارده ، والجيران أنقذوه ..

تمتم الضابط فى ذهول :

ــ من رجليه !

أومأ المخبر برأسه ، ثم استدرك على الفور :

ــ وبيتّهم الولاد دول إن هم اللى علّقوه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

تمتم الضابط بذهول :

ــ ولاد !!

نطقها فى اللحظة التى انفتح فيها الباب ، وقاد ثلاثة من المخبرين أبناء (أدهم صبرى) الأربعة عبره إلى داخل المكان ، حتى أنه راح يحملق فى عمر أكبرهم ، والذى لم يتخط العاشرة بذهول لم يصادفه من قبل .. أما هم فقد اندفعوا إلى ركن الغرفة فى خوف ، وانكمشوا على أنفسهم فى فزع ، وهم يتطلعون نحو الضابط ببراءة عجيبة أجادوا اصطناعها ، ثم انطلقوا جميعًا فى بكاء هستيرى عنيف وكل منهم يحتضن الآخر .. حتى أن الضابط نقل عينيه الذاهلتين نحو (ممدوح) الذى التصق فى الحائط بفزع ، وهو يردد بخوف هستيرى :

ــ لا لا لا .. أبعدوهم عنى .. أبعدوهم عنى ..

ثم التقط الضابط نفسًا عميقًا ، وهو يقول للمخبرين بلهجة حاسمة حاول أن تخفى أكبر قدر من توتره على الرغم منه :

ــ مين الولاد دول !

أجابه المخبر بذات الآلية :

ــ دول ولاد المجرم (أدهم صبرى) نفسه يا فندم ..

تمتم الضابط مباشرة :

ــ ولاده !

أجابه المخبر على الفور :

ــ أيوة يا فندم ..

لكنه تساءل مرة أخرى :

ــ وإيه علاقتهم بالمجرم (قدرى سبانخ) والمجرمة (منى توفيق) المحجوزين هنا ..

ألقى تساؤله دون أن يتلقى له إجابة ..

بدقة أكثر لم يسمعها ..

فقد اعتدل الأطفال الأربعة دفعة واحدة ، وقال أكبرهم بابتسامة عجيبة واثقة نشأت من العدم ، واتسعت لتعتلى وجوه الأطفال الباقين :

ــ يعنى عمى (قدرى) وعمتى (منى) هنا ..

تمتم الضابط دون تفكير :

ــ عمتك !

أما الأطفال ، فلم يبدُ أن أحدهم سمع عبارته .. إذ استقامت قامتهم جميعًا دفعة واحدة ، وقفز كل منهم قفزة عجيبة معقدة ، انتصبوا جميعًا بعدها فى وقفة قتالية عجيبة .. وقبل أن يستوعب الضابط أو أى من المخبرين ما يحدث ، كان الإعصار قد انطلق ..

وبدأ القتال ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

توقف (سنية ــ 15) / (بسطاويسى ــ 15) أمام المرآة .. كانت المرة الأولى التى تطالع / يطالع فيها ملامحها / ملامحه بعد الجراحة المعدنية التى خضعت / خضع لها .. وفى رعب لا مثيل له راحت / راح يتحسس تفاصيل وجهه ..

كانت الخشونة قد دبت فيها ، ونمت شعيرات معدنية حادة ، راحت تخدش أطراف أصابعه فى كل ميلليمتر منها .. ولم يصدق لوهلة أن هذه البشرة المعدنية كانت تصرخ بالأنوثة والنعومة ذات يوم .. وفى حسرة لا نهاية لها تفرس تفاصيل جسده ، وتحسس صدره بيديه ، حيث اختفت كل المعالم التى تؤكد أنه كان أنثى فائقة الجمال ..

وفى حنق وغل لا مثيل لهما راح عقله يسترجع كل التفاصيل .. حينما كان آلية شرسة تهيمن بقبضة حديدية على سجن الآليات .. ووصول (جـ ــ 18) .. والصراع بينهما .. ثم المعركة الشرسة التى نُقلت على أثرها إلى مستشفى السجن .. والجراحة التى أجريت لها .. وتحولها فى النهاية إلى (بسطاويسى ــ 15)(*)..

وبمرارة رفع أدوات الحلاقة من مكانها وراح يجتز الشعيرات النابتة فى ذقنه .. كان عليه هذه المرة أن يستعد للعودة إلى السجن لاستكمال مدة عقوبته .. ولكن هذه المرة إلى سجن الآليين .. الرجال !..

وفى ثنايا عقله كانت كل ذرة فوتونية تصرخ بحنق وجنون ومرارة ، حتى أنه دفع قبضته فى الحائط بحنق وغضب ومرارة العالم .. قبل أن يتمتم بقهر :

(*) راجع الجزء الأول (صراع الأوغاد) ، العدد رقم (31) سلة الروايات ..

ــ سأنتقم ..

ثم انتفض فى مكانه ، حينما أتاه صوت ساخر حاسم لا يخلو من سخرية :

ــ الأمر بالفعل يستحق الانتقام ..

اندفع يدور ببصره فى أرجاء المكان باحثًا عن مصدر الصوت .. ثم ارتد للخلف كالمصعوق ، وهو يتابع الوجه المطل من المرآة ..

وفى شجاعة غريبة وفضول لا حصر له اقترب من المرآة ، حينما ابتسم صاحب الوجه بداخلها ..

كان (ابن الشيطان) ..

وفى دهشة وفضول لا حصر لهما سأله :

ــ أنت مين ؟!

أجابه (ابن الشيطان) مباشرة :

ــ اسمى (بعلزبول) ..

ثم مط شفتيه قبل أن يستدرك :

ــ وممكن تقول لى « يا سيدى » ..

تمتم (بسطاويسى ــ 15) بدهشة :

ــ سيدى !!

أطلق (ابن الشيطان) تنهيدة قليلة الحيلة ، قبل أن يستدرك مرة أخرى :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ خلاص .. تقدر تخليها « أونكل » .. هسمح لك تقول لـى « أونكـل بعلزبول » ..

ثم تمتم بصوت خافت ، لم يبلغه :

ـ مهو خلاص الواحد فقد قيمته فى العالم ده .. « منك لله يا بابا » ..

قبل أن يطرق تساؤل (بسطاويسى ـ 15) مسامعه هذه المرة بدهـشة أكبر :

ـ أنت مين وعايز إيه !

اتسعت ابتسامة (ابن الشيطان) هذه المرة ، وأجاب مباشرة :

ـ بلاش اللـون دا معـايا يا (بسطاويسى ـ 15) ، لأن أنـت اللـى محتاجنى ..

وقبل أن يستوعب (بسطاويسى ـ 15) عباراته ، أشار بيده فى اتجاه باب الغرفة ، قبل أن يتبع بثقة :

ـ عارف الخبط اللى هتسمعه ع الباب حالاً معناه إيه !

وقبل أن يتفوه (بسطاويسى ـ 15) بحرف واحد ، ارتفعـت طرقـات قوية متتابعة على باب حجرته ، ودون حتى أن ينتظر (ابـن الـشيطان) إجابته استدرك على الفور :

ـ دى قوات الترحيل اللى هتاخدك على سجن الآليين .. ثم أطلق ضحكة مجلجلة قبل أن يستكمل باللهجة نفسها :

ـ سجن الرجال ..

ثم مال نحوه ، قبل أن يقول بلهجة خاصة :

ـ فاهم يعنى إيه سجن الرجال يا (بسطاويسى ـ 15) ؟

ثم استدرك بلهجة جمدت سريان الكهرباء فى عروقه :

ـ تفتكر هيكون إيه موقفك هناك بعد العلقة الأولى !

قالها واعتدل فى مكانه .. وترك الخيال يعصف بـ (بسطاويسى ـ 15) ، الذى ازدرد لعابه الذرى بصعوبة ، وراحت الخيالات المفزعة تعصف به .. قبل أن يجيبه بلهجة أقرب للتوسل :

ـ أنت قصدك إيه بإن أنا اللى محتاجك ..

هنالك رفع (ابن الشيطان) رأسه لأعلى ، وقد تأكدت له هيمنته الكاملة على الموقف .. ثم تطلع فى عينيه مباشرة ، وهو يجيبه بحسم :

ـ أقصد إن أنا الوحيد اللى يقدر يهربك من هنا ..

تمتم (بسطاويسى ـ 15) بلهفة غريق :

ـ هتهربنى إزاى !

كانت الطرقات قد تصاعدت ، حتى تحولت لمحاولة لكسر الباب ، حينما أجابه (ابن الشيطان) بعد فترة صـمت ، حملـق خلالهـا فـى عينـى (بسطاويسى ـ 15) مباشرة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ أول معد لحد مليار ادخل فى المراية دى ..

أجابه (بسطاويسى ـ 15) باستنكار :

ـ مليار !!

هنالك بدأ (ابن الشيطان) العد ..

* * *

كل ما يذكره الرائد (أيمن)(*). أنه لم يذكر شيئًا ..

فقد تحرك الأطفال الأربعة حركة عشوائية شديدة التعقيد .. إذ قفز كل منهم فى اتجاه ..

وبدأ بعدها كل أفراد الأمن فى القسم يتساقطون أمامه واحدًا تلو الآخر ..

وبلا رحمة ..

وبلا تفرقة ..

وبتتابع عجيب لم يرَ مثله فى أسوأ كوابيسه ..

جميع المخبرين .. والعساكر .. والضباط .. وحتى مأمور القسم ..

كان الجميع يكتفون بنظرة تعجب واحدة ، ثم تجتذبهم الأيدى الصغيرة الغاشمة .. ويبدأ بعدها سيل من الضربات العجيبة التى تعرف أماكنها .. كأنما يوجهها مجموعة من الشياطين المردة ، وليست أربعة أطفال لم يتخطَّ أكبرهم العاشرة ..

(*)هناك ولع خاص باسم الرائد (أيمن) فى كل ما يكتبه د. نبيل فاروق .

وفى اللحظة التى انكمش فيها (ممدوح) أكثر ، ووقف الرائد (أيمن) يتابع ما يحدث فى ذهول لم يعتده فى حياته ، كان الأطفال يتوجهون نحوه .. وهو يبتسم ابتسامة عجيبة لم يفهم هو نفسه سرها ، ثم رفع يده نحوهم فى ترحيب ، وأعلن استسلامه .. كأنما يفهم نتيجة المقاومة .. وبتناسق عجيب لم ير مثله من قبل تناول كل طفل منهم أحد أطرافه ، ثم قذفوا به باتجاه السقف ..

ولم يستغرق الأمر كثيرًا هذه المرة ..

كل ما شعر به ، أنه سمع انفجارًا .. وارتجت أرضية المكان للحظة .. وارتطم بعدها جسده هو بالأرض ..

وفارق الوعى ..

أما الأطفال فقد توقفوا دفعة واحدة مع الهزة الأرضية العجيبة التى رجت المكان .. ثم نظر كل منهم للآخر ، قبل أن يحددوا مصدر الصوت ويندفعوا نحو غرفة الحجز ..

وفى اللحظة التى اقتحموا فيها الباب ، كانت بانتظارهم مفاجأة ..

كان جسد (قدرى) المقيد من رجليه قد تمدد على الأرض الصلبة ، وهو يطلق أنات خافتة متتالية ، ويحملق فى سقف الحجرة بأعين جامدة لا تتحرك ، وقد تدلى لسانه وكاد يسقط على الأرض .. وإلى جواره تناثرت أجساد فريق التعذيب فاقدات للوعى ..

أما (منى) ، فكانت قد انكمشت فى مكانها على المقعد المقيدة إليه ، وهى تحملق فى السقف وتتمتم دون وعى :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ الحبل !.. الخطاف !.. وقع عليهم !..

ولم يكد يسمع الطفل الأكبر عبارتها ، حتى ازدرد لعابه ، ثم نقل بصره بين جسد (قدرى) الضخم وبقية النسوة المتناثرات فى المكان ، ثم تمتم بشفقة حقيقية ، وهو يتحسس نبض إحداهن :

ــ تفتكروا لسه عايشين !

أجاب أصغرهم ، وهو يهز رأسه فى أسف :

ــ مع عمى (قدرى) صعب ..

ثم التفوا جميعًا حول (قدرى) فى محاولة إنعاشه ، فى نفس اللحظة التى رفعت (منى) رأسها نحوهم ، كأنما تنبهت للمرة الأولى :

ــ أين أبوكم (أدهم) !.. لماذا لم يأت بنفسه كالعادة هذه المرة ؟

حكى لها الابن الأكبر ما حدث منذ وصول الغريبيّن لمنزلهم ، وحصار الشرطة لبيتهم ، وحتى هروب والدهم من الشرفة ، ومطاردة (نور) و(أكرم) لهم ..

هنالك انتفضت (منى) من مكانها وقالت بلهفة حاسمة :

ــ لابد أن (أدهم) فى حاجة إلينا ..

انتفض الأطفال فى أماكنهم بعد أن نجحوا فى إعادة الوعى إلى (قدرى) ، ثم اتخذوا وقفتهم القتالية إياها ، وقال أكبرهم بحماسه المعتاد :

ــ وكلنا معك ..

زوت (منى) عينيها فى لحظة تفكير ، ثم تمتمت بحسم :

ــ ليكن ..

ثم تكاتفوا جميعًا لمعاونة (قدرى) على النهوض .. وفى اللحظة التى كانوا يغادرون فيها قسم الشرطة مالت (منى) على أذن أكبرهم وهى تتابع كم التخريب وعدد الأشخاص الفاقدين للوعى فى كل مكان ، وقالت بلوم :

ــ مش ملاحظين إنكم زودتوا الحكاية شوية المرادى !

لم يجبها الطفل هذه المرة ، مما جعلها تلوى شفتيها وتقول بحنق :

ــ اللى خلّف ما ماتش ..

قالتها ثم اندفعت من باب القسم لدعم أكثر من أحبته فى هذا العالم على الإطلاق ..

ــ (أدهم) ..

* * *

فيلم (رجل المستحيل) ..

المشهد 88 كلاكيت أول مرة ..

ملأ الغضب أعماق (مارتينا)(*) ، وهى تعود إلى منزلها فى الثانية صباحًا ، وبلغت عصبيتها حدًّا جعلها تعجز لمرتين متتاليتين ــ عن دس مفتاحها فى ثقب باب شقتها ، ثم لم تلبث أن نجحت فى محاولتها الثالثة ، وهى تهتف فى غضب :

(*) راجع سلسلة رجل المستحيل ، العدد (67) ــ الجحيم المزدوج .

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ إيه اللى جرالك يادى المفتاح ؟

دفعت باب شقتها فى عصبية ، ودلفت إليها ، ثم أغلقت الباب خلفها فى عنف ، ومدت يدها لتوقد الأضواء .. وفجأة .. أمسكت قبضة قوية بمعصمها ، فانتفض جسدها فى قوة ، وهمت بالصراخ ، لولا أن كتمت يد قوية فمها ، وارتفع صوت بارد صارم يقول :

ــ حيلك يا (مارتينا) ما تصرخيش ، إنه أنا ..

تهللت أساريرها ، حينما أضاء صاحب الصوت الأضواء ، ورفع كفيه عن فمها ومعصمها ، وهتفت فى سعادة ، وهى تتعلق بعنقه :

ــ (موشى) !!.. هو أنت؟ .. خضتنى يا منيّل ..

ــ أبعد ذراعيها عن عنقه فى برود ، وهو يقول :

ــ أيوة أنا يا (مارتينا) .. ازيك يا بت عاملة إيه ؟

هتفت فى لهجة تشف عن سعادتها لرؤيته :

ــ تصدق إنك جبان وعديم الأصل .. فينك يا واد من زمان ، ولا مش واخد بالك إننا ما اتقابلناش من أيام عملية (هونج كونج) .. ولا نسيتها دى كمان ؟

أجاب فى برود :

ــ لأ .. وهفتكرها منين .. أنا ما عملتش عمليات غير (اللوز) .. لكن الـ (هونج كونج) دى لسه ما شلتهاش ..

أتبعت مباشرة :

ــ ومين سمعك !.. بس المخرج اللى قال لى أقول كدا ..

قالتها ثم استدركت بخجل ، وهى تضربه بكوعها فى صدره بدلال :

ــ يعنى مش فاكر اللى حصل أيامها ؟

أدهشتها تلك النظرة الصارمة ، التى أطلت من عينيه ، فسألته بغضب :

ــ إياك متكونش فاكر كمان لما كنت بتحفى ورايا عشان آخد منك الجوابات ، اللى كنت بتفضل طول الليل تكتبلى فيها ، ولا لما كنت تجيب جرنان وتخرمه ، وتقعد تستنانى قدام مبنى المخابرات ، عشان تراقبنى وأنا خارجة ..

أجابها فى صرامة :

ــ أين (أدهم صبرى) ؟

أجابته بتنمر ، كأنما أهانها تجاهله لها على هذا النحو :

ــ ودا يطلع مين سى (أدهم صبرى) اللى خاوتنا بيه من أول الفيلم ..

لوى ذراعها خلف ظهرها فى خشونة ، وتجاهل تأوهات الألم ، التى انطلقت من بين شفتيها ، وهو يسألها فى صرامة :

ــ أنت ناسية إنى عاجنك وخابزك يا (مارتينا بوشكين) ؟.. لو كان (أدهم) فلسع منكم ، ما كانش هدالك بالك .. وكان زمانك بتلفى عليه زى النحلة .. هتقولى أحسنلك ولا أكسر لك دراعك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم أتبع وهو يخرج قنينة صغيرة من جيبه :

ــ ولا تحبى تجربى شوية مية نار على وشك ده ؟

هنالك دفعت جسده بعيدًا عنها ، وانتزعت ذراعها منه بقوة عجيبة ، قبل أن تهتف صارخة :

ــ هلا هلا .. والنبى عال يا سى (موشى) .. وبقينا بنعرف نشيل ميه نار .. بقى أنت يا بلطجى يا رد السجون ياللى كل تخشيبة فى (تل أبيب) معلمة فى جتتك عاوز ترش فى وشى أنا مية نار ! .. على آخر الزمن !.. ليه .. قالولك عنى إيه .. هفية ؟ .. ولا تكونش نسيت أنا مين ؟!..

قالتها ثم فتحت الباب ، وأشارت للخارج ، وهى تقول بشراسة :

ــ دقيقة كمان وتخفى من هنا .. وإلا ودينى هصوّت وألم عليك رجالة العمارة يعدموك العافية ..

ثم أتبعت بخيبة أمل ، كأنما تحادث نفسها :

ــ قال وأنا اللى كنت هتجوزه .. الله يرحمك يا أمّا .. قلتيلى دا واد نمرود وملوش أمان ومدوب شوارع برلين ..

ثم دفعته خارجًا بلا تفكير ، وهى تقول باستهزاء :

ــ وإن كان على (أدهم صبرى) ، فهيقابل صاحبه بكرة قدام مقر الحزب ..

أجابها ببرود :

ــ حزب إيه إذا كان الحزب الوطنى اتفك؟

اتبعت بشراسة :

ــ وأنا إيش عرفنى؟

التقط أنفاسه بنفاد صبر :

ــ اسمه إيه صاحبه ده؟

فكرت للحظة ، قبل أن تجيب بتردد :

الله !.. وأنا مخى دفتر !.. مش فاكرة اسمه .. (قدورة) .. (قدرى) ..

ثم هزت رأسها ، قبل أن تبتسم وقد خرجت من حالة التقمص التى كانت فيها ..

ــ آسفة بجد شكلى نسيت النص ..

ثم استدارت نحو الكاميرات ، وهى تتبع بخجل :

ــ إحنا نسأل المخر ...

لكنها بترت عبارتها ، وتصلبت عيناها دفعة واحدة ، وعجزت عن النطق ..

فأمام أعينهما ، تمدد فريق التصوير كاملاً فاقدًا للوعى ، إلا أحد العمال ، الذى ظل منتصبًا فى مكانه ، قبل أن يتمتم بصعوبة :

ــ بقى دا الكلام المكتوب فى الإسكريبت ؟

قالها ثم جاهد ليلتقط أنفاسه ، قبل أن يتبع :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ منكم لله يا ظلمة .. شليتوا المخرج وطقم التصوير ..

قالها ثم سقط بدوره ..

فاقدًا للوعى ..

* * *

بالرغم من البرودة الشديدة التى سيطرت على الجو ، فى الساعات القليلة قبل الفجر ، إلا أن (سونيا جراهام) بدت شديدة العصبية ، وهى تقف على رصيف الشارع بجوار (نور) و(أكرم) ، وتتابع (أدهم صبرى) ، الذى بدا بوضوح فوق حافة السطح الخاص بالبناية المواجهة لهم تمامًا .. كان يعبث بأصابعه بأسلوب طفولى تارة ، ويخرج لسانه وهو يهز رأسه تارة أخرى ، ثم لا يلبث أن يفرد يديه بجانب أذنيه فى سخرية ، جعلت الدماء تحتشد فى وجه كل منهم ، حتى شعروا جميعًا أنها توشك على الانفجار .. وفى اللحظة التالية قفز برشاقة ليقف فوق حافة الإفريز ، وهو يضم يديه أمام صدره .. وبالرغم من سُمك الإفريز ، الذى لا يتخطى السنتيمترات القليلة ، إلا أن (أدهم) بدا شديد الجرأة ، وهو يثير غيظهم بحركات بهلوانية شديدة التعقيد ، ويتحرك برشاقة لم يروا مثلها من قبل .. حتى أن (أكرم) عض على أسنانه ، وقال بغلٍ شديد :

ــ اللعنة يا (نور) .. هذا الوغد يحرق أعصابى بكل هذا القدر من الاستفزاز ..

لم يبدُ على (نور) أنه سمع حرفًا واحدًا مما تفوه به كالعادة ، وهو يتابع بدوره (أدهم) ، الذى كان قد تناول حبلاً من فوق سطح البناية ، ثم قذف به بحركة فنية شديدة الإتقان ، ليعلق فى إفريز السطح المقابل ، ثم تأكد من إحكامه ، قبل أن يقفز بمهارة عجيبة ليعتليه ، ثم بدا كأنما يستمتع باستفزازه لهما ، إذ تمادى فى الأمر ، وراح يتحرك بأسلوب بهلوانى عجيب فوق الحبل ..

وفى اللحظة التى أخرج فيها (نور) مسدسه الليزرى، بعد أن فقد أعصابه ، كانت (سونيا) قد أخرجت مسدسها بدورها .. وانهالت أشعة الليزر فى اتجاه (أدهم) ..

وأمام أعينهم الذاهلة ، راح (أدهم) يأتى أكثر الحركات التى رأوها مهارة وجرأة .. كان يقفز فوق الحبل ، ويدور فى الهواء دورات رأسية كاملة ليتفادى خيوط الليزر القاتلة ، ثم يعود ليمسك بالحبل مرة أخرى رغم الارتفاع الشاهق الذى يحلق فوقه .. حتى أن (أكرم) فغر فاه ، وهو يتمتم فى ذهول :

ــ مستحيل !..

قالها ثم انتزع المسدس من يد (سونيا) دون مقدمات .. ودون أن يدرى أحد منهما ما سيفعله ، كان شعاع الليزر ينطلق من المسدس الذى يمسك به باتجاه المبنى ، ليصيب الحبل نفسه خلف (أدهم) ..

وبالسرعة ذاتها ، راح جسد (أدهم) ، الذى تشبث بطرف الحبل يندفع فى اتجاه المبنى الآخر ..

Looloo
www.looloolibrary.com

بمنتهى القوة ..

والعنف ..

والخطر ..

* * *

فيلم (رجل المستحيل) ..

المشهد 97 كلاكيت أول مرة ..

عقد (موشى) حاجبيه فى غضب ، وهو يحدج (أدهم) بنظرة صارمة ، ثم قال فى بطء :

ــ أنت تُعلب شيطانىّ يا رجل المخابرات المصرى .

رفع (أدهم) أصابع يده ومسح بها مقدمة شعره ، ثم أخرج مرآة صغيرة من جيب سرواله ، تطلع خلالها إلى ملامحه ، قبل أن يضغط بإصبعيه على جلد وجنتيه ليدفع فيهما حمرة الدماء ، ثم أعادها إلى مكانها مرة أخرى .. حينما استطرد (موشى) فى صرامة مفاجئة ، جعلته يقفز من مكانه :

ــ هل تتصور أنك أفضل منى ؟

وضع (أدهم) يديه فى وسطه ، وقال بلوم لا يخلو من رومانسية :

ــ اخص عليك خضتنى ، إيه يا (موشى) مش كدا ..

ثم استطرد وهو يمد يده ليستخرج المرآة مرة أخرى ، كأنما انتبه لعبارته للمرة الأولى :

ــ ثم طبعًا أحلى .. ولا تحب تشوف نفسك فى المراية ؟

رفع (موشى) مسدسه فى وجه (أدهم) بامتداد ذراعه ، وهو يقول :

ــ سأقتلك من أجل هذا يا (أدهم صبرى) .

أجابه (أدهم) ، وهو يطالع يديه ، ويمسح أظافره :

ــ لأ .. ما أحبكش وأنت كدا ..

ثم لان صوته دفعة واحدة ، وقال كأنما يعيش حلمًا :

ــ ثم ليه القتل .. فين المشاعر يا (موشى) ؟.. فين الأحاسيس ؟.. احنا ما اتخلقناش عشان نموّت بعض .. اتخلقنا عشان نحب بعض .. الحب يا (موشى) .. فاهم يعنى إيه حب ؟

هنالك دار (موشى) على عقبيه فى سرعة ، وعالجه بضربة خاطفة بطرف حذائه دفعت به تجاه الحائط ، مما جعل ينهض مسرعًا ، ثم يتبع وهو ينفض التراب عن ثيابه :

ــ وبعدها معاك بقى يا (موشى) !.. لاحظ إنى من أول الفيلم مش عاوز أضربك .. ولا نسيت العلقة اللى عطيتهالك فى (الجليد المشتعل) ؟

قالها ، ثم أشار بإصبعه نحو المسدس فى يديه :

ــ وبعدين بقى لو راجل بصحيح .. ارمِ البتاع اللى فى إيدك ده ، أو هاتلى مسدس أنا كمان ..

ستووووووووووووب

Looloo
www.looloolibrary.com

قالها المخرج بعد أن مزق ما تبقى من شعيرات فى رأسه ، قبل أن يتبع ويداه تمتد نحو أزرار قميصه ، كأنما سيمزقها هى الأخرى :

ــ يا أستاذ (سامر) حرام عليك .. بوظت الشخصية .. بقى (أدهم صبرى) بيتكلم كدا ؟!

أجابه (سامر) بحدة :

ــ إيه يا أستاذ ؟ .. أنت نسيت أنت بتكلم مين ولا إيه .. ولا يمكن تكون محتاج اللى يفكرك ؟ .. أنا (سامر حسنى) يا أستاذ .. عارف يعنى إيه (سامر حسنى) ؟!

يعنى مطرب الجيل .. يعنى الميوزك أورد .. يعنى أمثل بالطريقة اللى تريحنى .. ومش أنت اللى هتعلمنى أمثل إزاى بعد دا كله ..

ثم أشار نحو (السويركى) قائلاً بحدة مماثلة :

ــ إيه يا أستاذ (سويركى) .. بقى أنا وافقت أضحى باسمى وتاريخى ، وإن أنت نفسك تظهر معايا ــ ببواختك ــ فى الفيلم .. وفى النهاية المخرج بتاعك يهزأنى !

تنحنح (السويركى) فى حرج .. بينما أجاب المخرج ، وقد فقد أعصابه :

ــ الشويتين دول تعملهم على حد غيرى يا (سامر) .. مش (نائل حسان) اللى يتقال له كدا .. ولا تكونش فاكر الكام كلمة اللى بتقولهم لجمهور (عمرو الديب) هيخشوا علىّ ..

هنالك جرع (السويركى) آخر جرعة فى زجاجته ، ثم قال بهياج محاولاً السيطرة على الموقف :

ــ وبعدين يا أستاذ أنت وهو .. العطلة دى واقفة علىّ بفلوس ..

ضغط (نائل حسان) أسنانه فى حنق ، ثم تجاهل (سامر) وهو يصرخ فى الجميع :

ــ يللا يا أساتذة .. كل واحد فى مكانه ..

قالها ، ثم طالع وجه (سامر حسنى) ، الذى علت ابتسامة انتصار ، وهو يتخذ مكانه .. مما جعله يصرخ فى الممثل الذى يؤدى دور (موشى) قائلاً :

ــ ركز شوية فى الكلام يا (شعبان) .. وما تنساش الكلام زى كل مرة ..

هنالك أطلق (محمد شعبان) العنان لأنفاسه الحانقة ، وهو يشير له بيده بما معناه « إنجز » ..

فيلم (رجل المستحيل) ..

المشهد 85 كلاكيت ثانى مرة

ــ وبعدها معاك بقى يا (موشى) !.. لاحظ إنى من أول الفيلم مش عاوز أضربك .. ولا نسيت العلقة اللى عطيتهالك فى (الجليد المشتعل) ؟

قالها ، ثم أشار بإصبعه نحو المسدس فى يديه :

ــ وبعدين بقى لو راجل بصحيح .. ارم البتاع اللى فى إيدك ده ، أو هاتلى مسدس أنا كمان ..

Looloo
www.looloolibrary.com

هنالك ألقى (موشى) المسدس من يده بعيدًا ، قبل أن يجيبه فى ثقة :

ــ وآدى المسدس اللى مضايقك ..

ثم مد يده فى جراب طويل معلق حول وسطه ، وأخرج منه سنجتين ، ألقى إحداهما نحو (أدهم) ، الذى التقطها ببراعة ، قبل أن يأتيه صوته الحاسم :

ــ حطها فى جرابها على وسطك ، وإياك تمسكها ، وإلا قطعتك بالسنجة اللى معايا ..

ثم أشار نحو (منى) التى وقفت تتحدث فى هاتفها الجوال فى جانب المكان ، قبل أن يتبع :

ــ ودلوقت زميلتك هتعد لحد ثلاثة ، وكل واحد فينا يهجم على التانى ..

ثم بدأت (منى) العد بـ (واحد) .. ثم (اثنين) .. وقبل أن تلفظ بالرقم الثالث ، سحب (موشى) سنجته ، ثم قفز دون مقدمات فى وسط الغرفة ، قبل أن يخط بطرفها خطًا فوق الأرض ، ويتبع بهياج :

ــ اللى عاوز يموت يعدى الخط داااا ..

هنالك أطلق المخرج صرخة رهيبة ، جمعت حنق وغضب وثورة العالم :

ــ إيه ده !!.. إيه اللى بتهببه ده !!.. جبت الكلام ده منين !!

قالها ثم راح يقفز فى مكانه ، ويخلع فى ملابسه ، ويمزقها .. وهو يطلق صرخات هستيرية كالمجانين :

ــ أنا اللى أستاهل إنى قبلت الفيلم ده .. أنا اللى جبته لنفسى ..

ثم أمسك بورق السيناريو ، وألقى به فى وجه (السويركى) ، الذى تجمد فى مكانه دون مقدمات ، ثم راح يصرخ بالهستيريا نفسها :

ــ أنا خلاص مستقيل من الفيلم ده .. أنت تشوف لك مخرج تانى .. أنا بطلت سينما .. أنا هاجر وأسيب البلد دى بسببك .. ولا أقولك أنا هسيب لك الدنيا باللى فيها ..

وأمام أعين الجميع الذاهلة ، فتح النافذة على مصراعيها ، ثم ألقى نفسه منها ..

بلا تردد ..

* * *

كان جسد (أدهم) ، الذى تشبث بطرف الحبل ، يندفع فى اتجاه البناية المقابلة .. ورغم دقة الموقف والارتفاع الشاهق ، إلا أنه بدا هادئًا كعادته ..

كان قد حدد إحدى النوافذ التى دفع جسده باتجاهها .. ثم راح يقترب منها على نحو مدروس .. وما أن أصبح على بُعد متر واحد منها ، حتى انفتحت فجأة دون مقدمات ، وشاهد جسد المخرج (نائل حسان) الذى اندفع فى الفراغ أمامه لجزء من الثانية ، ثم بدأ فى الهبوط لأسفل ..

هنالك امتدت يد (أدهم) ، وقبض على ثيابه بقبضة من حديد .. ثم ترك جسمه يندفع باتجاه النافذة ، التى حطمها بقدميه ، قبل أن يسقط على أرضية المكان ، ومعه (نائل حسان) ، الذى راح يتنفس بصعوبة ، وهو يجاهد كى لا يفقد الوعى ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وأمام أعين الجميع الذاهلة ، والذين أفقدتهم سرعة الأحداث المقدرة على استيعاب ما حدث ، استعاد (أدهم) توازنه ، ثم راح ينفض الغبار عن ملابسه ، وهو ينتبه للمرة الأولى لطبيعة المكان ..

أما (سامر حسنى) فقد برم ملامحه ، وهو ينظر نحو (السويركى) ، الذى وقف مشدوهًا فى مكانه ، قبل أن يقول بحدة :

ــ وده مين ده كمان اللى خرجنى من حالة التقمص .. إيه يا جماعة مش هنعرف نشوف شغلنا ولا إيه !

ثم نظر نحو (أدهم) صارخًا :

ــ وأنت .. ازاى تدخل من الشباك كدا من غير إحم ولا دستور .. أنت مش عارف إنى بعمل دور (رجل المستحيل) !

تمتم (أدهم) بدهشة :

ــ (رجل المستحيل) !!

أجابه (سامر) مباشرة :

ــ أيوة (أدهم صبرى) .. ما تعرفوش ولا إيه .. شكلك مش عايش فى الدنيا ..

استدار (أدهم) نحو (محمد شعبان) بالدهشة ذاتها :

ــ وأنت ؟

أجابه بخيلاء :

ــ أنا بقى بالصلاة ع النبى كدا بعمل دور (موشى حاييم دزرائيلى) ..

فحصه (أدهم) بعينيه ، قبل أن يتبع ساخرًا :

ــ (موشى) !!

أجابه (شعبان) بتعالٍ ، وهو يعدل من وقفته :

ــ أيوة (موشى) .. ودا ييجى إيه جنب الأدوار اللى أنا عملتها قبل كدا .. أنا اللى عملت دور (السنغالى) و(عبده جوته) ..

أما (أدهم) فقد هز رأسه فى صمت ، ثم استدار نحو (سامر) مرة أخرى قائلاً :

ــ وطبعًا أنت (سامر حسنى) ..

اتسعت ابتسامة (سامر) قبل أن يقول بسعادة :

ــ دا طلع عارفنى .. شكلك عاوزنى أوقع لك فى الأتوجراف .. يللا أوام ما عنديش وقت ..

قالها ، ثم رفع يديه بطريقته المميزة ، كأنما يدفع الجميع مشاركته وهو يرفع عقيرته بالغناء دون مقدمات :

أكتر حاجة بحبها فيكِ هى دى .. أيوة دى .. هيييييييه كله معايا ..

ضم (أدهم) قبضته ، ثم استدار نحو (السويركى) قائلاً بابتسامة :

وطبعًا سيادتك (الـ ....

Looloo
www.looloolibrary.com

قاطعه (السويركى) مباشرة :

ــ أيوة أنا (السويركى) أكبر منتج فى مصـــ ..

ولم يكمل عبارته .. لأن قبضة (أدهم) الغاشمة هوت على وجهـــه .. وقبل أن تنطلق صرخته الرهيبة التى ارتج لها المكان ، كانت قبضته الثانية قد هوت على أنفه فحطمته .. ثم تبعتها الثالثة فى جدار معدتـــه ، الـــذى التصق بعموده الفقرى ..

وفى الثانية التى تليها كان (سامر) و(شعبان) قد انكمشا فى مكانيهما فى رعب ، حينما انقض (أدهم) على (السويركى) كعاصفة من القبضات والركلات .. وهو يردد بصرامة جمدت الدماء فى عروقهم جميعًا :

ــ هذه من أجل السينما المصرية التى أهدرتها ..

ــ وتلك من أجل « آسيا » ، و« مارى كوينى» ، و« رمسيس نجيب » ..

ــ وهذه من أجل « أنور وجـدى » ، و« عـز الـدين ذو الفقـار» ، و« كمال الشيخ » ، و« صلاح أبو سـيف » ، و« يوسـف شـاهين » ، و« داوود عبد السيد » ..

ــ وتلك من أجل « زكى رستم » ، و« أحمـد مظهـر» ، و« شـكرى سرحـان » ، و« كمـال الشـناوى» ، و« رشـدى أباظـة » ، و« عمر الشريف » ..

ــ وأما هذه فمـن أجـل « شـادية » ، و« فـاتن» ، و« سـعاد » ، و« ونادية » ، و« فردوس محمد » ، و« زينات صـدقى » ، و« سـناء جميل » ..

وفى اللحظة التى سقط فيها (السويركى) أرضًا ، كان قد انتقـل إلـى (سامر حسنى) ، الذى تصلب فى مكانه كتمثال ، حينما امتدت يده ككلابت فولاذية وانتزعه من مكانه ، وألقى به نحو الحائط كحجر ، قبل أن يتبـع بنفس الصرامة :

ــ أما أنت ، فهذه لأجل الآداب العامة والرقى والتهذيب ..

ثم دار دورة رأسية مذهلة ، هبط على أثرها أمـام (محمـد شـعبان) مباشرة .. ثم رفع قبضته لأعلى ، وهو يقول بلهجة باردة جمدت الـدماء فى عروقه ، وبللت سرواله :

ــ خمن لأجل من هذه ؟

وقبل أن ينفجر (شعبان) فى البكاء ، هوت القبضة على وجهه كالقنبلة .. وفى اللحظة التى فارق فيها الوعى ، تمتم (أدهم) بحسم ..

ــ لأجل (أحمد زكى) .. وأنت تعرف السبب ..

وفى جرأته المعتادة ، وأمام عينىّ (نائل حسان) ، ألقى نظرة أخيـرة نحو أجسادهم فاقدة الوعى .. ثم اتجه نحو النافذة ..

وقفز دون تردد ..

* * *

يقسم كل من شاهد الموقف أن (أدهم) قفز من النافذة دون أن يُطرف له رمش واحد .. ثم راح يقفز من إفريز لإفريز .. ومن حافة نافذة لأخرى ، حتى استقر على الأرض فى ثوانٍ معدودة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وفى الثانية التى لامست فيها قدماه أرض الشارع ، كان قد قفز فى سيارة قوية ، أمام أعين (نور) و(أكرم) و(سونيا) ..

وما أن بدأت سيارته فى الحركة ، حتى قفز (نور) و(أكرم) فى سيارة أخرى قوية المحركات وانطلقا خلفه .. أما (سونيا جراهام) فقد تطلعت فى المكان حولها ، ثم اختارت سيارة حديثة الطراز ، لها ماركة شهيرة ، قبل أن تقفز فيها بدورها .. وانطلقت خلف السيارتين ..

كان الليل فى لحظاته الأخيرة قبيل شروق الشمس ، ورغم أن شوارع القاهرة قد أوشكت على الاستيقاظ ، إلا أن فراغ الشوارع من المارة فى هذه اللحظة من اليوم أعطى لهم مجالاً للانطلاق بسرعتهم كاملة ..

كانت المسافة بين سيارة (أدهم) وبينهم تزداد تدريجيًا ، حتى أن (أكرم) صرخ فى حنق موجهًا حديثه لـ (نور) :

ـ أما يمكنك أن تزيد السرعة أكثر؟

أجابه (نور) بحنق مماثل ، وهو ينحرف ليتبع سيارة (أدهم) ، الذى انحرف بها فى طريق جانبى :

ـ لاحظ أننا نستخدم السيارات الصاروخية فى المستقبل يا (أكرم) .. وهذه السيارات لم أقدها فى حياتى إلا مرات معدودة .

أما (سونيا جراهام) ..

فلم تكد تنحرف فى المنحنى خلفهم بدورها ، حتى ظهر ذلك الشخص من العدم أمام سيارتها مباشرة ..

كان عجوزًا مفرط النحافة .. وقد تناثر شعره الأشيب فوق رأسه كشبكة عنكبوت غير محددة الملامح .. ثم المنظار الطبى السميك ، الذى يخفى نظراته الزائغة ، ولفتاته العجيبة المتوترة حوله ، كأنما تطارده الشياطين ..

ما يحدث فى هذه الظروف دومًا أن الشخص يهرول فى أى جانب كالمجنون ، فيكون هو ذاته الجانب الذى يختاره سائق السيارة ، ويحدث التصادم .. لذلك فإن أفضل ما تفعله هو أن تسير مباشرة فى طريقها .. وهذا ما فعلته ..

لكن الأحمق توقف فى مكانه !.. وهذا ما لم تفهم له سرًا حتى الآن .. ولم تفطن لما حدث إلا حينما دفعته السيارة عدة أمتار إلى الخلف كدمية هشة .. حتى أنها وبرغم برودها الشديد ، أطلقت صرخة جمعت بين الحنق والرعب ، حينما انفلت منها مقود السيارة ، التى اندفعت لتعتلى رصيف الشارع ، وتصطدم بالجدار فى عنف ..

وفى اللحظات التالية ، كان المكان من حولها قد امتلأ عن آخره بالبشر .. وبالرغم من ذلك ، فقد راحت تطالع نهاية الشارع حيث اختفت سيارتا (أدهم) و(نور) فى قهر حقيقى .. أما الرجال الذين يحيطون بالسيارة فقد تجمدوا فى أماكنهم ، وهم يحملقون فى ملامحها ، كأنما سحرهم جمالها المذهل .. فى نفس اللحظة التى تعاون بعضهم فى حمل جثة العجوز إلى السيارة ، وقد رأوا أن أفضل ما يمكن فعله ، هو أن تنقله بسيارتها إلى أقرب مستشفى .. هى تعرف المصريين فى مثل هذه اللحظات تحديدًا ومن الحكمة ألا تعترض ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وبلا اهتمام حقيقى ، وبحنق وغضب ملأ خلاياها ألقت نظرة على ذلك العجوز ، الذى كان قد تمدد فى مقعد السيارة الخلفى ، فى نفس اللحظة التى جاءها صوت أحدهم :

ــ بسرعة وحياة والدك .. الراجل شكله بيطلع فى الروح ..

ضغطت أسنانها فى غضب ، فى نفس اللحظة التى مد أحدهم يده نحوها وهو يحمل بطاقة شخصية صغيرة ، ويتبع دون اهتمام ..

ــ اسمه (رفعت) ..

-7-

إنه أنا (رفعت إسماعيل) ..

العجوز الثرثار الذى عرفتموه والذى لا يكف عن الـ ...

مهلاً !..

أحدكم أطلق لفظًا سمعته الآن ..

الـ ماذا !!..

لوك لوك ؟!..

أى مصطلح هذا !..

لا أسمح لك ياهذا أيًّا كنت..

جلوب !..

حسنًا حسنًا ..

هدئ من روعك ؛ أنت تعرف أنى أمزح فقط .. يبدو أن البعض منكم لا يميل لروح الدعابة..

لقد تغيرت طبيعة قرائى فى الفترة الأخيرة كما لا يخفى!

ليكن ..

أنا ذلك الـ (اللو..!) إحم ــ إنه السعال كما تعلمون ــ أقصد كما سمعت أحدكم يصفنى ، وإنها لرقة مفرطة منه أن يفعل ..

Looloo
www.looloolibrary.com

يا للجيل الجديد !

لم أبتلع قط تلك المصطلحات التى يفيض بها حديثهم ، فما بالك بأن يصفك أحدهم بالـ (لوك لوك) دون إنذار !..

صحيح أنى لا أعرف أصل الكلمة تمامًا ، ولا العيب الحقيقى فى الوصف بها .. لكن الأمر يتعلق بكم اللزوجة التى يفوح بها اللفظ ولا يخطئها أنف من هو مثلى .. لكن لا بأس ببعض المرونة على أية حال ، على اعتبار أن لكل جيل مصطلحاته ، كما أن الكثير من التعقل لن يضير فى مثل هذه الحالات .. وأعتقد عن نفسى أن هذا أقرب للصواب ، إن لم يكن الصواب بعينه !.. لو سمع أحدكم تلك الزمجرة التى أطلقها من ردد اللفظ منذ قليل لأمّن على كلامه بهلع دون الميل للجدل لحظة واحدة .. كما أنه بحسبة بسيطة لو خضع الأمر لتناسب منطقى كما توشى حنجرته ، فصاحب هذا الصوت مجموعة أخرى من الكتل العضلية ترتدى «بودى» قصير الأكمام يكاد يتمزق ، أو وجه آخر حاد الملامح عبثت الخدوش بتضاريسه .. وهو بطبيعة الحال يسلى نفسه بتقطيع فرو رأسه بموسى الحلاقة إياه ، والذى يحتفظ به بالضرورة تحت لسانه طوال الوقت .. وهو يرحب فى كلتا الحالتين بطحن ذلك الهيكل العظمى الذى هو أنا عن طيب خاطر ..

حسنًا حسنًا !..

هدئ من روعك مرة أخرى يا هذا ، أخبرتك من قبل أنى أمزح !..

لك هذا .. سـ (ألخص) كما طلبت ..

ولكن لا داعى هنا للتعبير الذى أتبعت به عبارتك .. كما أننى لست الـ (عم الكتكوت) الذى تدعيه !..

الجيل تغير حقًا كما ترون بأنفسكم .. وهذا نذير شؤم كما أخبركم وسأظل أخبركم للأبد ..

أعتقد أنه من الأفضل لنا جميعًا أن أبدأ مباشرة ..

* * *

اليوم أحكى لكم عن رعب المائدة .. أدخر بحافظتى قصة جيدة من هذا النوع .. والأمر ليس هينًا كما تتخيلون للوهلة الأولى .. تخيل معى أن أدوات المائدة تتربص بك .. وبمجرد أن تُقرب إحداها ـ ولتكن الملعقة أو الشوكة مثلاً ـ من فمك ، حتى ..هَم .. تعض لسانك دون تردد .. إن هذا مخيف كم ...

جررررر ..

من ألقى هذه العلبة فى رأسى من الخلف !!..

أما من أسلوب أكثر رقيًا للتعبير عن رفضكم للقصة سوى ذلك ؟..

ليكن ..

ماذا عن قصة المنزل الذى كان ينادى المارة بأسمائهم ؟.. أوافقكم أنه تصرف عجيب بعض الشىء ، لكنه يناسب مرضى البارانويا بصورة أو بـ ...

Looloo
www.looloolibrary.com

اللعنة !!..

أخبرتك أن تتوقف يا هذا عن قذف علب العصير الفارغة فى رأسى .. لو مت هنا الآن ــ وهذا سهل جدًا كما تعلمون ــ لتعرضتم للمساءلة جميعًا .. وأشك بجدية أن المخبرين سيرحمون أحدًا منكم .. جميعكم فرص مثالية لإثبات جدارتهم فى هذا الشأن .. ولعلكم تتفهمون ذلك جيدًا !..

حسنًا حسنًا..

سأفكر باقتراح آخر ..

آه ..

ثمة قصة أخرى لدىّ عن شبح أخرق ، ألقته ظروفه العاثرة فى الباطنية ، والواقع أنه ظل يضحك بهستيريا ويترنح فى الطرقات لثلاث ليال متواصلة دون انقطاع ؛ بعد أن لعبت الأبخرة الزرقاء برأسه ..

لن يفوتكم بالتأكيد أن هذه كانت غلطته .. قد يتقبل البعض هناك أن يثير شبح ما رعبهم بأية وسيلة ممكنة ، ما دامت هادئة ، لكن أن ينطلق بالضحك لدرجة تقلق منامهم فهذا هو الخطأ بعينه ــ حتى لو كان شبحًا ــ وهذا ما لم يكن يعرفه هو نفسه وندم عليه طويلاً بعدها .. و..

تقليدية ؟!.

حسنًا ..

ماذا ؟.. تريدون قصة الموزيرة التى وعدتكم بها طويلاً ؟..

يبدو أنه لا مناص من الاعتراف بأنى لم أعرف هذه القصة أبدًا .. تفهمون هذه الأمور .. كنت سأكتفى وقتها إذا وضعتنى الظروف فى مواجهة بعبارة ما ، من نوعية « هيييه.. ضحكت عليكم ! » وكنتم ستتقبلونها .. ولكن يبدو أنى وقعت أخيرًا فى شر أعمالى !..

ما هذا الصوت الحالم الذى يأتى من طرف الحلقة هناك؟

تريدين ماذا ؟

لم أسمع ..

قصة ماذا ؟؟

رومـ .. لا أسمع ..

رومانسية !!

هع !.

لست محل سخرية يا فتاة .. كما أن سلسلة « زهور » ثانى غرفة على الشمال ، وستجدين طلبك بكل تأكيد .. هناك كاتب متحمس لا تتوقف القلوب الوردية عن الاندفاع والارتطام ببعضها أمام عينيه لتتحول إلى نجوم ذهبية تنهمر فى النهاية كشلال .. لكن هذا بكل أسف لا يناسب طبيعة الأمور هنا ..

جلوب ..

هذا الصوت أعرفه ..

كتلة العضلات التى ترتدى البودى القصير مرة أخرى ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

يبدو أنى هالك اليوم هاهنا بصورة أو بأخرى لو لم أطع الأوامر ..

حسنًا حسنًا يا أستاذ ..

سألبى طلب الآنسة .. كما أنه لا داعى لكل هذه الزمجرة ..

هؤلاء الضخام المتحمسون دومًا لصاحبة كل صوت رقيق ــ حتى لو كانت يعسوبًا ــ يثيرون ضجرى ..

لا لا يا أخ ..

لم أقل شيئًا .. إنه السعال كما تعلم ..

إن لدىّ ــ لحسن الحظ ــ قصة ما فى هذا الصدد .. والواقع أنى لم أكن لأعلنها على الملأ قط .. لولا ما قد يحدث لى هنا الآن ..

تبًا لكم !..

تبًا لكم !..

ولتتذكروا دومًا أنى أكرهكم .. أكرهكم .. أكرهكم ..

إن قصتى تبدأ كالتالى هذه المرة ..

* * *

هل أخبرتكم من قبل عن (أم ست أبوها) ؟..

لم أفعل !..

هذا عجيب ..

إنها أكبر مستوطنة لأمراض مزمنة يمكن أن تراها فى حياتك !..

كنز حقيقى لباحثى الأمراض ، الذين يجدون نشوتهم فى الحالات العجيبة التى يندر أن تواجهها مجتمعة فى مخلوق أرضى وحيد .. وفى حالة (أم ست أبوها) كان أقلها يكفى لأن تحظى بلقب « مرحومة » منذ عدة سنوات على أقل تقدير !.. حتى إنك لتتساءل أمامها فى إخلاص كيف تركت أكاديميات البحث الطبى كنزًا ثمينًا كهذا يفر !.. لكن أسرار الكون لا تنتهى !..

* * *

(أم ست أبوها) خادمة عجوز لو جاز لهذا الهيكل العظمى المثالى أن يحظى بهذا الوصف !.. دخل علىّ بها (عزت) ذات يوم من حيث لا أدرى .. وقدمها لى بأسلوب « هذه خلاصة دعاء أمك لك » الشهير ..

بالطبع أطلقت وقتها ابتسامة متوترة وأنا أتابع بوادر الأزمة القلبية التى أعرفها جيدًا والتى لاحت فى معالمها :

ــ « مؤكد أنك أخطأت طريق المستشفى يا (عزت) كما أنى لا أداوى المرضى بدارى ! »

لكنه تنحنح بحرج لم أجد له وقتها ما يبرره ، وهو يمد يده لـ (أم ست أبوها) كى لا تسقط أرضًا من فرط الوهن .. ثم مال نحو أذنى كأنما سيخبرنى خلاصة الحكمة :

ــ « لا عجب أنك أضعت كل فرص عمرك يا (رفعت) ؛ (أم ست أبوها) كانت المربية الخاصة للملك فاروق وأنت فى حاجة حقيقية لخادمة تتدبر أمرك .. »

Looloo
www.looloolibrary.com

كانت المرة الأولى التى أسمع فيها اسمها ..

(أم ست أبوها) !!

يا له من لغز !!

أعتقد أنها تصير فى هذه الحالة (جدة جدتها) أو (جدة جدها) !

الاسم بالإضافة إلى ما به من تعقيد قادم من غياهب الزمن ، ويحمل طابع الحفريات كما ترون .. لكنه يناسبها تمامًا ..

ثم تنبهت بغتة لبقية عبارته ..

ــ « الملك من !!! »

ويا ليت ذهولى وقتها تحول لقبضة أطلقتها فى عينيه وكان ما كان .. لكنى لسوء الحظ لم أفعل !

لكن أمنيات المصائر دومًا متأخرة ..

* * *

والآن ما توقعتموه صحيح تمامًا ..

لأن ما حدث هو أن أصبحت أنا من يهتم بها !..

كثيرًا ما انتفضت فى الثالثة ليلاً على صرخة حادة تشق الليل .. فى المرة الأولى كنت أتململ فى تكاسل ، وأنا أظنه أحد الشياطين يؤدى عمله اليومى فى ملاحقتى .. لأكتشف فى النهاية أنها النوبة القلبية التى هاجمت (أم ست أبوها) .. هناك إذًا شخص ما يفوقنى فى عدد الأزمات القلبية التى يتعرض لها .. هذا رائع ..

عنك عن نظرها الذى فاقت قوته المدى!..

كثيرًا ما اتجهت لتنام ، ففتحت باب الشقة وأغلقته خلفها .. لتأتينى صرختها بعدها من على سلم العمارة :

ــ « الحقونى يا نااااااس .. حرامى سرق السرير! »..

ولا تسألونى لماذا منعتها منعًا باتًا من الاقتراب للموقد ! ، ولا كيف صرنا معًا عملاء شديدى الأهمية لدى محلات توصيل الأطعمة للمنازل .. رغم أنها كثيرًا ما أمسكت بتلابيب عامل « الدليفرى » وهى تصرخ وتتشنج ..

ــ « مسكت حرامى السرير يارفعاااااات » ..

قبل أن يفر الفتى كالملسوع ..

عنك عن عدد المرات التى فوجئ بها جيرانى فى غرف نوم أبنائهم دون مقدمات! ، وعن كتبى وأغراضى التى ألقت بنصفها فى أكياس القمامة وهى تطلق زمجرتها الغريبة بأنه متى سيكف ذلك المأفون الذى هو أنا عن نثر القمامة فى كل مكان !..

فى المرة الأخيرة أنقذت مومياء (بننجم الثانى) ــ كبير كهنة آمون ــ بعد أن تخلصت منها فى أحد أكياس القمامة ، وكانت معجزة حقيقية أن أفعل ! اللعنة !

أصبح ما أخشاه الآن أن أستيقظ لأجدنى عالقًا فى كيس قمامة كبير .. ثم أختنق وحيدًا دون أن ينقذنى أحدهم ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وكلّ وضعف ذاكرتها الذى استفحل أمره ، حتى صرت أتساءل عما تحويه هذه الجمجمة المتغضنة ..

تتساءلون لماذا أحكى كل هذا ؟

حسنًا أيضًا ..

الأمر هنا لا يتعلق بحمى الثرثرة التى يرانى بعضكم أدمنها ..

فكل هذا من الممكن أن أبتلعه وأصمت باعتباره لن يضيف الكثير لجملة الكوارث التى أتعرض لها كل ثانية دون تذمر ..

لكن ما حدث بعد ذلك كان كارثة من العيار الثقيل .. كارثة من النوعية التى لن تسير حياتك بعدها كما كانت لو أن أحدكم يفهمنى..

لقد اكتشفت أن (أم ست أبوها) ويا للكارثة ..

تو ..

حى ..

بو ..

نى ى ى ى ى !!!!

* * *

بدأ الأمر بتلك النظرات الشاردة المحملقة فى العدم كلما رأتنى .. تعرفون جميعًا عبارات التساؤل هادئة النبرات من نوعية « مه ؟! » إياها ، والتى يرتبط بكل سؤال يصحبها هز الرأس ومدها للأمام .. إنها متلازمة كيوبيد الشهيرة التى لم ينجُ منها أحد فى فترة المراهقة ..

ماذا ؟

تتعجبون كلمة مراهقة !!

أنتم لم تخطئوا الكلمة على أية حال ، فقد عنيتها تمامًا بالمناسبة ..

صحيح أنها بدأت بعد التسعين أو هذا ما أظنه ــ على اعتبار أنى لا أجاملها فى ثلاثة أو أربعة عقود زمنية أخرى ! ــ لكن من قال إن (أم ست أبوها) كانت لا تمر بفترة مراهقة شديدة التوهج !

* * *

أن يحبك شخص ما ، فهذه فكرة محتملة ..

أن يحمل هذا الشخص اسم (أم ست أبوها) ، فهو قدره ..

أن يكون هو مربية الملك (فاروق) نفسه ، فلهذا خُلق الليمون الذى نعصره على أنفسنا ..

لكن أن يتطور الأمر على هذا النحو المخيف ، فهذا هو الجحيم بعينه ..

* * *

فى الأيام التالية كانت الأمور قد اتخذت مسارًا مختلفًا ..

الموسيقى الحالمة انتشرت كالوباء فى المكان .. كنت أسمعها فى كل وقت دون انقطاع تقريبًا .. والحقيقة أنى كنت أتحامل على نفسى ببسالة منقطعة النظير دون أن أشكو لحظة واحدة .. لكنى لم أفطن أبدًا أنها كانت نذيرًا للويل القادم ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أغنيات اللوعة التى أمقتها هبت بعد ذلك كالعاصفة !..

أعترف أنى لست ذلك الجلف .. لكنى لا أكره شيئًا كما أكره الأغنيات من هذا النوع .. هنالك لا يكف المطرب عن صب جام غضبه ، ونعت من يحبه بكل الخبائث بدءًا من القسوة والظلم ومرورًا بالسادية والتوحش .. حتى ليخيل لك أن وزر قنبلتى هيروشيما وناجازاكى سيقع على عاتقيه فى نهاية الأمر !

ولأنى أحد القساة الذين يمكنك أن توقع على عاتقهم وزر إعصار « توسونامى » بضمير خامل ، فقد راحت هذه الأغنيات تأتى على البقية الباقية من أعصابى .. ربما ليقينى بمن توجه إليه هذه الاتهامات !..

العجيب أنى كثيرًا ما كنت ألمحها تلاصق مشغل أسطوانات عتيقًا انتقل لدارى معها ، وقد تحولت عيناها لكرتى دم من شدة البكاء .. ولا تكف حينها عن هز رأسها باقتناع ، والهمهمة بذات الثقة الحزينة الشاردة :

ـ « قولى يا ست (منيرة) قولى .. كلامك حكم »

بالطبع كانت تقصد (منيرة المهدية) ، لكن من قال أن هذا يعنينى ؟!

* * *

فى اليوم التالى .. وكانت ما تزال تجلس بالطريقة نفسها .. كنت أمر أمامها منتقلاً من حجرة لأخرى .. حين انطلق هدير مدو من جهاز كاسيت آخر بجانبها كقنبلة ، مع موسيقى عنيفة لا تختلف عن نذير الغارات :

بينى وبينك خطوة ونص ..

ولا بتسلم ولا بتبص ..

ما تسأل عنا ..

ياللى هاجرنا !

لا أدرى كيف حدث ما حدث !.. فقد ألقانى فزع المفاجأة قرابة الأمتار الثلاثة فى الاتجاه الآخر ..

لم يبدُ عليها التأثر بأية صورة ، بينما كنت أنا أشتعل غضبًا !..

وبرغم أنى كنت ألهث فى مشقة وقد شعرت بضرورة أقراص النيتروجليسرين ، إلا أنى اندفعت نحو جهاز الكاسيت ولطمته بيدى فى عنف .. بما يكفى لأن يصمت تمامًا .. أما هى فقد حملقت فى ملامحى كالمصدومة ، قبل أن تتبع وقد سيطرت عليها روح (ماجدة) فى الأفلام القديمة :

ـ « متوحش » ..

ـ « متوحش » ..

ـ « متوحش » ..

ثم غادرت المكان أقرب للعدو .. وبالرغم من أنى واريت صدرى فى جزع حقيقى ، وقد تنبأت أنها ستتناوب لكمى مع عبارة « بكرهك بكرهك » ، إلا أنى كدت أصرخ فيها مخلصًا أن تحاذر .. لو تعثرت فى السجادة للفظت أنفاسها على الفور ، ولانهالت علىّ الكوارث بعدها من كل صوب !

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

كانت هناك دمية حمراء صغيرة بجوار فراشى حينما دخلت الغرفة ..

اللعنة !..

هل وصل سحرة الفودو إلى هنا ؟

إن هذا يبعث على توجس من نوع ما ..

لكن ما حاجة السحرة لهذه الدمية ..

سحرة الفودو يتعاملون بأنواع أخرى من الدمى وليس هذا الـ « دبدوب » الأحمر .. وأنا أعرفهم جيدًا ..

ثم ماذا عن هذه الورقة بجواره ؟..

هل ثمة رسالة شيطانية بها ؟

الحكمة تقول إذا أردت أن تعرف ما بالورقة فليس أفضل من أن تقرأ الورقة ؟..

لم تسمعوا هذه الحكمة من قبل ؟.. حسنًا ، يبدو أنى لم أسمعها أيضًا .. لكن لا بد من حكمة ما تقول شيئًا باستمرار ..

هنالك خطفت الورقة وقرأتها دون تردد ..

« هابى فالانتين (رفعوتة) .. »

اللعنة ..

اللعنة ..

اللعنة ..

بل ألف ألف لعنة ..

لست غبيًا كى لا أفهم ماذا تعنى رسالة كتلك لهذا الـ (رفعوتة) الذى هو بلا شك أنا .. ولا لما كان منطقيًا كما جعلت منى (رفعوتة) أن توقع فى نهاية الرسالة باسم (بوبو) ..

(بوبو) !!.

(بوبو) !!!.

اللعناااااااااااااااااة ..

الآن أشعر أن الوقت قد حان لصبغ شعرى .. كما أن حف شاربى من جذوره صار ضرورة ملحة .. ولا بأس بأن أرتدى بودى يبرز عضلات ذراعىّ وصدرى ــ أو ما تبقى منهما ــ ، ثم أصير ذلك الرومانسى الذى يحملق فى الغروب ويتنهد طوال الوقت وهو يهمس للمساء ، ويرمق الكون حوله بابتسامة حالمة لا تنتهى ..

إننى أحيا أسوأ كوابيسى لا محالاااااااااااااااة !

* * *

كان هناك كيوبيد أخرق طاعن فى السن وربما مصاب بالحول أو الزهايمر ..

و(أم ست أبوها) ..

Looloo
www.looloolibrary.com

و(رفعوتة) ..

تلك كانت قواعد اللعبة ..

والأدهى أنى كنت مطالبًا بألا أجن !..

* * *

كل شىء كان يوحى بالتوجس منذ دسست مفتاح الباب بالرتاج الخاص وحتى بدأت أخطو أول خطوة بداخل الردهة المظلمة ..

تحسست الجدار بحثًا عن مفتاح النور وبداخلى ترددت العبارة إياها ..

« فليقطع ذراعى لو أن شيئًا لا يدور هنا ! »

ضغطت المفتاح مرتين دون فائدة .. وراودنى إنذار خفى بأن أغادر الشقة على الفور .. لكنى لم أفعل .. دليل آخر على أنى سأظل ذلك الأحمق للأبد .. وهذا مفروغ منه .. مددت قدمى وخطوت فى اتجاه الداخل قبل أن ..

ــ « بخ خ خ خ خ »

ثم برز ذلك الشبح من الظلام ..

ــ لا يسألنى أحدكم عن الـ « عاااااااااااااااا » الرهيبة التى انطلقت من حنجرتى .. ولا عن أثاث المنزل الذى راح يتهاوى ويتبعثر أمامى ذات اليمين وذات اليسار ، وأنا أتشبث بكل ما تصل إليه يدىّ بعدما أسقط على الأرض فى محاولة للوصول للباب !!..

الأبواب هى آخر ما تقع عليه عيناك فى هذه اللحظات .. هذا بديهى !. لذلك فقد انطلقت كالمحموم عبر غرف المنزل .. والشبح يزحف خلفى بذات التؤدة .. تعرفون تلك اللحظة حين يربح شعور « لن تتمكن من الفرار » الرهان !.. هكذا وجدتنى فى النهاية محاصرًا بأحد الأركان ..

كان يحمل شمعة بيده ينعكس نورها المتراقص على وجهه العظمى المخيف .. والذى حرص لسبب أو لآخر على ملئه بالأصباغ .. هذا المشهد متكرر .. كل الأشباح لهم وجوه عظمية ويحملون شموعًا ، فلا جديد هنا !.. أغمضت عينىّ وانكمشت ، من قال إن سياسة الفئران المذعورة ليست سليمة دائمًا ؟!..

لم يعد يشغلنى الآن سوى كيف سأوارى خيط المياه الساخن الذى اندفع من تحتى .. إن كرامتى تأبى على أية حال أن يرانى أحد على هذه الصورة حتى لو كان شبحًا !..

ــ (غيفعاااااات) .. (غيفعاااااات) ..

هنا اكتشفت للمرة الأولى أن الشبح « ألثغ » فى حرف الراء ، بالرغم من أن هذا النداء يذكرنى بالنداهة بصورة أو بأخرى .. فلأستسلم لقدرى الآن .. ولأمت دون مقاومة ..

ــ (غيفعاااااات) .. (غيفعاااااات) ..

لكنى لم أفتح عينىّ .. أو ليحدث ما يحدث لكنى لن أفتح عينىّ ..

ــ أنا يا (رفعت) .. أنا ما تخافش !

Looloo
www.looloolibrary.com

لم يمنعنى الارتجاف من تمييز الصوت الذى بدا لى مألوفًا هذه المرة ، ففتحت عينىَ ببطء ..

ـ « اخص عليك يا (غيفعت) كده بوظت المفاجأة »

اتسعت عينياى عن آخرهما كمريض « جويتر» مثالى ، ورحت للحظة أحملق كالمشدوه فى (أم ست أبوها) التى اكتشفت للتو أنها من تقف أمامى .. وأنا أتمتم ببلاهة ..

ـ « غيفعت !!! »

ثم كدت أهتف بلهجة أقرب للعويل ..

ـ « وأنا من كان يستنكر (رفعوتة) !!! »

لكنها أجابتنى بأنفاس متقطعة تكاد تتوقف ..

ـ « بذمتك مش كده مثيغ أكتغ ؟! »

ازدردت لعابى للمرة الثانية ..

ـ « مثيغ !! »

لم تمنحنى الفرصة ، وهى تربت ببطء فوق رأسها ..

ـ « وإيه غلبك فى التسغيحة ؟ »

اتسعت عيناى هذه المرة أكثر حتى خشيت بجدية أن تسقط إحداهما أو يسقطا معًا من محجريهما وأنا أحملق فى رأسها .. وازدردت لعابى وأنا أتساءل بداخلى عمن قال إن (ميدوسا) أسطورة !!

لكنها لم تعطنى الفرصة وهى تلفت انتباهى لردائها العجيب بذات الدلال المريع ..

ـ « والفستان !! »

تقلصت ملامحى هذه المرة وأنا أتابع النسيج المخيف الذى ترتديه .. مومياء (آنوبيس) حقيقة إذًا وهذا ما اكتشفته الآن !..

بينما اندفعت هى بخيلاء :

ـ « دا هدية من (توفيقة) هانم .. »

لم أكن قد استفقت من الصدمة بعد .. لهذا لم أسألها عمن تكون هذه الـ (توفيقة) ، لكنها استدركت ..

ـ « (توفيقة) هانم أم الملكة (نازلى) مغاة الملك (أحمد فؤاد) يا (غيفعت) .. إيه مش عاغفها ؟ »

ثم حاولت هنا إطلاق العنان لابتسامتها .. لكنكم تعلمون مشاكل طاقم الأسنان فى مثل هذه الحالات .. رغم ذلك قالت دون حرج :

ـ « أهدتهولى قبل ثوغة 19 بيومين .. الله يغحمك يا (توفيقة) هانم »

ازدردت لعابى فى عدم تصديق ؛ كنت أعرف أنها بلغت من العمر عتيًا ، لكن ليس إلى درجة (توفيقة) هانم أم الملكة (نازلى) مغاة ...أأ.. أقصد زوجة الملك (أحمد فؤاد) !.. إن هذا يبعث على قشعريرة من نوع ما ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ازدرت لعابى بفزع حينما خلت روح (توفيقة) هذه تحوم فى المكان !.. هذه ضريبة الخيال الخصب كما تعلمون !.. لكنها لم تعطنى الفرصة بدورها كعادتها ، وهى تميل نحوى بدلال وتتصنع خجلاً لن تظهر حمرته فى معالم وجهها مهما حاولت :

ـ « ها يا (غفعت) .. هتيجى تكلم بابا إمتى؟! »

هذه المرة اتسع فمى حتى كاد فكى السفلى يسقط بلا رجعة وأنا أتمتم بذهول :

ـ « من !! »

أجابتنى بذات الخجل ..

ـ « بابا يا (غفعت) .. »

تخشبت ملامحى من هول الصدمة .. وتمتمت بأحرف ذاهلة :

ـ « أما زال أبوك على قيد الحياة !!! »

لكنها تمادت فيما تقول دون أن تنتبه لحظة لعباراتى .. لم أدر تجاهلتنى متعمدة أم أن ضعف سمعها قد وصل حقًا لهذه الدرجة ؟

ـ « أنت عاغف يا (غفعت) إن الناس بدأت تتكلم عننا .. »

لم يمنعنى ذهولى من التساؤل بصوت أقرب للصرير هذه المرة ..

ـ « عننا ؟؟؟!!!!! »

لوت رقبتها فى خجل مخيف ، وأشاحت بوجهها ثم همست بصوت أقرب للفحيح :

ـ « أنت عاغف إنك عازب وأنا آنسة وألسنة الناس ما بتغحمش يـا (غفعت) !»

ـ « آآآنـــــ...!!! »

ـ « أقول لبابا يستناك إمتى يا (غفعت) ؟ »

ـ « !!!.... موووو..... عا .... همف همف .. »

الأمر هنا لم يعد يتوقف عند قوة الإبصار لديها .. بل تخطاها لمقـدرتها على السمع ، وهى تستمر دون توقف :

ـ « إيه غايك فى يوم الخميس ؟ »

ثم استدركت بذات التفكير :

ـ « ولا أقولك بلاش الخميس .. عشان ده أول خميس فى الشهغ وكلنا متعودين نسمع أغانى الآنسة (أم كلثوم) فى بيت العيلة مـع جـدى زى زمان ، وجدو بيزعل أوى لو ... »

جدو !!!

لم أسمع باقى عبارتها ولا تسألونى لما !. من قال إنه للعقـل البـشرى طاقات يمكن اختراقها كان واهمًا !!.. وقد قدمت بنفسى الدليل على ذلك ..

لم تخطئوا تفسير صوت الارتطام الذى سمعتموه ، فقـدان الـوعى الآن باختصار كان أقل ما يمكن أن يفعله أى شخص يحترم نفسه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ « إيه المية اللى تحتك دى يا (غفعت) .. وأنا أقول الغيحة دى جاية منين !! ياااى .. »

* * *

أن يحبك شخص ما فهذه فكرة محتملة ، حتى لو كان يحمل اسم (أم ست أبوها) .. عنك أن يكون هو مربية الملك (فاروق) نفسه !.. لكن أن يتدخل هذا الشخص فى حياتك على هذا النحو السافر فهذا هو اللـ ....

* * *

لقد بدأت دون مقدمات تنتقد أسلوب معيشتى ، وتتهمنى بأنى ذلك الرقيع الذى يضيع وقته فى قراءة الكتب ، بينما الأموال تقف هناك على الأبواب فى انتظار من يحصدها .. وأن من يمتلك خبرة التعامل مع (بسم الله الرحمن الرحيم) مثلى لهو شخص يملك كنزًا دون أن يدرى !.. لهذا راحت تنظر لى كلما رأتنى ذات النظرة وهى تحرك شفتيها بأسلوب التغمز إياه ، بعد أن تمصمص شفتيها الضامرتين ببراعة ، ثم تفرط بعدها فى استعمال كلمة « عاطل » بكرم مثير للحنق .. ولما حاولت أن أفهمها أنى لست ذلك العاطل الذى تدعيه ، وأنى أستاذ أمراض دم محترم .. حدجتنى وقتها باستهتار شديد ، وقالت بقرف :

ـ « استكردنى ياخويا استكردنى .. اللى مشفنالك عيان ولا شفتك ماسك حتى سرنجة ! »

هذه إهانة .. نعم هذه إهانة .. وهذا ما أرفضه دومًا .. لكن العجيب أنى كنت أبتلع كلامها وأصمت !..

لم أدرِ وقتها كم كنت مخطئًا !.

لأن ما حدث فى الأيام التالية كان غير محتمل ...

* * *

إن عبارة من نوعية « البت عليها عفريت يا عم الشيخ » لم تكن لتخطئها أذناى .. ولا أن أسىء فهمها .. وكان من الممكن أن تمر بسهولة لولا نصفها الأخير!.. بالرغم من صاحبتها التى اندفعت نحوى مع أول خطوة خطوت بها داخل شقتى ، وانحنائها على يدى وتقبيلها بسرعة لم تمكنى من اتخاذ أية ردود أفعال .. إلا أن هذا لم يمنعنى من الحملقة فيها بنظرة حاولت خلطها برزانة غاضبة وأنا أجيب ..

ـ « أنا أستاذ فى أمراض الدم ولست من تزعمين أنه (عم الشيخ) يا حاجة ! »

لكنها اندفعت كجرادة نهمة :

ـ « ما تآخذنيش يا عم الشيخ .. اللى ما يعرفك يجهلك يا أخويا ! »

هنالك التفت للمرة الأولى إلى بهو منزلى الذى امتلأ عن آخره بأشخاص غريبى الهيئة راحوا يتفرسون فى ملامحى بتوجس ، قبل أن أهتف بلا وعى على أثر المفاجأة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ « من هؤلاء !! »

لكنها اندفعت مرة أخرى بسرعة صرصور حقل يعانى انفلاتاً فى مركز الكلام :

ـ « دا جوزى الأسطى (سيد) وأخوه الأسطى (سعد) وابنه الأسطى (سعيد) ومراته (سيدة) وجوز أخته الأس ... »

صرخت بلا وعى ..

ـ « كفى !! »

لكنها لسوء الحظ لم تفقد مقدرتها على الكلام على إثر صرختى واندفعت نحو يدى التى سحبتها على الفور مرة أخرى بلا توقف :

ـ « ما سألناش حد عنك إلا وشكر فيك ، وعاد وزاد فى كراماتك وقال لنا أن سرك باتع ومفيش عفريت بياخد فى إيدك غلوة .. والنبى يا مولانا البت هتروح مننا إلهى لا يسيئك وكل طلباتك مجابة » ..

مولانا !!.. تبًّا ..! الأمور تزداد سوءا هنا .. ويبدو أن اليوم لن ينتهى دون أن أقدم على جريمة !..

جاءنى صوت (أم ست أبوها) التى التفت لوجودها فى المكان فى هذه اللحظة للمرة الأولى ..

ـ « خلاص خلاص يا (أم سيد) اعتبرى موضوع بنتك منهى .. »

قالتها وهى تشير بثقة نحو (أم سيد) التى اندفعت نحوها بدورها وهى تخرج رزمة من أوراق النقد ألقتها فى يدها ، ثم اندفعت نحوى مرة أخرى قائلة بأسلوب صرصور الحقل إياه :

ـ « ربنا يستر عرضك يا مولانا .. إلهى ما يرقد لك جتة .. ربنا يديك ما يحوجك يا رفعت يا ابن .... » ..

هنالك مالت علىّ بإلحاح ..

ـ « إلا هى أمك اسمها إيه يا مولانا ؟! »

ـ تبًّا !.. تبًّا !.. تبًّا !.. هذا فوق الاحتمال .. لو أن هذه المأفونة تتخيل أنى سأبوح لها بأن اسم أمى الحقيقى هو (ستوتة) ، حتى لو كان فى سبيل اكتمال دعائها لى فهى حقًّا واهمة !.. فلأمت أولاً أو لتمت هى دون أن يعرف أحدهم ذلك السر ..

* * *

فى الأيام التالية كنت قد آمنت بخطورة وجود (أم ست أبوها) ، وتيقنت بما يدع شكًّا من ضرورة التخلص منها .. وهذا ما عكفت عليه بعدها ..

* * *

لم أنتوِ بالقطع ما دار بخلدكم ..

لست قاسيًا حتى هذه الدرجة لأقتلها ، رغم أن الأمر شديد الإغراء ..

www.looloolibrary.com

كل ما أنا فى حاجة إليه هنا درس قاس يدفعها لمغادرة الدار بلا رجعة ..

ولكم آمل فى ذلك ..

* * *

الفئران ..

فى المرة الأولى عدت للدار ومعى ثلاثة كبيرة الحجم منها ، أطلقتهم فى الصالة دون جلبة ، ثم تسللت خارجًا بعد أن تأكدت من وجودها فى المطبخ ..

أعرف جيدًا تأثير تلك المخلوقات السحرى على النساء .. كما أعرف يقينًا أن أية امرأة قد تنازل تنينًا خرافيًا ، لكنها تكتفى مع أصغر فأر فى العالم بأن تملأ الدنيا صراخًا وعويلاً !.. القواعد صارمة هاهنا ، و(أم ست أبوها) ليست استثناء ، على اعتبار أنى أميل لكونها أنثى برغم كل شىء ..

لا ريب أنكم تشاركونى الثقة الآن فى أن ثلاثة فئران بهذا الحجم قادرة على إفزاع قطيع من النسوة ..

لكنى عدت فى نهاية اليوم لأكتشف شيئين .. أولهما وثانيهما أن ما حدث لا شىء !

فقط وجدتها تجلس إلى المائدة ثم أشارت نحو الساعة على الحائط ببرود وأشارت بعدها نحو المقعد المواجه لها بطريقتها الأرستقراطية المتبرمة .. والعجيب أنى انصعت لها دون كلمة أخرى .. الأعجب هنا أنها لم تتحدث فى شأن الفئران بكلمة واحدة !

رحت بعينىّ أجوب المكان وأنا أبحث عن أية آثار للفوضى حينما انتبهت لطعم ما ألوكه فى فمى للمرة الأولى .. من الصعب أن أميز طبيعة هذا الشىء بدقة رغم غرابته .. حينما رفعت رأسها نحوى ، وهى تتلذذ بما تأكله ، وتقول بانتشاء مفاجئ :

ــ « طعمها جنان الأرانب اللى أنت جبتها دى يا (رفعت) .. بس مش كنت جبتهم سمان شوية ! »

ثم حدقت فىّ بلوم :

ــ « ثم إيه خلاك تطلقهم فى الصالة دا أنا غلبت على ممسكتهم ! »

أووه

الـــ ... !!

الأرا ... !!!

الـــفئـــ ... !!!!

الـــ ماذاااااا؟؟

لست .. وحدى .. من .. فهم .. الآن .. طبيعة .. ما .. آكله ..

ــ « ياااااااااااااع » ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الأمر إذًا أصعب مما كنت أتخيله ، ولابد لى ما دمت قد قررت خوض اللعبة من فكرة أكثر حسمًا فى المرة المقبلة ..

* * *

الثعابين ..

لهذه المخلوقات الرهيبة طاقة إفزاع مدهشة .. ولا خلاف على أنه ما من أحد لا يهابها بصورة أو بأخرى .. وأعتقد بعد التجربة السابقة أن مهمة إفزاع (أم ست أبوها) لدرجة أن تفر من المكان بلا عودة يحتاج لأسلوب أكثر حسمًا وليكن ما يكون ...

ما من شىء إذًا يفوق الثعابين لأداء هذه المهمة على الوجه الأكمل ..

ممم ..

ماذا عن ثعبان البوا؟!

أعتقد أن هذا أفضل ما يمكن أن يفى بالغرض هاهنا..

إن هذا اختيار موفق دون امتداح كثير فى نفسى .. فهو لن يقتلها لأنه غير سام بالمرة .. فقط ستكفى نظرة واحدة إليه لأن يشرع أكثر أهل الأرض شجاعة فى العدو دون توقف ليومين أو أكثر لحظة واحدة على أقل تقدير ..

علّكم الآن تقرون شرى .. والواقع أنى كنت قد بدأت أظن فى نفسى المثل وقتها ..

ولكن ...

* * *

ــ « (رفعت) .. لازم تتصرف وتسد الشقوق فى جدران البيت ده .. تصدق أن ثعبان اتسحب منها ودخل عليا ؟ بس على مين ؟.. وحياتك سويته ع الجنبين » ..

قالتها ببساطة مثيرة للفزع ، وهى تشير ببساطة أكثر نحو جثة البوا العاصرة التى يفوق طولها المترين ، والتى تبدو من معالم التهشيم فى كل ملليمتر من جسدها أنها قد عانت تعذيبًا رهيبًا قبل أن تفارق العالم ..

لا أدرى كيف ساعدها إبصارها على رؤيته حتى !.. ولكن كل ما أذكره أنى قد منعت نفسى من فقدان الوعى بمعجزة ..

* * *

لم تعد لدىّ إلا وسيلة واحدة ..

ولم أكن لألجأ إليها لولا الظروف .. ملاكى الحارس ، على اعتبار أن الملائكة ضيقة العينين ، وتملك بشرة صفراء ..

(هن ــ شو ــ كان) ..

وأعرف أين سأجده ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

كان يقف عارى الصدر فوق خشبة مسرح ضيق فى مولد (البدوى) .. بينما راح عجوز العـرض إياه ، والـذى يحملق فى كل شىء إلا تفاصيل العرض ذاته ، يردد بصوته المتعجل الجهورى :

ـ « قرررب قـرب قـرب .. لا سحر ولا شعوذة .. شوف الشيكوبيكو العجيب .. اسمه (هن ـ شو ـ مرجان) .. لقاه الصيادين على شـواطئ البحر المتوسط .. الدكتور (زويل) .. (أحمد زويل) بنفسه .. ابن مصر البار .. عمل له عملية جراحية عشان يقدر يتكلم .. »

تمتمت لنفسى كالأبله :

ـ عملية جراحية !.. (زويل) !!..

لكنه أتبع بذات الثقة :

ـ جبناهلكم النهاردة هنا عشان نفرجكم عليه .. وكله باتنين جنيـه .. يا بلاش !.. واللى شاف المرادى يقول لاللى مشافش ..

كنت قد فقرت فاهى وأنا أجلس بين الحضور ، الذين راحوا يفتشون فى جيوبى علانية بحثًا عن حافظة النقود !.. لا أصدق أن هذا هـو (هـن ـ شو ـ كان) الذى عرفته .. لكن حينما سألته قبل بـدء العـرض أجـاب بلهجته :

ـ « أكل الإيش مور يا (رفاااات) »

ـ « ألم تجد عملاً آخر يا (هن ـ شو ـ كان) »

ـ « آدى الله .. و .. آدى .. هيكمتو .. يا (رفاااات) »

ـ « الموالد يا (هن ـ شو ـ كان) !!! »

ـ « موس .. أهسان .. ما اكعد .. سايئ .. يا (رفاااات) »

ـ « صايع !! »

ـ « آنا .. موس .. لاكى .. اللضا .. يا (رفاااات) »

ـ « أعرف أنك رجل أعمال ناجح يا (هن ـ شو ـ كان)!! »

ـ « البورسا .. ضاعت .. كول .. قولوسى .. يا (رفاااات) »

هنالك تحول عجوز العرض نحوه وسأله بآلية ، حاول أن يحـشد فيهـا أكبر قدر من الـ ـ « سسينس » دون فائدة :

ـ « بتاكل يا (مرجان) ؟ »

ـ « لأ »

ـ « بتشرب يا (مرجان) ؟ »

ـ « لأ »

ـ « أومال عايش على إيه ؟ »

ـ « آصير الفواكيه »

اللعنة ! هذا الكلام سمعته من قبل .. فى كل مرة كان يُقام فيهـا مولـد (سيدى المكسـوف) فى بلدتنا الصغيرة كنت أسمعه يحذافيره !.. كنت

www.looloolibrary.com

وقتها صغيرًا وأصدق هذه الترهات ، لكن الآن !.. ومن ؟.. (هن ــ شو ــ كان) بنفسه !..

هنالك كان عجوز العرض يسأله :

ــ « بتعرف تعمل إيه يا (مرجان) ؟ »

أجابه (هن ــ شو ــ كان) بالعبارة التى قاموا بتحفيظه إياها ببراعة :

ــ « بزبط التزابيط .. وأكلد الوطاويط .. وأنط فوء الهيط » ..

عاا .. اللعنة !.. (هن ــ شو ــ كان) توقف أرجووك ..

ــ « بتعرف تعمل إيه تانى يا (مرجان) ؟ »

هنالك أجابه (هن ــ شو ــ كان) دون تردد :

ــ « آجين الفلاهة »

لك أن تتخيل الهلع الذى أصيبت به حينما سمعت الرد ، « عجين الفلاحة » !!.. يا للكارثة !.. لو سمع رهبان التبت عبارته لعم الويل ..

ــ « بتعرف تطير يا (مرجان) ؟ »

ــ « آيوا »

ــ « ورى الجمهور يا (مرجان) »

* * *

أما الأخ (وين ــ بياو) فكان يثير دهشتك بخاصية الارتفاع فى الهواء حين يصل إلى حالة النرفانا الكاملة .. ، كان ينظر للأرض فى تركيز وقد قطب جبينه .. ثم فجأة ترتفع قدماه عن الأرض ببطء شديد قامة أو قامتين وهو فى غيبوبة عميقة .. ثم إنه ينزل إلى الأرض ببطء بعد دقائق ، ويحدثك بكلمات غامضة يقولون إنها (أسرار الكون) ..

وكنت تتساءل عن الكيفية التى يصل بها المرء إلى هذه الدرجة العالية من الشفافية .. فكانوا يقولون لك :

ــ هو مستو عالٍ جدًا من النقاء لا يصله سوى قليلين ، والسر لا يفصح عن نفسه لكنك ستجد نفسك محلقًا ذات يوم .. فقط إذا ما تخليت عن ماديتك(*)..

* * *

والآن كان الجميع يحملقون بأعين متسعة فوق مستوى المسرح الصغير بقامة أو أكثر ، حيث راح (هن ــ شو ــ كان) يستمر فى الارتفاع ..

فى اللحظة التالية ارتفع صوت خشن من نهاية المكان ، ثم هب (شحتة) من مكانه .. شاب صغير يخضع لنظرية (عضلات ، بودى مشدود ، سلسلة بالرقبة) .. وهو نوع شائع جدًا فى هذه الأماكن ..

ــ « هأوأوأو .. قديمة .. »

(*) راجع سلسلة ما وراء الطبيعة ، العدد (11) ــ الكاهن الأخير

Looloo
www.looloolibrary.com

هنالك تعكر سطح البحيرة الهادئ .. وانتقلت أعين الجميع تلقائيًا إلى حيث يقف .. أما عجوز المولد فلم يعنه إلا احتواء الموقف ، لذلك فقد التفت نحوه وهو يشير بيده ، حينما أطلق (شحتة) لأحباله الصوتية العنان :

ـ « فيه حبل متعلق فوق ومحدش شايفه .. أنا شايف الحاجات دى عاليوتيوب .. هاع هع .. »

يا للمأقون !.. هززت رأسى وأنا أتمتم بها لنفسى ، مدعو الفهم لن ينتهوا أبدًا من هذا العالم !.. لكن الأصوات تضاعفت دفعة واحدة :

ـ « الناس دى بتنصب علينا يا جدعان ، عاوزين فلوسنا .. »

هززت رأسى بقلة حيلة ، أنت تشاهد عرض « نيرفانا » حقيقيًا ، لن يحظى سادة العالم بمثله ، ولو بآلاف أضعاف المبلغ الذى تجادل فيه أيها الساذج ..

لكن الأمر كان قد تحول لعاصفة حينما قفز الفتية المتحمسون إلى خشبة المسرح الصغير ! ، كنت أحملق فى جسد (هن ـ شو ـ كان) ، الذى خرج عن حالة النيرفانا دفعة واحدة ، وهوى دون مقدمات ، ليجد نفسه مع عجوز العرض فى أيدى الجموع ..

وفى اللحظة التالية ارتكب أحدهم الخطأ الأكبر ، حينما لطم (هن ـ شو ـ كان) على وجهه ..

* * *

ـ « تشا سارايانا .. »

يقولها وهو يباعد ما بين ساقيه مثبتًا قدميه بقوة على خشب المسرح الصغير ..

ـ « سارايانا كما تراها تراها فقارًا » ..

يقولها (شحتة) بسخرية ، وهو يضع كفه على أذنه كأنما يدندن ..

ـ « جوانغ سارايانا »

يقولها وهو يفتح ذراعيه المشدودين المتوترين مباعدًا أصابعه كمخالب النمر ..

ـ « جوانغ ؟ .. « جوانغ باتجوغ » هوع هيع هاع »

يقولها (شحتة) ثم يضحك بهستيريا ، ويضع طرف إبهامه فى فمه بأسلوب (الشيشة) الشهير ..

ـ « كيوه سارايانا »

يقولها وهو يرجع رأسه للخلف لأقصى ما يستطيع ..

ـ « كيوه وطبقوه »

حلوة .. حلوة .. حلـ .....

ولم يكمل (شحتة)عبارته ، فقد تحرك (هن ـ شو ـ كان) هذه المرة ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

عناوين الأخبار فى اليوم التالى لم يكن لها حديث سوى شلال الأذرع والسيقان والرقاب المحطمة ، وعن الفاعل المجهول الذى لم يعثر عليه أحد ..

ظهور قطيع من (السلعوة) فى مولد (السيد البدوى) كان أحد التفسيرات التى رآها الكثيرون مناسبة جدًا ....

* * *

على مقهى قريب من دارى كنت أجلس مع (هن ــ شو ــ كان) ، الذى صرخ وهو يشير بيده للشاب الصغير الذى يعمل فى المكان :

ــ « واهيد هيلبا هصا وهياة أبوك يا زوء .. »

ثم مال نحوى :

ــ « تاخود إيه يا (رفاااات) ، آخوك جاداع أوى وكاسيب ما تخافاش »

قالها وهو يضرب رقبته بيده بالأسلوب الموحى إياه .. لكنى ازدردت لعابى بعدم تصديق ، وهو يقول لعامل المقهى ، الذى أحضر له ما طلبه منذ قليل :

ــ « آوز شيشًا ويصايًا آساهبى وخرفش الفهم »

لم أفهم شيئًا عن الفهم الذى طالبه بأن يخرفشه ، لكن ذلك لم يعنينى .. كل ما فعلته أن اعتدلت فى جلستى وانتظرت حتى أتى له العامل بـ « الشيشة » .. وبينما راح الماء بداخلها يصدر صوته المميز ، تحت

ضغط الأنفاس التى راح يسحبها بقوة ، وينثر الدخان فى وجههى ، رحت أحكى له تفاصيل قصتى مع (أم ست أبوها) ، وما يجب أن يفعله حيالها بدقة ..

* * *

كانت (أم ست أبوها) قد انهمكت فى إصلاح عطب ما فى إسطوانة البوتاجاز حينما وجدت (هن ــ شو ــ كان) أمامها دفعة واحدة ..

وفى اللحظة التى أطلقت صرخة ، وتراجعت للخلف ، كان (هن ــ شو ــ كان) يتراجع بدوره ، ثم إنها انتفضت بلا فهم ، حينما رأته يتخذ وضعًا متأهبًا ، ويصرخ كالمفجوع بلغة الرهبان التى لا تفهمها :

ــ قف مكانك يا (جينغ ــ تشا) .. لقد عرفتك ..

كان طبيعيًا أن تتراجع (أم ست أبوها) ، وأن تنكمش أكثر ، وأن يخرج صوتها المتحشرج :

ــ والله ما عملت حاجة يا بيه ..

ثم إنه تفحصها بعينه وهو يميل نحوها ، حينما اكتشف أنها ناحلة أكثر ، شائخة أكثر ، ثم إن صوتها أنثوى تمامًا .. وهو يعرف (جينغ ــ تشا) جيدًا .. وهو لن يتنكر فى صوت أنثوى مهما حدث ..

فى اللحظة التالية أشارت (أم ست أبوها) لما وراءه ، وراحت تتمتم بأحرف مبعثرة ، لم يفهم منها شيئًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ أووو إإإى ... طواااانة ... عووووو تاجاااز ...

* * *

سأل أحد تلاميذ (جوتاما) أستاذه :

ـ كيف نتصرف يا سيدى إزاء النساء ؟..

ـ لا تروهن يا (أناندا) ..!.. لا تحدثوهن يا (أناندا) !

وإذا تحدثت إليكم واحدة منهن فلا تكترث لما تقول يا (أناندا) !..

* * *

لهذا فقد أعمى (هن ـ شو ـ كان) عينيه عنها ..

لهذا لم يتفوه بحرف واحد ..

لهذا لم يكترث لما تقول ..

* * *

ـ « تشا سارايانا »

يقولها وهو يباعد ما بين ساقيه مثبتًا قدميه بقوة على أرضية المطبخ ..

ـ « جوانغ سارايانا »

يقولها وهو يفتح ذراعيه المشدودين المتوترين مباعدًا أصابعه كمخالب النمر ..

ـ « كيوه سارايانا »

يقولها وهو يرجع رأسه للخلف لأقصى ما يستطيع ..

* * *

بووووووووم !

* * *

هل سمعتم ذلك الانفجار !!

اللعنة !.. ذلك المخبول .. طلبت منه أن يخلصنى منها .. لا أن يفجرها !

رغم ذلك رأيت شيطانى وقد استلقى على قفاه ، وراح يتلوى من الضحك .. لقد تخلصنا من (أم ست أبوها) .. وهذا ما كـ ..

* * *

الحقووووونى يا نااااس ..

* * *

هل سمعتم الاستغاثة القادمة من شقتى !.. هل كان ذلـك صـوت (أم ست أبوها) أم أننى أهزى ؟!

* * *

كانوا يحملون (هن ـ شو ـ كان) ، الذى اختفت ملامحه خلف طـن من الضمادات ، إلا عينيه اللتين أصابهما حول مفاجئ ، ولسانه الذى تدلى حتى كاد يسقط من فمه ، وهو يردد دون توقف :

ـ « الله يهرب بيتك يا (رفاااات).. الله يهرب بيتك يا (رفـاااات) .. الله يهرب بيتك يا (رفاااات) »

Looloo
www.looloolibrary.com

وفيما بعد فهمت أن (أم ست أبوها) حاولت تحذيره مرارًا بأن إسطوانة البوتاجاز ستنفجر ، لكنه لم يفهم ، كما أن تعاويذ التحذير التى يلقيها على خصمه قبل الاشتباك طالت أكثر مما ينبغى هذه المرة ، حتى أطاحت به الأسطوانة وهدمت فوقه جدار المطبخ ..

والغريب هنا أنها نجت !..

اللعنة !

أى شيطان ذلك الذى يحمل اسم (أم ست أبوها) !!

لقد أصبحت (أم ست أبوها) قدرًا صارمًا يطاردنى .. وهذا ما تيقنتم منه الآن بدوركم !. لهذا فقد استمرت تؤدى عملها فى تنغيص عالمى بكفاءة ..

هناك طريقة واحدة لم أجربها بعد ..

الحكمة الخالدة تقول :

« لا يهزم المرأة لا امرأة أخرى »

أنتم تعلمونها بالتأكيد .. فلما لم يذكرنى بها أحدكم ؟

بل كيف كنت قد نسيتها من الأساس ؟!

دعونا نتغاضى عن كلمة المرأة الأولى هاهنا .. وأنتم تفهمون السر فى ذلك .. وسنتغاضى جميعًا كذلك عن كلمة امرأة الثانية حينما تفهمون مخططى .. لأنه لن تكون هناك أمرأة أخرى !.. ببساطة لأنى سوف أختلق وجودها من العدم ..

هكذا صارت الخطابات التى أكتبها بنفسى وأرسلها إلى عنوان منزلى تتوالى تباعًا ..

كنت أعلم أن أحدهم سيسقط حتمًا فى يد (أم ست أبوها) كما خططت لذلك ، وقد كان .. من الصعب أن تقاوم فضولها مع هذا العطر النسائى الفواح الذى أغرقت به الخطابات .. وألا يقتلها الشك مع عبارة « إلى رف رف » التى تصدرت كل المظاريف .. إحم .. أعرف جيدًا أنه اسم رقيع لكن ما باليد حيلة ..

كنت أعلم أن هذه الطريقة فعالة .. خاصة مع الردود التى كتبتها على هذه الخطابات المزيفة وتركتها على مكتبى لتلمحها .. عبارات الولع ليست عسيرة على خبير بالحياة مثلى .. توقعت أن هذا سيفى بالغرض .. وَلكنى كالمعتاد لم أتوقع أبدًا ما حدث ..

* * *

كنت مقيدًا إلى الفراش كذبيحة تنتظر دورها ، حينما قالت وهى تترنح ..

ــ « أنت حطمت فؤادى وقضيت على مُنيتى »

حسنًا .. هذه العبارة سمعتها مرارًا .. أثق أن (أمينة رزق) قد رددتها فى دستة مسرحيات على أقل تقدير .. ولن أعجب لو خرج (يوسف بك وهبى) من خلف ستارة النافذة الآن ، ليغمد سيفه فى قلبى وينعتنى بالرعديد ، ثم يصب علىّ وابلاً من اللعنات ويمضى مرتاح الضمير ..

لكنها مالت نحوى وهى ترفع أحد حاجبيها أو ما تبقى منه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ « أنت عارف شربت إيه فى الشاى يا (رفعت) ؟! »

مرحى .. الآن انتقلنا دون تمهيد لـ (نجمة إبراهيم) !.. حسنًا إذًا .. أعترف أنى أخشى هذه الممثلة .. ولو كنا فى ظروف أخرى لأجفلت .. ولربما انكمشت فى الفراش .. ولكن رأسى كان قد بدأ يثقل حتى اقترب من الطن ، ولمحت برغم ذلك ابتسامتها العجيبة الواثقة ..

ـ « أنا حطيت لك فى الشاى (روح السرعوف) .. »

ـ « حقًا !!. اسم موح فعلاً ذلك (السرعوف) .. »

ـ « صحيح الموضوع احتاج شعرتين من راسك .. وقصيت حتة من بنطلونك الكحلى ، لكن الحاجات دى ماكانتش صعبة ! »

ـ « تباااااااااااا .. كله إلا بنطال بذلتى الكحلياااااااة .. لن أصير فاتنًا بعد اليااوووووم .. »

تجاهلتنى كأنما أسعدها دور (نجمة إبراهيم) وأرادت أن تستكمله للنهاية ..

ـ « أنت عارف (روح السرعوف) بيعمل إيه يا (رفعت) ؟ »

حملقت فى صورتها التى بدأت تزدوج أمام عينىّ بصورة عجيبة ، وهى تستكمل بذات الأقعوانية ..

ـ « العرافة قالت إنك بمجرد متشرب منه هتنام .. »

لك أن تتخيل الابتسامة البلهاء التى ملأت وجهى .. علها لا تفهم أن هذا أكثر ما أحتاج إليه الآن !

ـ « ومع أول شروق للشمس هتحب أول واحدة تشوفها .. »

ثم راحت تزوم للحظة قبل أن تتبع :

ـ « دا غير إنك هتنسى كل اللى حصل قبل كدا »

ـ « هع هع هاااع »

هكذا ضحكت دون فهم حقيقى ، لكنها استكملت ..

ـ « وطبعًا فى الحالة دى .... »

صمت بالطبع ، بينما استدركت هى بذات الشر ..

ـ « مش هيكون قدامك الصبح غيرى .. وى هاها وى هاها .. »

وى هاها وى هاها !!..

لم أمنع ملامح وجهى من التقلص ، رغم أنى لم أفهم ماذا تعنى هذه الـ « وى هاها وى هاها » ..

إن ذلك يذكرنى بقصص الحواديت بصورة أو بأخرى ..

مرحى ..

ستروى هذه الأحداث بعد ذلك فى كتاب واحد مع قصة سندريلا .. وربما أطلقوا عليها اسمًا ما وقتها .. « رفعت وروح السرعوف » مناسب تمامًا لذلك ..

ولكن مهلاً ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ « لست فاتنًا لهذه الدرجة حتى ... »

قالت وهى تميل نحوى بدلال ، حتى خفت أن يسقط طاقم أسنانها فوقى :

ـ « القلب وما يهوى يا (رفعوتة) »

جلوب !..

ـ « وهل تلجئين للساحرات لهذا السبب ! »

ـ « ومين قالك إنه أنا ؟ »

ثم صمتت برهة كأنما تستجدى فضولى ..

ـ « دى الملكة ناظلى »

ـ « لم أكن أعلم أن جاذبيتى قديمة لهذه الدرجة ! »

تجاهلتنى وهى تتبع :

ـ « لما ينست من الملك (أحمد فؤاد) ومن نزواته ، ولاد الحلال دلوها على ساحرة هندية سرها باتع ووصفاتها ما تخيبش .. وصيتها كان مسمع فى الدنيا شرق وغرب .. عشان تعمل لها وصفة تخلى (فؤاد) يحبها وما يبصش لواحدة تانية »

حاولت بإلحاح أن أزدرد لعابى لكنه أبى .. كنت قد فهمت بقية حكايتها ..

ـ « وطبعًا ظل (فؤاد) على حاله ، لأنك سرقتى (روح السرعوف) أو استبدلتيه »

ـ « اسم الله عليك »

هذه العجوز تهزى ، الأمر برمته خزعبلات .. الحكاية تفوح برائحة نصابات الدجل إياهم .. أى (سراعيف) تلك التى .....

ولكن ..

ماذا ..

لو ..

أنها..

جلوب !

صاااادقة ؟؟؟

لقد جربت السحر الأسود من قبل .. وأنا أكثر من يعرف ما يمكنه فعله ..

أفزعنى الخاطر .. فارتدت للخلف دون مقدمات ..

تبًا !.

هذا المصير رهيب ، ومجرد التفكير فيه يبعث بداخلى القشعريرة .. والآن لى أن أتخيل السائل الغروى عجيب الطعم يتوغل بداخل أمعائى .. لم أعتقد للحظة من قبل أن « أرواح السراعيف » غروية لهذه الدرجة !!.. إن هذا مثير للتقزز .. لكن لا وقت لذلك .. ما يفزعنى هنا هو المصير المنتظر مع قدوم الشمس الذى لم يكن ببعيد !!.. خاصة أنى قد بدأت أشعر

Looloo
www.looloolibrary.com

بوعيى الآن ينسحب .. هذا لا شك فيه .. وإلا لما بدأت الرؤية أمامى تتشوش على هذا النحو !.

لقد بدأت أرى صورتها المهتزة أمامى .. قبل أن تبدأ فى الارتداج .. هذا شىء معتاد ..

لكن مهلاً ..

ما هذه الجلبة التى أصبحت أسمعها !.

هل هذا جزء من الأعراض الطبيعية التى تخلفها مفارقة الوعى .. أم أنها موجودة بالفعل !

تبًا !.

لقد بدأ مفعول السائل يسرى الآن بكفاءة أكثر .. وإلا فما هذه الأجساد التى اقتحمت الحجرة وبدأت تملأ الفراغ أمامى دون أن أميز تفاصيل أحدها .. إلا أن يكون جسد (أم ست أبوها) قابلاً للتشكل فى أكثر من هيئة فى ذات اللحظة !!.

هل أنا أهذى أم أن هناك من يرفعنى على الأعناق ويبدأ فى التحرك من المكان حقًا !!.

إما أن حالتى قد وصلت للذروة .. أو أنهم يغادرون المكان الآن بينما ما أزال أنا فوق أعناقهم !.

* * *

أن تفتح عينيك على عبارة من نوعية « وقعة سودة ليكون مات !» لهو شىء مبهج حقًا !

لكنى آثرت للحظة ألا أستفيق .. إن هذا يبعث على راحة أكثر .. خاصة مع التفاصيل المشوشة لأول وجه اصطدمت به عيناى .. لكن رائحة البصلة النفاذة التى ألصق أحدهم نصفها بأنفى ، والتى كنت أشعر مع كل دفقة منها أنها تضرب فى جزع مخى مباشرة لم تمنحنى خيارًا آخر .. وبالرغم من ذلك فقد قاومت الصراخ فى وجه الجميع ببسالة لم أعهدها من قبل .. تفاصيل هذه الوجوه تشى بحسم أن أصحابها لن يقبلوا لى صراخًا هنا مهما بدا العكس ، كما أن لقب «مرحوم» ينتظرنى بشغف مع أول محاولة لذلك ..

وبرغم عشرات المطارق التى راحت تهدم مبنى وهميًا برأسى ، إلا أنى فتحت عينىّ لهذه الأسباب دون ادعاء للكثير من الشجاعة ..

لم يكن عجيبًا بحال أن أتصلب على هذا الوضع .. وبرغم ذلك دارت عينياى تحملقان فيمن حولى بأسلوب عين البومة الشهير .. ثم انطلقت الهمهمة .. لا أدعى أنى أذكر الكثير مما قيل .. لكنها لم تخلُ من « يجعل على إيدك الشفا يا مولانا ».. والكثير جدًا من « سره باتع » .. و« دى العفاريت ياختى نفسها بتعمل له ألف حساب » ..

لم أكن قد استوعبت الموقف تمامًا لأنى كنت ما أزال مشوشًا ، حينما اندفعت أيدٍ كالكلابات وانتزعتنى من مكانى !..

Looloo
www.looloolibrary.com

لم أفطن كذلك لعبارات التهليل التى اندفعت تلاحقنى ، أو لم ألقِ لها بالاً لو أردتم شيئًا من الدقة ، حينما انفتح باب إحدى الغرف فجأة وتم إلقائى بالداخل ..

تبًّا !!

تبًّا !!

تبًّا !!

ألم يعتقد صاحب الكلابات للحظة واحدة أنى أمتلك هيكلاً عظميًّا قابلاً للتهشيم ، بل هو فى لهفة حقيقية لذلك !

ـ آآه ..

تحسست عمودى الفقرى الذى لم أعد أشعر به ، هذا لو كان ما يزال فى موضعه .. حينما كان الظلام قد بدأ ينقشع عن رأسى .. وقتها تنبهت للمرة الأولى للزمجرة التى تأتى من فوق الفراش الوحيد الذى يتوسط الغرفة ..

لم أكن قد استبنت ماهية الكومة الضخمة التى ملأت السرير عن آخره ، وصدرت عنها الزمجرة السابقة حتى بدأت الكومة ذاتها تهتز ..

جلوب !

هنالك انتصبت الكومة جالسة فوق الفراش .. ثم امتدت رجلاها نحو الأرض .. حينما أتانى الصوت من الخارج :

ـ « ربنا يفك ضيقتك يا ضنايا »

ضـ ..!! ضنا .. إ! .. من هى هذه الـ « ضنايا » ؟!

من المستحيل أن يطلق على هذا الوحش الذى ينهض من السرير الآن هذه الكلمة ، إلا لو كانت صاحبة الصوت بالخارج تنحدر من سلالة الديناصورات .. ما أثق فيه أن هذه المخلوقات قد انقرضت منذ ملايين السنوات ..

يا لفلسفاتى السخيفة .. ليس هذا وقتها !!

فلأنجو بحياتى الآن أو لأندمن للأبد ..

بدأت أزحف فى اتجاه الحائط .. الهول الذى تعرضت له اليوم جعل وقوفى على قدمىّ مستحيلاً .. وأخشى أنى لن أفعل مرة أخرى .. هنالك انطلقت الفتاة أو الكومة حسبما يتبدى لك .. وكانت حينها تسير بخطى أثق أن المكان بأسره كان يهتز لها فى هستيرية ..

تبًّا مرة أخرى !

بل تبًّا إلى الأبد !

هذه الفتاة مخبولة تمامًا .. ولا علاقة للعفاريت أو ما ظنوا أنه العفاريت بها كما يزعمون .. العفاريت مظلومة وتم إقحامها فيما لا علاقة لها به هنا .. لا عفريت عاقل يقدم على خطوة مس هذا الوحش دون أن يفكر ألف مرة ..

هنالك انطلق الصوت مرة أخرى من الخارج بينما كنت أنا عاجزًا عن النطق ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ « بركاتك يا مولانا!!! »

الحمقى ..

ـ « ألم أقل ألف مرة أنى لست هذا المو .. »

لكنى لم أكمل عبارتى حينما انتشلتنى قبضة حديدية من مكانى ، ودفعت بى فى اتجاه الحائط .. لم أصدق أنى حلقت فى الهواء كل هذه المسافة .. ولم أصدق أكثر أنى لم ألفظ الحياة بعدها .. هذه الأمور إذًا لا تحدث فى السينما فقط !!

الفارق الوحيد هنا أن عظامى كادت تفر من جسدى وتتركنى من شدة الألم ، وما كنت لألومها لحظة ..

هنالك امتدت يدها نحوى مرة أخرى بذات الوحشية ثم أمسكتنى من قدمى .. بينما ارتفع الهتاف خارج الحجرة مرة أخرى ..

ـ « اديله يا مولانا ما ترحموش ! »

الأغبيااااااء..

الأغبيااااااء..

الأغبيااااااء..

سوف ألفظ أنفاسى هنا دون أن يتدخل أحدهم لإنقاذى ..

هذه المرة كان أداء الفتاة قد بلغ طورًا جديدًا فى مراحل تعذيبى ، إذ انطلقت ـ وكاحلى بيديها ـ تدور كطواحين الهواء .. لكنى صرخت ببسالة دون أن أتردد لحظة واحدة ..

ـ « لا وتيبيبيبى »

ولكن من قال أن توسلى إليها كان كافيًا لإيقافها ؟..

اندفعت حوائط الغرفة بغتة تفقد معالمها من حولى .. كل الأشياء صارت خيوطًا دائرية لا أميز لها تفاصيل .. وهى لا تكف عن الدوران بى كأنى دمية عاقة ..

أما أنا فقد استجمعت كل طاقتى هذه المرة فى صرخة أخيرة يائسة ..

ـ « الحقووووووووونى »

للحظات بعدها ، لا أدرى عددها وإن بدت لى كدهور كنت أشعر بجسدى يرتفع ويهبط دون توقف .. هل كان هناك من يحاول اقتحام الباب ؟.. لا أدرى !.. هل حاول أحدهم ـ رغم تأخره الشديد ـ أن ينقذنى ؟.. لا أدرى أيضًا !..

فقط شعرت بامتنان يفوق الحد لأمواج الظلام التى أنقذتنى من ذلك العذاب المقيم ..

* * *

هذه المرة استيقظت من الغيبوبة المظلمة التى كنت فيها على عبارة « يا خيبتك ! »

والحقيقة أنى لم أكن حانقًا .. بل كنت شديد الامتنان للحياة التى وهبتنى فرصة أخرى رغم ما كنت فيه !..

Looloo
www.looloolibrary.com

كانوا جميعًا إلا القليل يقيدونها فى سريرها كما كانت .. بينما اكتفى هذا القليل بمحاولة إعادتى للوعى ..

كنت أجاهد لالتقاط حبات الهواء من الفراغ حينما انطلقت الزمجرة مرة أخرى من ذات المصدر ، وبصورة أشد وأعنف !

لا يسألنى أحدكم عن طاقة الفزع لأنى لا أملك لها تفسيرًا ، مهمًا فسرها غيرى !.. تفسيرى الوحيد لها فى أنى نهضت من مكانى وانطلقت .. بـاب الشقة لم يكن بعيدًا .. وكان فيه خلاصى .. ولم أكن لأضيع فرصة كهـذه حتى لو كانت عظامى مسحوقًا تذروه الرياح .. الموت خارج هذا المنـزل وبأية صورة ، ولو كان الدك بقنبلة هيدروجينية ، أرحم وأشد رأفة مما قد ألاقيه هنا مرة أخرى .. وأنا لن أعيد التجربة .. وهذا ما قررته ..

اندفعت نحو الباب كسهم ..

كيف !..

هناك أشياء كثيرة لا أملك أنا نفسى لها أجوبة !..

* * *

الطريق كان ينبعج تحت قدمىّ .. رأسى يقارب وزنها الأطنان العشرة .. أشعر أن سائلاً ما تم ضخه فى عينىّ حتى قارب حجم كـل منهمـا كـرة صغيرة .. حتى أن الاحتفاظ بوعيى صار أمرًا مشكوكًا فيه ..

لا أدرى كيف غادرت المنزل ..

ولا الحى بأكلمة !

ولا كيـف رحت أهيـم على وجهى فى الشـوارع التى راحت تـسلمنى لبعضها .. واحدًا تلو الآخر .. برغم أن الزمن كان قد الـتهم جـزءًا مـن الساعة الأولى بعد الفجر .. خيالاتى كانت تقودنى للفرار .. وأنا إخال الفتاة ما تزال فى أثرى ..

كنت أقطع الطريق كمن تطارده الشياطين ..

فلم أعر المارة انتباهًا ..

ولا السيارات التى كانت تبُاغتنى كل حين ..

حتى عربات الأجرة .. لم أفكر لحظة واحدة فى استيقاف أحدها ؛ خلتها ستهبط لا محالة من باب أول عربة أستوقفها !..

ثم تلك السيارة التى ظهرت أمامى من العدم ..

شاهدت كثيرًا من حالات التوافق التى تدفع أحدهم للفرار مـن سـيارة مسرعة .. فيلجأ لذات الجانب الذى يختاره سائق السيارة للانحراف بدقـة مثيرة للعجب .. وقتها يصبح الارتطام حتميًا ..

أعرف أن أسوأ ما يمكن أن أفعله فى هذه اللحظة هو الفرار لأى جانـب لأنها ستلاحقنى فيه .. الحل دومًا بسيط ومباشر لكنّا نتجاهله ..

وهذا ما فعلته ..

تجمدت فى مكانى دون حراك !

Looloo
www.looloolibrary.com

هل كان نحسًا هنا أن يتمتع الشخص خلف عجلة القيادة بالروح التحليلية ذاتها !!

اللعنة ..

أنصار المنطق لا يظهرون فى حياتى دومًا إلا فى التوقيت الخاطئ !

صاحب السيارة أو صاحبتها ــ للدقة ــ استمرت فى طريقها بيرود كأنما توقعت منى ما توقعته منها بدقة مدهشة مثيرة للحنق ..

تبًا لذكائنا المتبادل .. بل ألف تب ، لأنه كان كافيًا تمامًا هنا لصنع الارتطام ..

إن جسدى يحلق فى الهواء الآن ..

ولا ريب أنى سأرتطم بأرض الطريق بعد قليل وأموت دون مزيد من الصخب ..

-8-

سرت رجفة عنيفة فى جسد (سونيا جراهام) ، وشعرت باختلاجة قلبها بين ضلوعها ، حينما توقفت سيارتها أمام منعطف صغير فى إحدى المناطق الشعبية المصرية .. لم تكن تصدق أنها قد استعادت شبابها بعد كل تلك السنوات ، ولا أمر نسختها التى جاءت من الماضى ومنحتها « إكسير الشباب » ، ثم انطلقت لتلاحق (نور) و(أكرم) اللذيّن انطلقا خلف (أدهم صبرى) ، لتعاونهما على المجىء به للمستقبل .. حيث ستكون بانتظاره هى و(آدم) أو (خميس العترة) ابنها ــ الذى جاءت الآن لاستعادته بنفسها ــ ليلقنوه جميعًا درس العمر ..

وبأنفاس مبهورة طالعت اللافتة المعدنية التى علاها الصدأ ، والتى اعتلت أحد الجدران ، وحملت اسم الحارة .. قبل أن يعتصر قلبها حنين جارف ، وتردد بانفعال هامس بلغ ذروته :

ــ (خميس) ..

قالتها ، وقفزت ذاكرتها دفعة واحدة إلى الخلف ..

* * *

ــ الواد أمانة فى رقبتك يا (أم السعد) ..

ــ فى عنيّا يا ست (سونيا) ، هو أنت هتوصينى !

ــ أنا مش هقدر آجى كتير .. لكن هبعت لك اللى يطمن عليكم ، ويديلك الفلوس اللى هبعتهالك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ ودى تيجى يا ست (سونيا) .. خيرك مغرقنا ..

قالتها وهى تختطف منها رزمة الجنيهات ، وتدسها فى مكان خاص بصدرها ، ثم تتساءل :

ــ إلا قوليلى بقى يا « ادلعدى » يا ست (سونيا) .. أبو المحروس ده فين ؟

هنالك ارتدت (سونيا) للخلف .. كان السؤال قد باغتها تمامًا ..

وفى الوقت الذى كانت تحاول أن تجد مخرجًا للموقف ، كانت (أم السعد) تهدهد الطفل ، وتتنحنح بتذاكى ، وهى تتمتم بلهجة خاصة : « استر على عبيدك ياا رب » .. كانت (سونيا) تعصر رأسها لتتفهم تلك الكلمة الرهيبة التى اعترضت ذاكرتها دون أن تفهم لها معنى من قبل ..

« ادلعدى » !

* * *

أطلق (شيحة) صفيرًا طويلاً وهو يتطلع نحو (بيسة) فاتنة الحارة ، التى عبرت من أمام المقهى الذى يجلس عليه بمشية الدلال المعتادة .. حتى أنه سحب نفسًا عميقًا من طرف « الشيشة » التى يمسكها ، قبل أن يلقى المبسم من يده ، ويقول بولع :

ــ أموت أنا ..

وفى المهلة التى أخذتها (بيسة) حتى تتوقف أمام محل (بلحة) الفاكهى ، كانت كل العيون تحملق فيها على حد سواء .. بما فيهم الأسطى

(مفتاح) ميكانيكى الحارة .. و(خشبة) النجَّار .. و(بخة) صبى المكوجى .. حتى الأستاذ (حشمت) المُسن ، الذى راح عمال الإسعاف ينقلونه إلى عربة المستشفى بعد أن هاجمته الأزمة القلبية إياها ، رفع قناع الأكسجين وهو فوق المحفة ، وألقى نظرة مختلسة نحوها ، ثم أطلق تنهيدة حارة ، قبل أن يعيد القناع إلى مكانه مرة أخرى .. أما (عباس) ، العريس الجديد ، فكان يسترق النظرات إليها من وراء نافذته المغلقة دون أن تراه عروسه ..

أما (بيسة) نفسها ، فلم تكد تتوقف أمام محل المعلم (بلحة) حتى تناول بطيخة كبيرة الحجم ، وربت عليها بصوت مسموع ، وهو يقول بهيام :

ــ حمار وحلاوة يا بطيخ ..

أطلقت (بيسة) ضحكة رنانة ، أضفت عليها كثيرًا من دلالها الخاص ، قبل أن تقول بنعومة وهى تهز أحد كتفيها وتستدير بوجهها عنه :

ــ لأ ، مخصماك ...

قالتها ، وتوقعت أنه سيهرع نحوها ، ويسترضيها ، رغم ثقتها أنه يعلم فى قرارة نفسه أن لا شىء يستحق ذلك ..

وبدلاً من أن يحدث ذلك هذه المرة أتتها شهقته ..

استدارت نحوه بعد أن مرت برهة دون أن يحدث ما توقعته .. وأمام عينيها كان قد تجمد وجهه تمامًا ، وراح يحملق عند مدخل الحارة بذهول ، كأنما حدثت كارثة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وفى اللحظة التى استدارت بدورها نحو مدخل الحارة ، كانت قد تفهمت طبيعة الكارثة ..

كانت كارثة بشرية ..

كارثة تمشى على قدمين ..

كارثة تحمل اسم (سونيا جراهام) ..

ازدردت لعابها وهى تحملق فى الحارة التى تجمدت عن بكرة أبيها لعدة ثوانٍ ، وهم يحملقون فى هذا المخلوق ..

حتى أن المعلم (بلحة) تمتم كالمأخوذ :

ــ يا دين النبى !

ولم يكد يلفظ عبارته ، حتى تحرك المشهد المتجمد بأكمله ، ودون مقدمات ..

(شيحة) قفز من مكانه ، دون أن ينتبه أنه لا زال يحتفظ بمبسم « الشيشة » بين شفتيه ..

الأسطى (مفتاح) قذف « الكوريك » الذى كان عبثًا يتعامل به مع السيارة، حتى أنه أطاح بزجاجها الأمامى ، واندفع دون أن يأبه لصراخ صاحبها الذى وقف يلملم بقايا الزجاج المتناثر فى المكان ..

الأستاذ (حشمت) نزع قناع الأكسجين وألقاه جانبًا ، واندفع كالصاروخ ، كأنما دبت فيه قوة لم يعهدها فى حياته ، دون أن يلتفت إليه أحد من عمال الإسعاف ، الذين تجمدوا فى مكانهم بدورهم ..

أما (عباس) ففغر فاه للحظة ثم اتجه نحو عروسه ، ولطمها بكل ما أوتى من قوة على وجهها ، ثم عاجلها بقبضة فى عينها .. قبل أن يفعل أغرب ما يمكن توقعه ..

فتح النافذة نفسها ..

وقفز ..

ثم اندفع بعدها كالصاروخ باتجاه (سونيا) ..

أما (بيسة) فقد تمتمت بصوت متحشرج وهى تحملق فى المعلم (بلحة) ، الذى لم ينفض عنه ذهوله بعد :

ــ معــ .. معــ .. معلم !!

ودون أن يستدير نحوها ، أتتها إجابته ..

كانت (البطيخة) قد انطلقت من يده ، وأصابت رأسها مباشرة .. وقبل أن تفقد وعيها ، شاهدت المعلم (بلحة) نفسه يعبر فوق رأسها ، ثم ينضم لسيل البشر الذى يندفع باتجاه (سونيا جراهام) ..

كالطوفان ..

أما (سونيا) نفسها ..

فلم تكد تشعر بدقة موقفها ، حتى أخرجت مسدسًا ضخمًا سريع الطلقات من حقيبة يدها ، ثم شهرته فى وجوه الجميع ..

وفى الثانية التالية تراجع طوفان البشر المندفع نحوها إلى الخلف ، مع شهقة كبيرة انطلقت من جميع الحناجر من هول المفاجأة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أما هى ، فرسمت على وجهها أشد معالم الصرامة ، قبل أن تتساءل بحسم :

ــ أين منزل (أم السعد) ؟

وكان سؤالاً واضحًا ..

مباشرًا ..

جدًّا ..

جدًّا ..

وبحق .

* * *

اندفعت (سونيا) من باب الحجرة كالسهم ، وهى ما تزال تحتفظ بمسدسها ، الذى كانت ما تزال تشهره بيديها للأمام ..

وبنظرة واحدة كانت قد تفهمت الموقف تمامًا ..

كانت (أم السعد) قد تمددت على سرير صغير يتوسط الحجرة ، بجسدها الهزيل الشاحب ، وملامح وجهها التى لعب العمر بها أسوأ ألعابه ، وقد أغمضت عينيها وراحت تلفظ أنفاسها بصعوبة .. بينما اكفهرت الوجوه من حولها ، وراح البعض يزرف الدموع بلا توقف ..

وكان هذا لا يعنى إلا شيئًا واحدًا ..

أنها تموت ..

وأن سر ابنها (آدم) قد يموت معها ..

وهذا ما لن تسمح هى به ..

أبدًا ..

وأمام الأعين الذاهلة أطلقت (سونيا) واحدة من رصاصات مسدسها نحو الحائط ، تدافع على أثرها الجميع نحو الحائط المواجه ، قبل أن ينكمشوا على أنفسهم فى فزع .. أما هى فقد أقدمت على آخر ما يمكن لأحدهم أن يتخيله .. اندفعت نحو (أم السعد) ، ثم قبضت على شعرها بقبضة من الفولاذ ، وانطلقت قبضتها كالقنبلة فى وجهها ، وهى تصرخ كوحشٍ ضارٍ ..

ــ أفيقى ..

ولما لم يأتها رد منها ، فقد حملتها بلا تردد ، ألقت بها فى الحائط بكل ما أوتيت من قوة ..

هنالك صرخت إحدى السيدات فى الحجرة بفزع :

ــ حرام عليكِ يا مفترية ، الولية بتموت ..

تطلعت (سونيا) نحوها ببرود العالم ، ثم رفعت مسدسها وأطلقت رصاصة أخرى أصابت الحائط على بُعد مليمتر واحد من رأسها ، مما جعل لسانها ينعقد فى مكانه ، وهى تتطلع نحو (سونيا) التى أمسكت بـ (أم السعد) من تلابيبها ، ثم قذفت بها فى الهواء ، قبل أن تستدير

Looloo
www.looloolibrary.com

حول نفسها فى حركة قتالية شديدة التعقيد ، وتسدد لها ضربة رهيبة بطرف حذائها ، ألقت بها على أثره فى الموقع الذى كانت تحتله تمامًا فوق السرير .. فى نفس اللحظة التى فتحت فيها (أم السعد) عينيها ، وهى تتبع يوهن :

ـ آآآآه ..

هنالك رفعت (سونيا) يمسدسها فى وجهها ، قبل أن تجيبها بصرامة العالم :

ـ إياكِ أن تموتى الآن وإلا قتلتك ..

هنالك انتفضت (أم السعد) فى مكانها ، وانكمش جسدها فى أبعد ما أمكنها الوصول إليه من السرير ، وهى تتطلع نحو (سونيا) فى فزع كأنما ترى شبحًا ، وهى تتمتم فى رعب :

ـ أنتِ مين !

أجابتها (سونيا) بسخرية باردة كالثلج :

ـ مش عارفة أنا مين ؟!

ازدردت (أم السعد) لعابها فى توتر ، وغمر العرق البارد جسدها ، كأنما لم تكن تفارق الحياة منذ دقائق ، قبل أن تستدرك بتلعثم :

ـ أنت إزاى مكبرتيش !

أجابتها (سونيا) بالبرود ذاته :

ـ مش شغلك ..

ثم استدركت بصرامة :

ـ فين (آدم) ؟

تمتمت (أم السعد) :

ـ (آدم) !

أجابتها (سونيا) بلا انفعال ..

ـ أقصد (خميس) .. فين (خميس) ؟ .. فين ؟ .. انطقى ..

التقطت (أم السعد) أنفاسها بصعوبة ، ثم حاولت أن تجيبها ، لكن قلبها لم يحتمل هذه المرة ، فسقط رأسها على السرير .. مما جعل (سونيا) تندفع نحوها ، وتمسكها من شعرها مرة أخرى بقسوة ، بينما أتبعت (أم السعد) وهى تلفظ أنفاسها :

ـ هرب متى .. وهو .. وهو صغير ..

سألتها (سونيا) على عجل :

ـ هرب راح فين ..

تمتمت (أم السعد) باللهجة نفسها :

ـ بقى .. بقى ..

صرخت فيها (سونيا) بقسوة ممزوجة بالضراعة هذه المرة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ بقى إيه .. انطقى ..

ــ أكـ .. أكبر تاجر .. مخد .. مخدرات فى .. مصر ..

ثم استدركت بينما كان الذهول يعصف بأعماق (سونيا جراهام) :

ــ فيه شا .. شابة جات وسألت عنه ..

زوت (سونيا) عينيها ، وتساءلت فى دهشة :

ــ شابة ؟

أجابتها بصعوبة :

ــ تـ .. تـ .. تفـ ..

تمتمت (سونيا) كأنما تحادث نفسها :

ــ (تفيدة جراهام) ؟

ازدردت (أم السعد) لعابها ، وأتبعت بوهن :

ــ هيتـ .. هيتـ .. هيتجـ ..

هناك صرخت (سونيا) بضراعة العالم :

ــ هيتـ ... إيه ..

هنالك أتبعت (أم السعد) بصوت هامس ، بلغ مسامعها بصعوبة :

ــ هيتجـوزها ..

قالتها ، وسقط رأسها إلى جوارها .. أما (سونيا) فقد اكفهر وجهها ، وانتفضت فى مكانها دفعة واحدة ، وهى تصرخ بثورة :

ــ يتجوزها !!

رفعت (أم السعد) رأسها مرة أخرى من مكانها ، ثم استدركت كأنمـا تذكرت شيئًا هامًا :

ــ الليلة ..

قالتها وتركت رأسها ليهوى كما كان .. أما (سونيا) فقـد ضمت قبضتها ، وأتبعت فى غضب لم تشعر به من قبل :

ــ كدا يا (تفيدة) !..

قالتها ، ثم ضربت الحائط بكل قوتها ، قبل أن تتبع بثورة هادرة :

ــ يا ويلك منى .. يا ويلك ..

قالتها ، وغادرت المكان ..

كالشبح ..

* * *

حملقت (جـ ــ 18) فى الشاشات الضخمة ، التى احتلت أغلب واجهات الحوائط فى القاعة الأكثر ضخامة التى نقلها إليها (ابن الشيطان) .. كانت كل منها تنقل بثًا مباشرًا شديد الدقة من أماكن مختلفة من الكرة الأرضـية عن طريق مجموعة من الأقمار الصناعية شديدة الكفاءة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وفى حيرة لا نهاية لها ، راحت (جـ ــ 18) تطالع البث الحى الذى تنقله الشاشات ، وهى تتساءل فى قرارة نفسها عما ينتوى (ابن الشيطان) أن يفعله هنا .. حتى أنها اقتربت من إحدى لوحات المفاتيح العملاقة المتصلة بأحد الحواسيب العملاقة ، والتى تتصل به الشاشات نفسها ، ثم راحت تعبث بأصابعها فى الأزرار ، التى استماتت أمام محاولاتها لاقتحامها ..

وفى عناد لا مثيل له راحت (جـ ــ 18) تتذكر كل ما يختزنه عقلها من معلومات سابقة عن الحواسيب .. كانت قد أنهت لعبة (GTA) من قبل ، وأجادت لعبتىّ (FIFA34) و(Medal Of Honor) ببراعة منقطعة النظير ، وأتقنت التعامل مع برامج الـ word بكل إصداراتها ، هذا بخلاف خبرتها الساحقة فى برامج الـ (Chat) .. مما جعلها تلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن تغمغم فى إصرار وهى تحدج الحاسوب الضخم بنظرة تحدى :

ــ سأتمكن من اختراقك .

هنالك ارتج المكان بضحكة عالية ، مما جعلها تتراجع للخلف ، وهى تشاهد (ابن الشيطان) الذى وقف عند باب القاعة الضخم ، ثم سرت موجة عارمة من الدهشة فى جسدها المعدنى ، وهى تطالع الشخص الآلى الذى وقف إلى جواره .. كانت تحفظ ملامحه عن ظهر قلب .. لكن فى نسخة نسائية !

مما جعلها تزوى صفيح وجهها ، وهى ترمق (ابن الشيطان) بنظرة دهشة .. مما جعله يجيب ببساطة :

ــ أقدم لك (بسطاويسى ــ 15) .. معاوننا الجديد ..

قالها وهو يشير نحو (بسطاويسى ــ 5) ، قبل أن يتبع بلهجة عجيبة فاحت برائحة ساخرة لم تغفلها :

ــ أو (سنية ــ 15) ..

ثم صمت لبرهة ، قبل أن يتبع بلهجة مسرحية تمامًا :

ــ سابقًا ..

قالها ، قبل أن يتبع بلهجة خاصة يجيديها تمامًا :

ــ تفهمين الآن أن ما ترينه نتيجة فعلتك ..

تحفزت ملامحها بعد هذه العبارة ، كأنما توقعت أن يحدث اشتباك بينهما ، مما جعل (ابن الشيطان) يطلق ابتسامة هادئة ، ويقول بخيلاء :

ــ اطرحى الأفكار التى تدور بعقلك الآن جانبًا .. لقد تمت السيطرة على عقله ، ولا قلق منه الآن ..

ازدردت (جـ ــ 18) لعابها الذرى .. كان الأمر برمته يربكها تمامًا .. صحيح أنها تعرف العنف الذى تعاملت به مع (سنية ــ 15) .. لكنها لم تتوقع أن تبلغ النتائج هذه الدرجة ..

وقبل أن تستدرك فى أفكارها انتفض جسدها المعدنى على الرغم منها ، حينما أشار (ابن الشيطان) بيديه للحائط الوحيد الذى لا تحتله أى من شاشات العرض ، قبل أن ينشق طوليًا من المنتصف ، ويبدأ شقاه فى

www.looloolibrary.com

التباعد .. ومن خلفه مباشرة أطلت شاشة رصد ضخمة احتلت مساحة الحائط بأكمله .. وفى حذر شديد تساءلت :

ـ لم تخبرنا بعد أين نحن ..

استدار نحوها مباشرة .. كانت المرة الأولى التى تربكها ملامحه ، وتبث فى أعماقها هذا القدر من الخوف .. وبأحرف عجيبة شعرت معها أنها تسمعه للمرة الأولى أجاب :

ـ إننا هنا ..

قالها وأشار بيده نحو الشاشة ، التى اشتعلت بغتة .. وعبر كاميرات المراقبة المثبتة بالأقمار الصناعية ظهر المكان ..

كانت جزيرة صغيرة ..

جزيرة تحتل فى تاريخ كوكب الأرض ذكرى خاصة ، تعود إلى عشرات السنوات .. مما جعلها تتمتم بصوت خافت :

أليست هذه الجزيرة إياها التى استخدمتها شيطانة المخابرات الإسرائيلية ذات يوم للسيطرة على الأرض ، كما تروى كتب التاريخ ؟!

أجابها ببرود :

ـ أتقصدين (سونيا جراهام) ؟

لم تنبث ببنت شفة بينما أتبع هو باللهجة ذاتها :

ـ هى بعينها ..

تمتمت كالمسحورة :

ـ لكنها تعرضت لانفجار شديد أطاح بها ذات يوم ..

قاطعها مباشرة :

ـ تقصدين بمعظمها (*)..

ثم حدجها بنظرة خيلاء شيطانية ، وهو يتبع بخيلاء :

ـ ربما كانت مهمة إعادتها لما كانت عليه سلفًا أمرًا شاقًّا أو مستحيلاً على أى بشرى ، مهما بلغت قوته ..

ثم اتسعت عيناه واتقدتا كالجحيم ، وقد تضاعف الخيلاء فى نبرة صوته حتى بلغ ذروته :

ـ لكن ليس علىّ أنا ..

ثم استدرك مباشرة ، وهو يشير للشاشة الضخمة التى كانت تنقل صورة قمة الجزيرة :

ـ كفاكِ ثرثرة حتى لا يفوتك أهم فقرات العرض ..

ومع عبارته ظهر شعار ضخم احتل قمة الجبل الذى يتوسط الجزيرة ..

ولم تكد تلمحه ، حتى تراجعت للخلف ..

واتسعت عيناها فى ذهول ..

(*) راجع سلسلة رجل المستحيل ، العدد (150) ـ النهاية.

Looloo
www.looloolibrary.com

وعلى الرغم منها ، وبرغم أنها من المفترض فى صفه ، إلا أن ذلك لم يمنع الارتجافة الضخمة التى شملت جسدها بأكمله هذه المرة ..

وفى اللحظة التالية احتل وجه مألوف مخيلتها ..

(س ــ 18) ..

كانت قد فهمت خطته ..

الخطة الشيطانية التى نسجها عقله ببراعة ..

وشيطانية ..

الخطة التى ستجعل من (س ــ 18) فى مقدمة ألد أعداء كوكب الأرض بأسره ..

وبكل من فيه من بشر ..

ثم أعادت النظر لوجه (ابن الشيطان) ، الذى كان ما يزال يتابع الشاشة بذات الخيلاء ..

وقد بدا لها للمرة الأولى منذ التقت به شيطانًا ..

مريدًا ..

* * *

اندفع (ى ــ 60) باتجاه القبو ــ حيث يتم احتجاز (س ــ 18) ــ كالعاصفة .. كان قد قرر أن يتعامل مع الأخير بكل الوسائل الممكنة هذه المرة بعد أن نفد صبره ، لاستخلاص أية معلومة يمتلكها عن (جـ ــ 18) ..

ابنته ..

فى نفس اللحظة التى هب فيها رجاله من أماكنهم عند مدخل القبو ، واندفع (برعى ــ 34) نحو الباب ، وراح يضرب أزرار المزلاج الإلكترونى بتتابع مدروس .. وفى اللحظة التى انفتح فيها الباب ، كانوا جميعًا قد تراجعوا للخلف ..

كانت القيود فى مكانها بوسط الغرفة ، وحلقات الأشعة التى تحتجز (س ــ 18) تتألق فى أماكنها بذات التتابع ، والنظام الفوتونى بأسره يعمل بكفاءة .. وكل ركن فى الحجرة يبدو كما تركوه آخر مرة ..

إلا شيئًا وحيدًا ..

(س ــ 18) نفسه !

كان قد اختفى تمامًا !!

حتى أن (ى ــ 60) تمتم بذهول متحشرج :

ــ راح فين !!

وقبل أن يجيبه أحدهم ، ارتفعت صرخة زوجته (هـ ــ 50) باسمه كالقنبلة من مكانها بالدور العلوى .. وخلال ثانية كان يقف ورجاله حيث تركها .. فى ذات الوقت الذى راحت فيه تحملق فى شاشة الهولوجرام ، التى راحت تنقل بثًا مباشرًا تم ضبطه بأسلوب شيطانى ليحتل كل إشارات قنوات البث الأرضية المعروفة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

كان جسد (س ــ 18) الأخضر يحتل الشاشة العملاقة .. وعيناه تتقدان بحمرتها الجامدة المخيفة .. وكان يقف ممشوقًا مهيبًا فوق منصة ضخمة ، وقد راحت الظلال التى تم إعدادها بمهارة تتراقص فوق حرملته النارية ، فتهبه ملامح مثيرة للرجفة ..

وفى ثبات عجيب يتنافى مع ما مر به من أحداث ، تمتم بصوته الاطلانطى البارد :

ــ من سنيور الأرض الجديد (س ــ 18) إلى قادة الدول العظمى ، آمركم بالاستلام المباشر ، والخضوع لإمرة إمبراطوركم الأوحد ..

هنالك تمتم (ى ــ 60) بذهول :

ــ سنيور !!

أما (هـ ــ 50) فقد أطلقت تنهيدة حارة ، قبل أن تقول بوله :

ــ ياختى عليه ..

ثم استدارت نحو (ى ــ 60) ، قائلة بفرحة غامرة :

ــ جوز بنتنا بقى سنيور الأرض يا (ى ــ 60) .. بقى سنيور الأرض ..

قالتها ، وأطلقت زغرودة آلية رنانة ترددت كالقنبلة فى أرجاء المكان ..

أما (ى ــ 60) نفسه فقد تجاهلها تمامًا ، وهو يحملق فى الشاشة العملاقة ، التى راحت تنقل صورة جزيرته الجديدة ، التى احتلت قمة أعلى جبل فيها علامة ضخمة .. ذكرته بأحداث تاريخية قديمة يحفظها الجميع ..

كان الرمز عبارة عن حرف (س) ضخم ..

يلتف حوله ذراع « شيشة » بنفس الحجم .. ويتصل فى نهايته بـ « شيشة » عملاقة يتصاعد الدخان من فحم مشتعل يعتليها ، ولا ينطفئ أبدًا ..

مما جعله يتمتم دون وعى :

ــ « شيشة » !!.. (س ــ 18) !!.. دا إحنا هنشوف أيام سودة !..

وكان هذا لا يعنى إلا شيئًا واحدًا ..

أنه الأرض على الأرض أن تواجه أسوأ كوابيسها ..

على الإطلاق ..

* * *

وفى مكانه ، ولم يكد البث ينتهى ، حتى تهاوى (س ــ 18) فى مكانه ، ثم تدحرج إلى وسط القاعة الضخمة ، كأنما استنفد الطاقة التى بثها (ابن الشيطان) فى وصلاته كاملة .. وراح يلهث فى عنف ، كأنما سيلفظ ما تبقى من طاقته ، وهو يقاوم غيبوبة عميقة راحت تجذبه ليسقط فيها ..

وبأعين تميز ما أمامها بصعوبة ، تطلع إلى الأرجل « الماعزية » الرفيعة التى توقفت أمامه مباشرة ..

وبصعوبة أشد رفع عينيه لأعلى حيث طالعه وجه مألوف تمامًا .. فى نفس اللحظة التى ارتفعت لهجة صاحبها المسرحية التى تفيض بالسخرية :

www.looloolibrary.com

ــ كيف حال إمبراطور الأرض القادم ؟

قالها ثم أطلق ضحكة مجلجلة ، ارتجت لها القاعة بأكملها ، فى نفس اللحظة التى تمتم هو بوهن بالغ :

ــ مين ؟!.. (ابن الشيطان) !

هنالك أطلق (ابن الشيطان) ضحكة أخرى أشد من سابقتها ، ثم مال نحوه برأسه دون مقدمات ، وأتبع بقسوة :

ــ جميل منك أن تذكرتنى بهذه السرعة ، فبيننا ذكريات مشتركة لم أتمكن أنا نفسى من نسيانها ..

ثم استطرد بلهجة صارمة تقطر غضبًا :

ــ أم أنك نسيت ما كان ؟

ثم انتفض فى مكانه ، وهو يشير بيده نحو شاشات العرض ، التى أضيئت كاملة ، وهو يلوح بيديه فى هستيريا عجيبة :

ــ (س ــ 18) الأسطورى .. منقذ الأرض .. (س ــ 18) الذى حارب الغزاة وقهر المحتلين عشرات المرات ، ومنح الأرض حريتها أكثر من مرة .. (س ــ 18) الذى أحرق (ابن الشيطان) وألقى به فى الشمس ..

قالها وأطلق ضحكة ساخرة رنانة ، ثم مال نحوه بعدها أكثر ، وتمتم بتشف :

ــ (س ــ 18) الذى صار الآن أسوأ كوابيس الأرض عبر كل العصور .. (س ــ 18) المزيف ، الذى كان يمهد لاحتلال الأرض وحده وفرض سيطرته عليها .. (هتلر) العصر الجديد ، الذى كان يحمى الكعكة ليلتهمها فى النهاية .. وبمفرده .

قالها وراح يضحك فى هستيريًا عجيبة تناسب شيطانًا .. أما (س ــ 18) فقد راح يتابع ضحكاته فى عجز لم يواجه له مثيلاً من قبل .. حتى أنه راح يضرب الأرض بقبضته ، ويخمشها بوهن ..

ودون أن يمنحه (ابن الشيطان) أية فرصة هذه المرة طرق أذنيه صوت خافت من أول القاعة الضخمة ، راح يتصاعد مع ضحكات (ابن الشيطان) التى لم تتوقف لحظة واحدة ، قبل أن يبترها ويتبع دون مقدمات :

ــ والآن ، لحظة الذورة التى ادخرتها منذ البداية ..

استجمع (س ــ 18) كل ما تبقى لديه من فتات الطاقة ، ورفع رأسه إلى حيث أشار ، ولولا طاقته التى أوشكت على النفاد لارتد للخلف من هول الصاعقة .. حينما أتاه صوت (جـ ــ 18) ، التى توقفت على بُعد خطوات قليلة منه ، وقالت بلهجة بدت له مخيفة :

ــ والله زمان يا (س ــ 18) ..

ودون أن يمنحه (ابن الشيطان) فرصة لتخطى المفاجأة ، أتبع بلهجة منتشية تفيض بالشماتة ، خرجت على الرغم منه كالفحيح :

ــ تعجبنى مثل هذه اللقاءات الرومانسية

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم استطرد بلهجة خاصة ، وهو يومئ برأسه كأنما يلقى تحية الختام على جمهور وهمى :

ــ ولكن لا زالت لدىّ مهمة أخرى أخيرة .

ثم اتقدت عيناه كجمرتين ، وهو يستطرد بلهجة تفيض بالشر :

ــ وحاسمة ..

ثم أتبع باللهجة ذاتها :

ــ لذلك لن أتمكن من متابعة المشهد لآخره ..

قالها ، وبدأ جسده فى الدوران حول نفسه ، وبسرعة راحت تتصاعد تدريجيًا حتى بلغت درجة فائقة اختفى بعدها من المكان ..

تمامًا ..

أما (جـ ــ 18) ، فقد اقتربت منه بتؤدة .. وفى حركة مباغتة تمامًا دفعت يدها نحوه ، وتشبثت برقبته بأصابعها المعدنية ، ثم رفعته فى مواجهتها تمامًا ، وأتبعت بلهجة نارية لم يسمعها من قبل :

ــ مش قلت لك هنتقابل ..

ثم قذفت به فى اتجاه الحائط ..

بمنتهى العنف .

* * *

كانت سيارة (أدهم) تنطلق كالصاروخ ، وبداخلها بدا الأخير منتشيًا تمامًا .. كان قد مر وقت طويل دون أن يحظى بمطاردة حقيقية ، حتى أنه راح يلقى نظرات خاطفة نحو سيارة (نور) و(أكرم) ، التى راح الأول بداخلها يحاول تجاوز سرعتها القصوى للحاق بسيارة (أدهم) دون فائدة .. وكان هذا يسعد الأخير بشدة ، ويمنحه شعورًا لازمه طويلاً بالتميز فى قيادة السيارات .. لدرجة أنه راح يتحرك عبر جانبى الطريق ، ويرواغ السيارات القليلة التى تسبقه ويتخطاها بسعادة تفوق الوصف أمام أعين سائقيها التى تكاد تغادر محاجرها من الذهول ..

ثم فجأة ..

ظهرت تلك العاصفة ..

عاصفة ضبابية عجيبة لم ير لها مثيلاً من قبل ..

والأعجب أنها كانت تقترب منه بسرعة عجيبة تفوق سرعة اقترابه منها ..

كأنما تهم بالتهامه !

وفى سرعة تميز بها ضغط كابح الفرامل ، وانحرف بالسيارة محاولاً الاستدارة فى الاتجاه المعاكس .. فى نفس اللحظة التى فطن فيها (نور) و(أكرم) من سيارتهما للأمر .. حتى أن الأخير تمتم كالمشدوه :

ــ ما هذا يا (نور) ؟!

أما (نور) ، فبدا كأنما لم يسمع عبارته ، وهو يضغط كابح الفرامل بدوره ، كأنما قدم له (أدهم) إنذارًا ما ..

Looloo
www.looloolibrary.com

لكن الأمر بدا لهما معًا متأخرًا للغاية .. كما أن العاصفة اندفعت بسرعة تفوق التصور وابتلعت سيارة (أدهم) ، التى اختفت بداخلها تمامًا .. قبل أن تمتد بسرعة البرق نحو سيارتهما وتبتلعها بدورها ..

وعن آخرها !..

* * *

تحسست (تفيدة جراهام) وجنتها بطرف أصابعها بنعومة ، وهى تطالع ملامحها عبر مرآتها الخاصة ، لتتأكد من دقة زينتها .. ثم لم تلبث أن تركت العنان لابتسامة ساحرة أودعتها كل سعادتها ، لتعتلى وجهها الجميل .. كانت لا تصدق تقريبًا ما حدث لها منذ التقت بـ (خميس العترة) أو (آدم) ابن (سونيا جراهام) من غريمها السابق (أدهم صبرى) ..

(سونيا) الطاعنة فى السن ، التى كانت يومًا ما أشرس أفراد عائلة (جراهام) ، التى تنتمى هى نفسها إليها ، والتى كلفتها مهمة الوصول إليه فى مصر ، حيث تركته طفلاً فى أحد أحيائها الشعبية .. آخر مكان يمكن لوالده أن يفكر فيه .. ثم استرجاعه معها إلى (تل أبيب)(*).. وبدلاً عن هذا سقطت فى هواه ، وأسقطته فى حبائلها منذ اللحظة الأولى التى وقعت فيها عليه عيناها ..

ولم يكد ذكر (سونيا) يتوارد لذهنها ، حتى ازدردت لعابها بصعوبة ، وغمغمت لنفسها فى توتر :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول صراع الأوغاد ، العدد رقم (31) سلة الروايات .

ــ وماذا يمكنها أن تفعل ؟.. هى نفسها تزوجت (أدهم صبرى) بطريقة مماثلة ..

ثم استدارت للخلف ، كالملسوعة ، حينما أتاها صوت أنثوى خافت من مكان خفى بالحجرة :

ــ ولكنك لستِ (سونيا جراهام) ..

امتدت يدها بسرعة تليق بالمحترفين وانتزعت مسدسها من أحد الأدراج أمامها ، واستدارت مرة أخرى تحملق فى الشرفة المفتوحة ، التى راحت ستائرها تتطاير فى المكان ، ثم تمتمت بارتياب وحذر شديدين :

ــ مَن هنا ؟!

ثم أطلقت شهقة هائلة حينما أتاها الصوت الساخر نفسه من خلفها مباشرة :

ــ يا للمسكينة !.. لم أكن أعلم أن ظهورى سيفزعك لهذه الدرجة ..

أما (تفيدة جراهام) ، فقد اتسعت عيناها فى ذهول ، وهى تحملق فى (سونيا) كالمشدوهة ، دون أن تخفض المسدس ، الذى شهرته بيديها معًا فى اتجاهها ..

أما الأخيرة فقد أطلقت لابتسامتها الساخرة العنان ، وهى ترفع إحدى يديها التى تساقطت منها مجموعة رصاصات ، تركتها لترتطم بالأرض ، وهى تتهكم باستخفاف ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ نسيت أن أخبرك أن الرصاصات تلتصق دومًا براحة يدى .. وهى عادة لم أتخلص منها منذ نعومة أظافرى ..

أما (تفيدة جراهام) ، فقد تجاهلت عبارتها تمامًا ، وهى تحملق فى وجهها ، وتتمتم فى ذهول :

ـ كيف .. كيف .. هناك من يخد ..

وقبل أن تستكمل عبارتها كانت (سونيا جراهام) التى فهمت عبارتها تمرر يدها عبر خصلات شعرها الذهبى الساحر ، وتجيبها وهى تتخذ مكانها أمام المرآة ..

ـ هل راقت لك تصفيفة شعرى ..

ثم استدركت باللهجة ذاتها وهى تهز رأسها بدلال ، فتدفع شعرها الحريرى للتزاحم خلف كتفيها :

ـ لست فى أجمل حالاتى ، لكن هذا يمنحك درسًا ما عن زمن كل منا الذى ألقيتيه على مسامعى فى لقائنا الأول(*)..

تمتمت (تفيدة) بأحرف مبعثرة ، وبلهجة غير مفهومة تمامًا ، كأنما تلبستها قرية كاملة من الشياطين :

ـ لست (سونيا جراهام) .. محال أن تكونى كذلك ..

فى نفس اللحظة التى استكملت فيها هى عبارتها :

ـ فزمن (سونيا جراهام) لا ينتهى أبدًا .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول صراع الأوغاد ، العدد رقم (31) سلة الروايات .

ولم تكد تستكمل آخر حروف عبارتها ، حتى قفزت برشاقة عجيبة بدت لـ (تفيدة جراهام) برغم مهاراتها مستحيلة ، وهبطت خلفها .. ودون أن تنتبه لما حدث ، كانت (سونيا) قد كبلت إحدى يديها خلف ظهرها ، وأحاطت عنقها بذراع فولاذى ..

أما (تفيدة) نفسها ، فقد أطلقت صرخة رهيبة ، ارتج لها القصر بما فيه ..

وفى الثانية التالية ، كان الجميع وبمن فيهم (خميس العترة) يندفعون نحو الغرفة ، التى يوجد فيها آخر مخلوق على وجه الأرض يمكن له توقعه ..

أمه !

* * *

كانت الصرخات الرهيبة قد جذبت المدعوين من بهو المنزل ، فاندفعوا جميعًا فى ذعر ممزوج بالدهشة نحو غرفة العروس الموصدة .. ثم لم يلبث بعض المتطوعين أن بدءوا فى تحطيم الباب ، الذى لم يصمد طويلاً ..

ثم ارتدوا جميعًا للخلف مع أول ثانية من دخولهم للمكان ..

أما الرجال فقد شهقوا فى دهشة ..

والنساء صرخن فى فزع وذهول ..

Looloo
www.looloolibrary.com

كانت العروس (تفيدة جراهام) قد تعلقت من إحدى قدميها فى سقف الغرفة ، بعد أن حلق لها أحدهم شعر رأسها تمامًا ، ونتف رموشها وحاجبيها .. واستبدل ثوب زفافها بـ « عفريتة » عمال مصانع متهالكة ، ثم سكب فوقها جالونًا مركزًا من القار الأسود ، راح يتساقط عن نهاية رأسها .. وكان يبدو أنها قد تعرضت لتعذيب رهيب ، فقد انتفخت عيناها بطريقة بشعة وتورمت شفتاها ، وتعرضت أماكن متفرقة من جسدها ووجهها لقدر هائل من الجروح و السحجات ! ، حتى أن إحدى المدعوات فى المكان صرخت فى فزع :

ـ ياااى حراااامى ..

ثم فارقت الوعى ..

وفى صعوبة من يلفظ أنفاسه الأخيرة انطلقت صرخة (تفيدة جراهام) الواهنة :

ـ خمييييييس ..

ولم تكد تتفوه بكلمتها ، حتى أطلت (سونيا جراهام) برأسها من فوق حافة الإفريز الذى تعلقت فيه ، والذى يعلو الشرفة مباشرة ، وقد راحت أنفاسها تتسارع ، ودقات قلبها تعلو حتى كادت تسمعها ، وهى تترقب اللحظة التى انتظرتها طوال السنوات الماضية ..

اللحظة التى سترى فيها ابنها ..

(خميس) / (آدم) ..

وفى الثانية التالية انفلتت منها صرخة ملتاعة ، وكادت تترك نفسها لتهوى من مكمنها فلتقى حتفها فوق أرضية الشارع البعيدة ، وهى تتابع (آدم) الذى اقترب من المكان الذى تعلقت فيه (تفيدة) .. بكرشه الضخم ، وشعره الأشعث غير المهذب ، وملامح وجهه الخشنة شديدة القبح ..

وفى مرارة العالم تمتمت :

ـ لا لا لا .. مستحيل .. مستحيل .. مستحيييييييل ..

* * *

فى اللحظة التالية اتسعت عينا (سونيا جراهام) عن آخرهما ، وهى تحملق فى الشاب شديد الوسامة ، الذى دفع البدين الأول من مكانه ، واندفع يتحسس رأس (تفيدة جراهام) فاقدة الوعى ..

وفى سعادة من نجا من الغرق للتو نفضت عنها كل جزعها ، وارتجف قلبها بين ضلوعها .. كانت قد تعرفته على الفور ، وتيقنت بما لا يقبل الشك منه ..

فملامحه كانت واضحة تمامًا ..

كان نسخة شبه متطابقة من أبيه ..

من (أدهم صبرى) ..

بقوامه الممشوق ، ومنكبيه العريضين وملاحة وجه .. إلا عينيه ، فقد ورثهما منها ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وفى لوعة لم تشعر بها من قبل .. وحنين لم تجرب مثله طوال عمرها هتفت باسمه ..

(آدم) ..

ثم تجاهلت كل ما يمكن أن يعرضها للخطر ، واندفعت باتجاهه ..

وفى الثانية التالية مباشرة توقف المشهد ..

كل الحضور تجمدوا فى أماكنهم وراحوا يحملقون فى هذه الفاتنة التى قدمت من الشرفة كساحرات الحواديت ..

وبحيرة ممزوجة بالتساؤل ، وبرغم الشدة التى اشتهر بها تجمد (خميس العترة) أو (آدم) ..

وراح يحملق فى ملامحها بمشاعر عجيبة عجز عن وصفها .. وفى أعمق أعماق عقله هبت ذكريات بعيدة ..

* * *

ــ أين أمى؟!

يأتيه صوت المربية :

ــ (سولومون) .. ماذا قلنا ؟!.. أمك سافرت لتراعى أعمالها ..

ــ أين أمى .. أين أمى ؟

ــ قلت أنك ستنام الآن دون كلمة أخرى .

* * *

ــ أين أمى ؟!

يأتيه صوت (تيودور زيلمان) مدير الموساد :

ــ هل تعرف من هى أمك بالضبط؟!

ــ أين أمى .. أين أمى ؟

ــ اصمت وإلا صفعتك على وجهك (*) .

* * *

ــ أين أمى ؟!

يأتيه صوت (أم السعد) :

ــ من النهاردا ورايح مالكش أم غيرى .. فاهم !..

ــ أين أمى .. أين أمى ؟

ــ أنت هتسمع الكلام ولا أشوف شغلى معاك ؟

* * *

ثم تمتم كالمسحور :

ــ محال !.. هل أنت حقًّا ، أم خيال ؟!

أومأت برأسها دون أن تخفض عينيها عنه :

ــ لم أكن حقيقة كهذا من قبل ..

(*) راجع سلسلة رجل المستحيل ، العدد (127) نقطة الضعف.

Looloo
www.looloolibrary.com

استدرك بذهول :

ــ هل تقصدين أنك ...

أجابته ، وقد تيقنت من يقينه :

ــ نعم ، أنا أمك ..

ثم تمتمت بأنفاس متقطعة :

ــ هل ما زلت تتذكر ملامحى ؟

ضم راحتها فى كفه وقبلها ، فأطلقت شهقة راحة عجيبة ، حينما تمتم ودموعه تلتمع فى طرف عينيه :

ــ لم أنتظر فى حياتى أحدًا كما انتظرتك .

ثم طالع ملامحها الشابة شديدة الجمال ، وأتبع فى دهشة :

ــ لكنك ..

مدت يدها لتمنعه من الاستكمال ، وقبضت براحة يديها على يده الأخرى ، ثم جذبته أمام أعين الجميع المشدوهة نحو الشرفة ..

وفى جمود اعتلت حافة السوار بقفزة واحدة ، فقفز إلى جوارها .. وقالت وهى تكاد تلتهم ملامحه بعينيها :

ــ سيكون أمامنا متسع لأحكى لك كل شىء ..

ثم أشارت إلى الشارع وتساءلت ببساطة :

ــ هل تجيد التسلق لأسفل ..

ابتسم ، ثم خلع سترته ، وألقى بها جانبه .. ثم ضم يديه كأنما سيغطس فى حوض سباحة ، وقفز دون تردد ..

وفى رشاقة دار جسده فى الهواء ، قبل أن يتعلق فى إفريز الطابق السفلى مباشرة ، وقال بابتسامة جذلة واثقة ، وبصوت بلغ مسامعها :

ــ ابنك ..

هنالك شدت قوامها الممشوق فوق سور الشرفة ، ونظرت للنجوم التى التمعت فى السماء فى ليل القاهرة بنظرة سعادة بللتها الدموع للمرة الأولى فى حياتها ، وتمتمت بظفر لم تشعر به من قبل :

ــ لك الآن يا (أدهم صبرى) أن ترتجف ..

ثم قفزت خلفه ..

* * *

أما (سونيا) الأخرى ..

فقد ضغطت دواسة البنزين بغضب جارف ، فاندفعت السيارة بكل قوتها .. كانت قد فقدت كل أثر لسيارتى (أدهم) و(نور) .. وكاد هذا يصيبها بالجنون ، وهى تعلم فى قرارة نفسها أن كومة العظام الذى يتكوم فى المقعد الخلفى هو السبب الأول فى كل ما حدث .. حتى أنها قاومت رغبة عنيفة فى تصويب مسدسها نحوه ، وتفجير رأسه بلا تردد .. ولكن ما يكون .. لكنه لا يستحق .. وهذا ما حدثت به نفسها .. ستلقيه فى أول منعطف يقابلها ، وليلفظ أنفاسه حينها من تلقاء نفسه ، وهذا أقل ما يستحقه .. هذا إن لم يكن قد لفظه بالفعل ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ضغطت أسنانها بكل ما تملك من قوة ، حينما راودها ذلك الخاطر ، واستدارت دون تفكير ، لتطالع المقعد الخلفى ، حيث يتمدد جسده الهزيل .. ثم أطلقت شهقة مفاجئة ، حينما وجدته يجلس فى مكانه ، كأنما لم يتلقَّ منذ قليل صدمة عنيفة كانت كافية لقتل فيل بالغ !.. وكان يحملق فيها بأعين متسعة ، وفك متدلٍّ ، وبصورة بدت لها هزلية تمامًا ، لا ينقصها إلا قلب وردى فى منتصف كل واحدة منهما ، لتكتمل ..

كانت الشمس قد اخترقت لحظتها الأفق ، مما زاد من توترها .. حتى أنها ازدردت لعابها ، وهى تحرك يدها أمام عينيه ، وتتمتم بصوت متحشرج ، بدا أقرب للفحيح :

ــ هل ترانى ؟!

* * *

« ومع أول شروق للشمس هتحب أول واحدة تشوفها »

« دا غير إنك هتنسى كل اللى حصل قبل كدا »

« وى هاها وى هاها »..

* * *

ظل على حالته للحظة ، ثم ازدرد لعابه بدوره ، وهو يعدّل رابطة عنقه المتهدلة إلى موضعها ، قبل أن يضغط طرف شفته السفلى بأسنانه ، ويتبع فى وله جارف :

ــ « صباحك حليب »

تمتمت بدهشة مستنكرة ، وهى تطالع شعره الأشيب :

ــ حليب ؟!

استدرك على الفور وهو يحاول عبثًا ترتيب شعيراته المتناثرة فوق رأسه ، ويميل نحوها كمراهق :

ــ « أقصد هو إحنا صباحنا لوز مقشر ولا حاجة ؟ »

فغرت فاها ، حينما ضم شفتيه ، وأرسل قبلة صغيرة باتجاهها ، قبل أن يستدرك باللهجة ذاتها ، وهو يعض على شفته السفلى :

ــ « محسوبك (رفعت إسماعيل) .. هو الجميل اسمه إيه ؟ »

هنالك ضغطت أسنانها بكل قوتها ، وصرخت بكل ما فى داخلها من غضب ..

وحنق ..

وثورة ..

ــ اللعنة !.. اللعنة !..

اللعنااة !

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

فراغ عجيب لا أول له ولا آخر أحاط بهم !

فراغ صامت مطبق بلا معطيات معروفة ، كأنما ابتلعهم العدم ، وراحوا يسقطون فيه لأسفل ، كأنما لا نهاية لها ..

أما (نور) فقد راح يعتصر ذهنه لفهم طبيعة ما حوله ..

و(أكرم) بدا حانقًا .. وراح يقسم فى داخله بأغلظ الأيمان أنه سيتقدم باستقالته بمجرد عودته ..

بينما بدا (أدهم) مستمتعا تمامًا بما يحدث .. حتى أنه راح يدور حول نفسه فى سعادة ، ويؤدى حركات بهلوانية شديدة التعقيد ، كأنما يمرح مع رفاق طفولته .. ولولا ما يحيط بهم جميعًا لنزع (أكرم) شعرات رأسه دون أن يترك شعرة واحدة ، من شدة الحنق ، بسبب الابتسامة اللاهية التى لم تفارق ملامحه لحظة واحدة ..

ثم فجأة هدأت الأمور ..

وتوقفوا فى أماكنهم دون مقدمات ، كأنما بلغوا القرار ..

وعبر آذان ثلاثتهم تصاعدت خطوات رتيبة ، كأن صاحبها يسير فوق أرضية صلبة ..

وراحت الخطوات تقترب منهم ..

وتقترب ..

وفى الثانية التالية ، وأمام أعينهم الذاهلة ظهر (ابن الشيطان) ..

(أدهم) توقف عما كان يفعله ..

(أكرم) تراجع برأسه للخلف فى توجس ..

وحده (نور) تعرف عليه .. لكن لم يمنعه ذلك من الارتجافة التى سرت فى بدنه كتيار كهربى .. حتى أنه ازدرد لعابه ، وتمتم بلا شعور :

ــ من !

هنالك أطلق (ابن الشيطان) ضحكة مجلجلة ، وهو يميل نحوه بطريقته المسرحية المعتادة :

ــ نعم هو أنا يا حفيد (أزوريس) ..

أما (أدهم) فقد أطلق شهقة متصنعة ، وهو يقول بسخرية :

ــ من ! (يوسف) بك وهبى !.. كيف حالك يا رجل ؟

ضم (ابن الشيطان) قبضته ، واستدار نحوه كإعصار ، ثم ضغط أحرف عبارته وهو يقول بغضب مكتوم :

ــ إذًا فأنت (أدهم صبرى) الشهير ..

عدّل (أدهم) من ياقة قميصه ، وهو يقول بخيلاء مصطنع :

ــ يا للإعلام الذى لا يرحم المشاهير .

تجاهله (ابن الشيطان) هذه المرة ، وهو يقول بلهجة قاسية أطلقها فى وجوههم جميعًا :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لقد حانت لحظة استعادة ما لكل منا من وضعه الحقيقى فى الشهرة ..

تصاعد الشعور بالخطر فى داخل (نور) دفعة واحدة ، فى اللحظة التى رفع فيها (ابن الشيطان) يديه لأعلى فارتفعوا جميعًا من أماكنهم ، وبدءوا فى التحرك فى دائرة كأنهم بداخل إعصار ضخم .. مما جعل (أكرم) يتمتم بارتياب :

ـ ماذا ستفعل !.. ماذا ستفعل !..

أما (ابن الشيطان) ، فقد تجرد من هيئته ، وظهر فى هيئته الحقيقية التى واجه بها (نور) ورفاقه من قبل .. قبل أن يقول بصوته الغريب القادم من الجحيم ، والذى يبدو كرنين مئات الأجراس مجتمعة :

ـ سأستعيد مكانتى أيها البشرى .. سأثأر لكرامتى من المسئول عن كل هذا القدر من الإهانات التى لحقت بى منذ أن ظهرت فى سلاسلكم ..

زوى (نور) حاجبيه ، بينما تساءل (أدهم) دون تردد :

ـ من تقصد ؟!

هنالك رفع (ابن الشيطان) يديه مرة أخرى لأعلى ، فتوقفوا كتماثيل جامدة فى أماكنهم ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها ضحكات (ابن الشيطان) الظافرة :

ـ لقد محوت ذاكرتكم جميعًا ، والآن أنتم ملك أوامرى وحدى .. ولن تأتمرون إلا بما آمركم به ..

وفى اللحظة التى تراخت فيها أيديهم ، ورفعوا رءوسهم نحوه ، وراحوا يتطلعون إليه بأعين باردة خالية من الانفعالات .. كان هو يلتقط نفسًا عميقًا ، ترددت له أصوات ألف عاصفة ، قبل أن ترتفع صرخته القادمة من الجحيم :

ـ اقتلووه ..

انتبهوا أكثر ، بينما أتبع هو بذات اللهجة :

ـ اقتلوا من استهزأ بى ، وسخر من قدراتى وجعلنى أضحوكة أمام قرانكم ..

ـ اقتلوا من صورنى بكل هذا الضعف ، وجعل منى خصمًا سهلاً يهزمه فانون من أمثالكم ..

ثم رفع يديه لأعلى صارخًا بكل ما فى أعماقه من غضب ، وغل ، وحقد :

ـ اقتلوا (نبيل فاروق) ..

ثم انطلقت صرخاته الهستيرية ..

هادرة ..

عنيفة ..

وهو يتخيل عواقب لعبته الشيطانية التى يقدم عليها ..

أما هم ..

فلم يكد كل منهم يتجه إلى سيارته ، وينطلق بها فى آلية مطلقة ، حتى بدأت اللعبة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وكان هذا يعنى أنها المرة الأولى التى يُفترض فيهـا علـى « كاتـب » ما أن يواجه أبطاله الذين صنعهم بخياله مجتمعين ، وأن ينجو بحياته فـى النهاية ..

(أدهم) !..

و(نور) !..

و(أكرم) !..

انتهى الجزء الثانى بحمد الله .

ويليه الجزء الثالث والأخير بإذن الله

أنباء سارة للشباب من :

روايات مصرية للجيب

مفاجأة جديدة

سلسلة جديدة من روايات مصرية للجيب تجمع كل الفائزين فى مسابقة :

روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

فى كل رواية متعة دائمة !!

ظهر من هذه السلسلة :

1 الوناسح (تجربة مخيفة) . بقلم / عبـر عبـد الـرزاق
2 لوتس (دمـاء فى المعبد) . بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
3 مغامرات صحفية (كـلاب جائعة) . بقلم / مصـطفى محمـد سليمان
4 مغامرات (مس) (رجل مـن وهم) . بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
5 المقـامر العنيد (المملكـة المفقـودة) . بقلم / مصـر عبـد اللطـيف عبـد الوهـاب
6 ملفات سرية (300 دقيقـة) . بقلم / نـاصر إبراهيـم محمـد
7 مغامرات (مس) (عيـن القـط) . بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
8 لوتس (فـضائح ليلية) . بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
9 مغامرات (مس) (الأعـرج) . بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
10 مغـامرات (مس) (دائـرة المـوت) . بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
11 لوتس (شـبح الطيـار) . بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
12 مغـامرات (مس) (حديقـتى) . بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
13 مغـامرات (مس) (دقات القلـب) . بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
14 لوتس (الجمـران الذهبى) . بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
15 مغـامرات (مس) (أغنوة الدم) ج1 بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
16 مغامرات (مس) (أغنوة الـدم) ج2 بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
17 لوتس (أسـبوة الـرمـال) . بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
18 مغـامرات (مس) (وراء الظـلال) . بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
19 مغـامرات (مس) (اللعنـة) ج1 بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
20 مغـامرات (مس) (اللعنـة) ج2 بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
21 حيـاة جديـدة . بقلم / نـاصر إبراهيـم محمـد
22 القـائـد . بقلم / نـاصر إبراهيـم محمـد
23 الـذى فعـلتـه . بقلم / نـاصر إبراهيـم محمـد
24 قصـة فرنسية . بقلم / نـاصر إبراهيـم محمـد
25 أيـام مـع الشـيخ . بقلم / نـاصر إبراهيـم محمـد
26 منظمة اجهها القوضى . بقلم / نـاصر إبراهيـم محمـد
27 لمسة بريطـانيـة . بقلم / محمـد سليمان عبـد المالك
28 حيـاة جديدة ج2 بقلم / نـاصر إبراهيـم محمـد
29 عصـر الفـزع . بقلم / أحـمد محيى الـديـن .
30 أسـطورة المؤسسة . بقلم / محمـد دسـوقـى .
31 صـراع الأوغـاد . بقلم / د. حـسـام حـسـرى .
32 حـسـن تربيـح . بقلم / والـى القـاضـى .
33 الفرقـة السـوداء . بقلم / والـى القـاضـى .
34 لا تصـفـح . بقلم / د. حـسـام حـسـرى .
35 آلـة الزمـن . بقلم / د. حـسـام حـسـرى .
36 وجـه المـلعـوب . بقلم / والـى القـاضـى .
37 الحـتان والقـوة . بقلم / والـى القـاضـى .
38 النـور .. والظلام . بقلم / د. حـسـام حـسـرى .
39 قتال الشوارع . بقلم / محمـد دسـوقـى .
40 صراع الأوغاد .

روايات مصرية

سلة الروايات 40

في كل رواية متعة دائمة !!

د. محمد الدسوقي

صراع الأوغاد

(الجزء الثاني)

الأمر بسيط جدًا ، بصورة لا تُصدق هذه المرة ..

أما (أدهم صبري) ، فـ .....

وأما (نور) و(أكرم) ، فـ .....

وأما (س ـ ١٨) ، فـ .....

وأما (سونيا جراهام) ، فـ ...

وأما (!!) ، فـ .....

إحم ! .. أنت تعرف أشياء خطرة فعلًا الآن .. لكني أنبئك أن

هذا ليس كل شيء .. ليس شيئًا أصلًا ..

اقرأ الأحداث المثيرة هذه المرة أيضًا .. وإذا كنت قد بدأت تفقد

عقلك بعد المرة الأولى ، فهنا محاولة أكثر جدية للإطاحة بما تبقى ..

www.rewayatmasreya.com

facebook.com/rewayatmasreya

Looloo

Digitally signed by Looloo
DN: cn=Looloo, o=www.looloolibrary.com, ou, email=looloo@looloolibrary.com, c=EG
Date: ٢٠١٦.٠٣.٠٢ ٢١:٠٩:١٣ +٠٢'٠٠'

العربية الحديثة

08948011